كتاب

التحفة الملوكية في الدولة التركية

تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هجرية

تأليف

بيبرس المنصوري

نائب السلطنة في مصر (المتوفى سنة ٧٢٥ هجرية)

نشره وقدم له ووضع فهارسه

دكتور عبد الحميد صالح حمدان



الدار المصرية اللبنانية

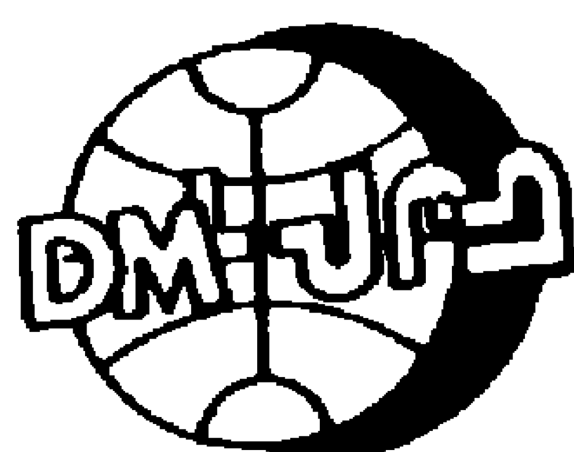
كتاب

التحفة الملوكية في الدولة التركية

تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هجرية

الطبعة الاولى

١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م



الدار المصرية اللبنانية
طباعة • نشر • توزيع
١٦ شارع عبد الخالق ثروت — تليفون ٧٥٦٧٤٣ — ٧٦٣٥٢٥ — برقيا : دارشادو — ص . ب : ٢٠٢٢ — القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING- PUBLI SHING- DISTRIBUTION
16 ABD EL KHALEK SARWAT st p.o Box 2022 CAIRO EGYPT PHONE 763525 - 756743- CABLE DARSHADO

كتاب

التحفة الملوكية في الدولة التركية

تاريخ دولة المماليك البحرية في الفترة من ٦٤٨ - ٧١١ هجرية

تأليف

بيبرس المنصوري

نائب السلطنة في مصر (المتوفى سنة ٧٢٥ هجرية)

نشره وقدم له ووضع فهارسه

دكتور عبد الحميد صالح حمدان

الناشر

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذى من استعان به فى الرخاء أعانه فى الشدة ، ومن لاذ بحماه حماه وهداه وألهمه رشده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد فقد تعرف المؤرخون المحدثون على آثار بيبرس المنصورى مما جاء فى كتب معاصريه ومن جاء من بعدهم من مشاهير المؤرخين الذين اقتبسوا من كتاباته ومؤلفاته ، إلا أنهم عرفوه أخيراً بعد ما اكتشفوا عدة أجزاء من تاريخه الضخم الذى خلد اسمه « زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة ».

ولقد قادتنى أبحاثى ودراساتى عن تاريخ المماليك ، إلى المؤلف الثانى لبيبرس المنصورى وهو « التحفة الملوكية فى الدولة التركية » ، الذى تناول فيه تاريخ دولة المماليك البحرية فى الفترة من ٦٤٨ هـ إلى ٧١١ هـ .

عصر المؤلف

وصل بيبرس المنصورى إلى مصر سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١) [١] وعمره خمسة عشر عاماً تقريباً ، فاشتراه المنصور قلاوون الألفى الذى كان من مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ثم أعتقه فى سنة ٦٤٧ هـ ، وأخذ المنصور قلاوون فى الترقى حتى بويع بسلطنة مصر سنة ٦٧٨ هـ .

ولقد استأثر العصر المملوكى بالعديد من الكتابات والمؤلفات التاريخية وتميز بكثرة المؤرخين وغزارة إنتاجهم ، ولا غرو فى ذلك فقد ماج

(١) أى فى عهد السلطان الظاهر بيبرس ، وبعد سنة من انتصار المماليك على المغول فى موقعة عين جالوت (٦٥٨ هـ) .

هذا التاريخ بأحداث جسام ، وتعرضت فيه البلاد لخطرين داهمين هما خطر الصليبيين وخطر المغول ، مما أضفى أهمية خاصة على هذه الحقبة الزمنية من تاريخنا الإسلامى . ومهما يكن الحكم على عصر المماليك وسلاطينه ، وعلى الرغم مما اتصف به المماليك من حب المظاهر وسفك الدماء ومن جهل مطبق باللغة والدين[1] ، فلا شك أنهم ذادوا عن حماها ، مع أنهم كانوا عنها غرباء ، فجنبوا هذه الديار تعصب الصليبيين ووحشية المغول . وقد تم ذلك بفضل انشائهم الدولة المملوكية التى تمتعت بالاستقرار بعد معركة عين جالوت التى انكسر فيها المغول على يد قطز فى رمضان سنة ٦٥٨هـ ، وبعد نجاح الظاهر بيبرس وانتصاراته فى مصر والشام . ولقد حظيت هذه الدولة المملوكية بنظام خاص قوامه الحياة العسكرية المنضبطة والأداة التعليمية المنتظمة ، وساعدهم على ذلك ثراء مصر وغناها ، اقتصادياً وحضارياً ، وهو ما انعكس على كل المجالات سواء العمرانية أو التجارية أو الاجتماعية أو الدينية . وفى هذا أفاضت المراجع المعاصرة لهم وأسهبت .

سيرة المؤلف :

لقد حفلت « زبدة الفكرة »[2] . و « التحفة » بنتف عن حياة مؤرخنا ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصورى الناصرى الدوادار الخطائى[3] ، لو جمعت واستكملت من بعض المصادر الأخرى التى أوردت سيرته لأصبح فى وسعنا اقتفاء آثاره وتاريخ حياته على النحو التالى:

---

(١) انظر بروكلمان ، تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الثانى ، ص ٦، وفيليب حتى ، تاريخ العرب ، ص ٦٧١ .

(٢) « زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة » ، الجزء العاشر ، المتحف البريطانى ، مخطوطة رقم Or. Ms. Cod. Add. 23325 ، وهذه المخطوطة وردت بمثابة تكملة لمخطوطة أخرى تحت عنوان « نزهة الناظرين فى أخبار الماضين ممن ولى محروسة مصر من سالف العصر من الخلفاء والسلاطين العادلين » ، تصنيف الشيخ العلامة مرعى بن يوسف الكرمى .

(٣) ركن الدين هو لقب يمنح للجنود من ذوى الأصل التركى ، راجع القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤٨٨/٥ . وبيبرس أو بكبرس ، معناها « الأسد الأبيض » راجع بلوشيه ، Introduction à l'histoire des mongols صفحة ٩٢ . =

٦٥٩ هـ : اتفق فى هذه السنة وصوله إلى الديار المصرية صحبة الطواشى مجاهد الدين قايماز الموصلى خادم الملك الرحيم صاحب الموصل . فاشتراه منه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى [١] ، الذى أرسله إلى المكتب مع أبنائه ولم يدخله الطباق [٢] مع سائر المماليك ، فدخل بذلك فى زمرة أرباب الجماكيات [٣] ، توطئة لتقليده الوظائف العليا فى الدولة .

٦٧١ هـ : حصوله على ترقية وأصبح فى مرتبة إقطاعية بدخل بلغ ١٥٠ أردباً .

٦٨٣ هـ : نقلته الصدقات السلطانية إلى إمرة الطبلخانة [٤] .

٦٨٥ هـ : أمره السلطان بالإقامة فى نيابة الكرك .

٦٩٠ هـ : اشترك فى معركة عكا .

٦٩١ هـ : اشترك فى حرب قلعة الروم ، وأقام فى البلاد الحلبية لحفظ الثغور الإسلامية .

٦٩٣ هـ : عين دواداراً للناصر قلاوون مكلفاً بديوان الإنشاء لتلقى البردية

= وابن عبد الله كنيته التى عرف بها لورعه وتقواه، أما المنصورى فهو نسبة إلى المنصور قلاوون الذى اشتراه، والناصرى كذلك نسبة إلى الناصر قلاوون . والدوادار جاءت من تقلده لهذه الوظيفة فى سنة ٦٩٣ هـ ، والخطائى نسبة إلى قبيلة الخطا التى ينحدر منها ، راجع بشأنها القلقشندى ، المرجع السابق، ١/٣٦٦ ودائرة المعارف الإسلامية ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ص ٦٠٤ .

(١) زبدة الفكرة ، المخطوطة ، صفحة رقم ٥١ أ .

(٢) المقريزى ، الخطط ، ٣/٣٢٧ – ٣٤٧ ، طبعة بولاق ، ١٢٧٠ هـ .

(٣) كان أرباب الجماكيات يمثلون فئة من المماليك ذوى المرتبات المنتظمة ، وكانوا يسمون « المماليك الكتابية أرباب الجماكيات » أى المماليك الذين أرسلوا إلى المكتب» ، راجع النويرى ، نهاية الأرب ، ٨/٢٠٥ ، أما « المكتب » فهو عبارة عن مدرسة لتعليم أبناء السلطان القراءة والكتابة ، راجع أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، المخطوطة ، المجلد الأول ، ورقة ٣٧١ أ ، والعينى ، عقد الجمان ، المخطوطة ، الجزء ٥٥ ، ورقة ٤٧٣ .

(٤) بخصوص عبارة « الطبلخانة » راجع القلقشندى المرجع السابق ، ٤/٨ وما بعدها .

الواردين والصادرين عن الأبواب السلطانية وتنفيذ المهمات المتعلقة بالرسائل والمكاتبات ، وحصل له (على حد قوله) « ارتفاع المنزلة وزيادة العدة وإمرة المائة » [1] .

٦٩٤ هـ : ندب إلى ثغر الاسكندرية مجرداً لحفظه .

٦٩٩ هـ : تولى نيابة القلعة فى القـــاهرة .

٧٠١ هـ : تولى مع المماليك الآخرين قمع القبائل العربية الثائرة فى الصعيد . وتولى إمارة الحج .

٧٠٢ هـ : كان على رأس تجريدة لصد التتار فى بلاد الشام ، وعند عودته « برزت المراسم الشريفة بتوجيهه إلى ثغر الاسكندرية لمباشرة أسواره وخنادقه وعمارة ما تساقط من مبانيه ومرافقه بسبب الزلازل » .

٧٠٣ هـ : شمله الانعام ورشح لحمل الجتر [2] السلطانى فى المواكب الشريفة .

٧٠٥ هـ : سافر فى تجريدة من العساكر لإرهاب مستولى سيس .

٧٠٩ هـ : عين فى نيابة العدل الشريف والنظر على الأوقاف المبرورة المنصورية والشامية .

٧١١ هـ : عين فى نيابة السلطنة الشريفة ، وهى ذروة ما تقلده بيبرس المنصورى من وظائف .

٧١٢ هـ : الوشاية به والقبض عليه واعتقاله فى الكرك [3] .

٧١٧ هـ : وصوله من الكرك إلى القاهرة ، وأخلع عليه [4] .

---

(١) انظر التحفة ، المخطوط ، ، ص ٦٠ ب .

(٢) عن « الجتر » انظر القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٤/٤٦ .

(٣) انظر Zetterstéen (زيترستين) ، Beitrage ، ص ١٥٧ .

(٤) انظر زيترستين ، المرجع السابق ، صفحة ١٦٦ .

٧١٨ هـ : أعطى إقطاع الأمير علاء الدين مغلطاى وإمرته وتقدمته .

٧٢٤ هـ : أداء فريضة الحج مرة ثانية .

٧٢٥ هـ : وفاة بيبرس المنصورى فى ليلة الخميس الخامس والعشرين من رمضان ، عن عمر يناهز الثمانين [١] .

ومع كل هذه الحياة الحافلة بالأعمال الجليلة والوظائف الخطيرة ، استطاع بيبرس المنصورى أن يكتب تاريخه الضخم « زبدة الفكرة » ثم « التحفة الملوكية » ، ومؤلفاً آخر لم يصلنا هو « اللطائف فى أخبار الخلائف » [٢] الذى ينسبه السخاوى إليه ، وأن يضع كذلك تفسيراً للقرآن الكريم أسماه « مواعظ الأبرار » [٣] .

ولقد دخل بيبرس المنصورى التاريخ بكتابته التاريخ إذا صح هذا التعبير ، وأصبحت مؤلفاته التاريخية علماً عليه . وبز هذا المؤرخ الجليل بكتاباته التاريخية أقرانه المماليك وتفوق عليهم فى نواح متعددة .

ولعل دخول بيبرس المنصورى « المكتب » وتلقيه اللغة والعلوم الدينية مع أبناء السلطان ، كان له أثره على حسن تعليمه وتعلقه بالدين وشغفه باللغة وإجادته لها ، فإن توليه لديوان الإنشاء سنة ٦٩٣ هـ ، كما ذكرنا ، والنظر عليه والحديث فيما يصدر منه ويرد إليه يدل دلالة واضحة على إجادته للغة العربية وتعمقه فيها ، إلى جانب سعة اطلاعه وثقافته الغزيرة . ولقد احتفظ لنا بيبرس المنصورى [٤] لحسن الحظ بمنشور تعيينه فى هذا المنصب وقد جاء فيه :

« قال الراوى : وكتب لى بهذا الاقطاع منشور حسب الأمر المطاع .

---

(١) أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، طبعة فيت ، الصفحتان ١٠٣ – ١٠٤ ، وابن العماد شذرات الذهب ، ٦/٦٦ .

(٢) انظر فى هذا الخصوص مادة Baybars al-mansuri فى دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية ، بقلم E. Ashtor .

(٣) انظر بروكلمان ، المرجع السابق ، ص ٥٥ .

(٤) زبدة الفكرة ، المخطوط ، ص ١٨٣ ب – ١٨٤ أ .

نسخة خطبته بعد بسملته : « الحمد لله الذى أوى مصالح دولتنا الشريفة من الكفاة إلى ركن شديد ، وخصها منهم بكل ذى فعل حميد ، ورأى سديد ، وجعل معروفها إليهم ، يعيد أحسن ما يبدى ، ويبدى أحسن ما يعيد . نحمده على نعمة أولاها ومنة ناسب بين أخراها وأولاها ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجلو القلوب ، وتتكفل من الغفران بكل مطلوب ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير نبى أرسل إلى خير أمة ، وبعث بأنوار الهداية وليالى الكفر مدلهمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا ينقطع مددها ، ولا ينحصر عددها ، وسلم تسليماً كثيراً » .

وبعد، « فإن لقدم الهجرة فى الموالاة حقوقاً ترعى وحرمة تستحق تخويل النعماء وترا وشفعاً لا سيما من ربى فى حجر المملكة أحسن مربى ، واتصف من الصفات الجميلة بما أرضى به مخدوماً ورباً ، واجتهد فى تشييد مبانى الدولة الزاهرة عند الاحتياج إليه ، ووفى المقصود من المناصرة والمؤازرة والمضافرة عند الاتكال عليه ، وقام فى وجه من خرج عن الطاعة ، ولم تأخذه لومة لايم فيه ، وشد عضد وليّه بانضمامه إليه ، والمرء كثير بأخيه . ووفى وغيره قد غدر . وعفى أثر من أراد إفساد ذات البين وما عفا عندما قدر . وكان المجلس العالى الأميرى الأجلى العالمى العادلى العضدى النصيرى الذخرى الظهيرى الركنى عز الاسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ذخر الغزاة لسان الدولة سفير المملكة عضد الملوك والسلاطين بيبرس الدوادار الملكى المنصورى الناصرى ، ضاعف الله نعمته وسعادته ، هو بيت هذا القصيد وواسطة هذا التنضيد ، والذى أومأ إليه بنان هذه المدايح وتغنى بوصف مناقبه الغادى والرايح. إن ذكرت البلاغة فهو إمامها أو الكتابة فبيده زمامها . وان امتطت أنامله جواد القلم فهو به المجيد أو اشتملت راحته على السيف فمن ذا عن فتكه يحيد أو اعتقل رمحاً فلا يحمى منه حصن مشيد ولا عمر حديد . يقول فتطرب الأسماع عند مقاله ويؤدى الرسايل فتعجب الأفكار من حسن استرساله ، لا يخرج فيها عما اعتاده من صدق اللسان ، ولا يتحمل منها إلا ما جمع من الحسن والاحسان . قد تنزل من

المملكة منزلة اليد الباطشة إلا أنها اليمين ، واللسان الناطق إلا أنه لا يمين . يتحمل الدست منه بخير أمير آمر والدولة بأجل مناضل مناظر ، والكتايب بأشجع الشجعان ، والكتب بما يضمنها من اللفظ الذى طالما قام فيه تأثير اللسان عن تأثير السنان .

ولما علمت الأقلام ما استوجبه عليها من حقوق ، وتحققت من فضله ما أخفوه طرف من العقوق ، أدت مفترض حمده فى محراب هذا الطرس راكعة ساجدة ، ووفت ديون تقريظه وكيف لا وهى بالامتداد منه واجدة . فخرج الأمر الشريف العادلى المولوى السلطانى الملكى الناصرى ، لا زال يضاعف للأولياء التحويل ويجزل لهم التنويل ، ان يجرى فى اقطاعه ما رسم له به الآن من الاقطاع والجهات الديوانية لخاصته ولمن يستخدمه من الأجناد الجياد المعروفين بالخدمة » .

وفى رأينا أن بيبرس المنصورى يعتبر بحق شخصية فذة فى تاريخ المماليك . فهو لم يتعمق فى اللغة العربية فحسب ، بل دأب على القراءة والاطلاع والبحث فى العلوم الدينية ، وساعده على ذلك استعداده الشخصى وانشراح صدره للاسلام وعكوفه على الصلاة والتعبد .

ويظهر ذلك بوضوح فى كتاباته التى رصعت بآيات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة .

ومن يقرأ كتابه « مواعظ الأبرار »[1] الذى ألفه بعد خروجه من السجن « لينتفع به المريد فى انقطاعه إلى عبادة ربه المعبود ويرفض ما سواه من الوجود » سيدهش لتبحره فى العلوم الدينية وتذوقه لحلاوة القرآن ، ولتفسيره الصوفى له . ولقد ذكر السيوطى [2] عندما تكلم عن بيبرس أنه « صاحب التاريخ المسمى بزبدة الفكر فى أحد عشر مجلداً والتفسير [3] » . ويغلب على ظنى

(١) مخطوطة Patna رقم ١٤٤٠ .

(٢) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٢٠ .

(٣) انظر كذلك اسماعيل باشا البغدادى ، هدية العارفين ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

أن مواعظ الأبرار هو ذاته التفسير الذى يعنيه السيوطى . فالواقع أننى لم أعثر على ذكر لكتاب مواعظ الأبرار فى أى من المصادر التاريخية العربية أو كتب التراجم التى اقتصرت على ذكر تفسيره للقرآن ، وهو قول صحيح لأن مواعظ الأبرار لا يخرج عن كونه تفسيراً لسور القرآن الكريم . زد على ذلك أن بيبرس المنصورى هو الذى أنشأ بخط سويقة العزى « المدرسة الدوادرية » (١) المنسوبة إليه ، لتدريس المذهب الحنفى الذى كان ينتمى إليه .

لقد أجمع المؤرخون وكتاب التراجم على أنه كان « عاقلا كثير البر » و « فاضلا بارعاً عارفاً سيوسا ذا مشاركة وفضل . . . وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون يحبه ويقوم له لما يدخل عليه ويأذن له بالجلوس » (٢) وقد اشتهر بورعه وتقواه ، فعرف بيبرس بن عبد الله (٣) . وقال عنه الذهبى (٤) أنه كان « عاقلا وافر الهيبة كبير المنزلة . فقد تبحر فى دراسة مذهبه الحنفى وتفقه فى الدين وعلومه حتى أجيز بالافتاء والتدريس . وكان يلازم الصلاة فى الجماعة ويمضى نهاره فى سماع الحديث ويقضى ليله فى تلاوة القرآن والتهجد » .

وقال ابن العماد فى شذراته (٥) « أنه كان له بر ومعروف كثير الصدقة سراً . . . » وأضاف « مع طلاقة الوجه ودوام البشر » . هذا إلى جانب تواضعه وتحليه بفضيلة التسامح التى تظهر فى اختياره كاتباً نصرانياً له

---

(١) انظر المقريزى ، سلوك ، ج ١ - ٢ ، ص ٢٦٩ .

(٢) انظر الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج ١٠ ، ص ٣٥٢ ، وأعيان العصر له ، مخطوطة أيا صوفيا صفحة ١٠٢ ظهر ، وأبو المحاسن ، المنهل الصافى ، مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥ تاريخ ، صفحة ٣٧٠ ، والسخاوى ، الإعلان بالتوبيخ ، بغداد ١٩٦٣ ص ٣١١ ، وذيل دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

(٣) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، صفحة ٣٧٠ .

(٤) انظر الدرر الكامنة لابن حجر ، جزء ٢ ، ص ٤٣ ، القاهرة ١٩٦٦ ، الذى ينقل عن الذهبى .

(٥) شذرات الذهب ، ج ٦ ، ص ٦٧ ، بيروت ١٩٧٩ .

هو شمس الرياسة ابن كبر [١]، الذى ظل طوال حياته يعترف لمخدومه بالفضل، حتى بعد أن ترك خدمته ليتفرغ الكنيسة حيث صار خادماً للكنيسة الكبرى الكاتدرائية أيام كانت بالمعلقة بمصر . وكان قساً فاضلا عالماً ، وله مؤلفات مشهورة فى علوم اللاهوت ، وهو الذى اختصر مؤلف مخدومه بيبرس المنصورى « زبدة الفكرة » فى كتاب أسماه « مختار الأخبار » [٢] .

وتلك نبذة صغيرة عن هذا الرجل العظيم الذى جمع بين الدين والدنيا وبين السيف والقلم ، فقد تقلد أعلى المناصب المدنية ووصل إلى أسنى المراتب الدينية ، ممثلا بذلك نوعاً نادراً وفذاً من المماليك .

أهمية مخطوطة « التحفة الملوكية » ووصفها :

لم يهتم المؤرخون المحدثون بكتاب «التحفة الملوكية فى الدولة التركية» الاهتمام اللائق به ولم يعيروه ما يستحقه من عناية ، ربما بسبب اعتماده على السجع فى سرد الأحداث التاريخية . فقد ذكر الأستاذ كلود كاهن فى مؤلفه عن « شمال سوريا فى عصر الصليبيين [٣] » ، ان هذه المخطوطة لا تعدو أن تكون مختصراً للمجلد العاشر من كتاب «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة». غير أنى تنبهت ، وأنا أقرأ هذه المخطوطة أثناء إقامتى فى فيينا ، أنها ليست مختصراً « للزبدة» ، ولكنها مصدر آخر من المصادر الأولية لعصر الناصر قلاوون الذى كتب من أجله ، فهى حافلة بالتفاصيل التاريخية التى لا مثيل لها فى « الزبدة » . فضلا عن أن « التحفة » تضاهى « الزبدة » فى كثير من الأحيان من حيث وضوحها ودقتها [٤] . ناهيك عن أن « الزبدة » تقف بنا عند مشارف سنة ٧٠٩ هـ ، فى حين أن « التحفة » تمتد بنا إلى آخر سنة ٧١١ هـ ، أى أنها تزيد على « الزبدة » ثلاث سنوات طوال من تاريخ مصر ،

---

(١) انظر مقالى فى دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية ، مادة ابن كبر . Ibn Kabar

(٢) انظر مخطوطة الأمبروزيانا رقم MSC 45 Inf.

(٣) راجع Cl. Cahen, la Syrie du nord ..., Paris 1940, p. 79.

(٤) وقد أكد D.P. Little ، نفس الشىء ، راجع له An Introduction to mamluk Historiagraphy, Wiesbaden, 1970, p.6.

أولاها المؤلف عناية خاصة ، وأسهب فى تفاصيلها وأحداثها [١] ، بعد أن كان قد وصل إلى أعلى الوظائف . زد على ذلك أن كتاب « التحفة »هو المؤلف الوحيد الذى يمكن أن يعزى إلى بيبرس المنصورى دون عناء أو بحث حيث أنه قد وصلنا برمته ، موسوماً بعنوانه وباسم مؤلفه، وهو الأمر الذى لا ينطبق على مخطوطة المجلد العاشر من « زبدة الفكرة » التى أدت الصدفة وحدها إلى العثور عليها ضمن مخطوطة أخرى دون ذكر عنوان الكتاب أو اسم مؤلفه ، وما استتبع ذلك من قيام الدارسين بالبحث والتنقيب لكى يتسنى لهم فى نهاية المطاف نسبته إلى بيبرس المنصورى [٢] .

وواضح أن بيبرس المنصورى ، بعد أن انتهى من تاريخه الكبير « زبدة الفكرة » ، أراد أن يسجل لسلطانه الناصر قلاوون تاريخ دولة المماليك ، التى يطلق عليها اسم الدولة التركية ، لانحدارهم من أصل تركى ، وأن يؤرخ لهذه الدولة على حدة منذ توليها السلطة فى مصر عقب اندثار حكم الأيوبيين . فكتب هذه « التحفة » فى سنة ٧١٠ هـ ، واستكملها حتى سنة ٧١١ هـ ، وجعلها هدية للسلطان الناصر قلاوون ، اعترافاً منه بفضله عليه ولكى « يشرفه بمطالعة (هذا التاريخ) ويعطره بملاحظته ويجتلى منه أنوار سلفه الشهيد ويجتنى ثمار تصرفه السعيد » . وقد ذكرنا أن هذا التاريخ ينتهى بأحداث عام ٧١١ هـ ، وهو تاريخ تقلد بيبرس المنصورى لأعلى المناصب فى الدولة بعد منصب السلطان ، ألا وهو منصب نائب السلطنة فى مصر إبان حكم الناصر قلاوون . وكان فى نيته أن يواصل تاريخه هذا ، إلا أن القبض عليه وحبسه سنة ٧١٢هـ نتيجة الوشاية به [٣] . — حيث أمضى فيه خمس سنوات طوال — قد حال دون ذلك . ومع هذا نرى أن بيبرس المنصورى ، بعد أن خرج من سجنه

---

(١) استأثرت هذه السنوات الثلاث وحدها بما يقرب من ٣٢ ورقة من المخطوطة (من الورقة ٩٣ إلى الورقة ١٢٥) ، وذلك من مجموع ورقات المخطوطة البالغ ١٢٦ ورقة .

(٢) انظر E. Ashtor, Some unpublished sources for the Bahari period, Studies in Islamic History & civilization, p. 12.

(٣) انظر المقريزى ، السلوك ، ج ٢ — ١ ، ص ١١٧ .

وبعد أن استعاد بعض مجده الغابر ، يحاول أن يؤرخ لأحداث عام ٧٢١ هـ، ولكنها كانت محاولة على استحياء توقفت فى بداية الطريق .

لقد كتب بيبرس المنصورى تحفته «وجعلها خمسين مقاماً ذهبياً لا خمسين مقامة حريرية ، كلها مبنى على التحقيق ، عرى عن التلفيق ، مستقرين بالمباشرة لأكثره ، والاستثبات لما لم أحضره من أيسره ». والمخطوطة تكشف لنا عن شغف المؤلف بالتاريخ وحبه واعتنائه بسرد الأحداث والوقائع لقيمتها التاريخية فى حد ذاتها ، وذلك على النقيض من جمهرة المؤرخين العرب الذين قد يؤثرون سرد الأحداث تبعاً لما تتركه من آثار على حياة الشخص الذى يكتبون من أجله تاريخهم . كما تتمتع كتابات بيبرس المنصورى ، بتداعى الأفكار فى أسلوب فصيح ، رغم ما يقدمه من أعذار عن التقصير فى العبارة والجمل « إذ كان هذا المضمار ليس بميدان الأتراك ولا لهم فى حلبته اشتراك » . ولكنه يشدد بنفسه على ولعه بالتأريخ فيقول فى مقدمة «التحفة» « انى صرفت الهمة إلى تدوين التواريخ والسير وتلخيص ما فيها من خبر مختبر ، وإبداعها صدور الطروس لتكون عبرة لمن اعتبر » . وقد اقتصر بيبرس المنصورى فى تحفته على ذكر الأحداث مرتبة وفق السنين الهجرية ، على عادة المؤرخين فى عصره ، دون الخوض فى ذكر من توفى من مشاهير الرجال أو الأعلام . وقد استخدم فى مؤلفه هذا أسلوباً يعتمد على السجع والمحسنات اللفظية على طريقة أهل زمانه ، دون الإخلال بسياق الوقائع التاريخية التى أوردها ، مستنداً فى ذلك إلى المصادر الموثوقة ، وإلى معايشته للأحداث . فالجزء الأول من المخطوطة الذى يغطى الفترة من ٦٤٧ هـ إلى ٦٨٥ هـ ، يقوم أساساً على سرد الوقائع المأخوذة ممن سبقه من المؤرخين [١] أو على ما سمعه من النقلة الذين عركوا الأحداث وعاصروها . وعلى سبيل المثال ، فان الدقة التى تتميز بها المعلومات التى زودنا بها عن المغول (التتار) ، ترجع إلى أن بيبرس المنصورى قد استقاها رأساً من سيف الدين

(١) وأهمهم ابن عبد الظاهر ، المؤرخ وكاتب الإنشاء فى عصر الملك المنصور قلاوون ، انظر دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية ، مادة «Ibn ‘Abd al-Zâhir

جنكلى بن البابا ، وهو من كبار الشخصيات المغولية التى وفدت على مصر سنة ٧٠٣ هـ .

أما الجزء الثانى من النص ، الذى يشمل السنوات من ٦٨٥ هـ إلى ٧١١ هـ ، فهو سرد حى لشاهد عيان . فبفضل ما تقلده بيبرس المنصورى من وظائف ، وقربه من قصر السلطان ودواوينه ، وما خاضه من معارك ، استطاع أن يشارك فى صنع الأحداث بصورة مباشرة ، على الصعيدين السياسى والعسكرى . ولم يفته ذكر الأحداث البارزة التى مرت بها مصر والشام فى عصره : زلزال الاسكندرية فى ٧٠٢ هـ ، والمجاعة فى مصر عام ٧٠٧ هـ ، وتناقص النيل فى عام ٧٠٩ هـ ، وما صاحب ذلك من غلاء فى الأسعار ، وهو يحدثنا أيضاً عن المفاوضات والمساومات الدبلوماسية بين مصر وجيرانها المطلين على حوض البحر الأبيض المتوسط ، وعن اتصالاتها بالمغرب وعن علاقاتها بأرمينية ، واغارات سفن الفرنج على المراكب الإسلامية ، ووفاة قائد إحدى سفنهم الحربية واعتقال أحد أقرباء صاحب جنوة بند يتو زكريا .

وهنا نرى أن وظيفته الرسمية قد ساعدته على كتابة هذه الأخبار التى جمعها عن جنوة وصاحبها وأسماء رؤساء السفن الحربية عندما كان يعمل فى مشارفة أعمال ثغر الاسكندرية التى كانت تربطها بموانى البحر المتوسط وخاصة الموانى الايطالية ، علاقات بحرية وتجارية واقتصادية على درجة كبيرة من الأهمية .

أما عن الأحداث العسكرية ، فنظراً لاشتراكه شخصياً فى العديد من المعارك الحربية ، فان شهادته تعتبر ذات دلالة خاصة ، وذلك بالنسبة للمعارك الحربية التى دارت ضد المغول فى الشام وآسيا الصغرى وضد الحملات الصليبية الأخيرة . وهو لم يحاول فى أى وقت من الأوقات أن يمجد السلطان على حساب الأحداث التاريخية بل على العكس ، فان حبه واحترامه لسيده وولى نعمته السلطان الناصر قلاوون ، لم يمنعه من ذكر انهزامه فى وقعته مع الفرنج عند خروجه لقتالهم وهو ما زال له من

العمر ١٥ سنة ، والكسرة الشديدة التى منى بها فى هذه الموقعة ، وما حدث من بلبلة فى الشام ومصر ، وأرجع ذلك ، وبطريقة مستظرفة ، إلى النحس الذى يقع فى يوم الأربعاء وخاصة إذا كان آخر أربعاء فى الشهر ، واستشهد على ذلك بالقرآن الكريم وبما ثبت لدى المسلمين ! .

وقد يدهش المرء من أن هذه المخطوطة الوحيدة التى تضم ستين عاماً من التاريخ ، والتى دبجها قلم شاهد عيان فى أوائل القرن الثامن الهجرى ، قد ظلت حتى الآن على رفها فى مكتبة فيينا دون أن ترى النور ، مع أن من خلفه من المؤرخين الذين اقتبسوا منه فى القرن التاسع الهجرى ، سواء بصورة مباشرة كالنويرى وابن الفرات ، أو بصورة غير مباشرة كالمقريزى وأبو المحاسن ، صدرت طبعات محققة لمؤلفاتهم منذ عدة سنوات ! .

والمخطوطة الوحيدة التى وصلتنا والتى قمت بتحقيقها ، محفوظة فى المكتبة الأهلية بفيينا (١) ، وكان قنصل النمسا فى حلب ، ريترفون بيكيوتو قد أحضرها معه عند عودته من هناك وأهداها فى ذلك الحين إلى المكتبة الملكية فى فيينا ، وهى تتألف من ١٢٦ ورقة ، وكل ورقة تنقسم إلى صفحتين ، وطول الصفحة ٩,٢ سم وعرضها ٦,٥ سم ، وبها ١٩ سطراً . وهى مكتوبة بخط النسخ . ويبدأ المتن ، بعد البسملة ، على النحو التالى :

« الحمد لله ذى الفضل والاحسان والطول والامتنان ، الذى ألهم الإنسان وعلمه البيان وفضله بالنطق والتبيان حمداً باقياً ما بقى الزمان . . . » .

أما الحرد فقد جاء بعد موضوعين آخرين هما « ذكر تواريخ الأنبياء عليهم السلام » و « ذكر توجه علاء الدين أمير حاجب والأمير علاء الدين ايدغدى التليلى » . ومن العسير أن ننسب هذين الموضوعين إلى بيبرس المنصورى أو إلى غيره لعدم ورود ما يشير إلى ذلك ، فحرد الكتاب لم يضعه بيبرس المنصورى ، بل جاء بيد الناسخ على النحو التالى :

« تم وكمل بحمد الله تعالى .

---

(١) المكتبة الأهلية بفيينا ، Cod. Vindob. mixt 665, Arabisch 904.

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . كتبه بيده البالية لنفسه الفانية أفقر عباد الله إلى ربه العبد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن محمد راشد الكندى المعروف بابن لاقى وكان الفراغ من كتابته لخمس بقين من شهر رجب الفرد سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها بدمشق المحروسة بقاعة ابن النشابى غفر الله له ولوالديه ولمعلمه ولقاريه ولمستمعه ولجميع المسلمين آمين يارب العالمين » .

الطريقة المتبعة فى النشر :

١ — بما أن هذا الكتاب يعد مرجعاً من المراجع الأصلية ، فقد اكتفينا بايراد المتن كما هو ، مع الإشارة فى الحواشى إلى ما جاء فيه من أسماء أجنبية أو كلمات غريبة .

٢ — بما أن هذه النسخة لم تكتب بيد المؤلف فقد سمحنا لأنفسنا بتصحيح الأخطاء اللغوية والنحوية وأثبتنا أصلها فى الحواشى ، مع مراعاة أن يكون ذلك فى أضيق الحدود تجنباً لإفساد أسلوب المؤلف أو لغة العصر .

٣ — طمست بعض عبارات الكتاب ، وقد وضعنا مكانها عدة نقاط بقدر كلماتها ووضعناها بين قوسين (. . . . .) .

٤ — أثبتت الهمزة فى جميع المواضع التى خففت همزتها ياء أو واو ، مثل وقايع ، طايفة ، ساير ، جزو ، هولاى ، الخ . وقد قمت بتصحيحها دون الإشارة إليها فى الحواشى .

٥ — أثبتت الهمزة النهائية الواقعة بعد ألف مد فى جميع المواضع ، فكتبت الوزراء والقضاء بهمزاتها ، بينما أهملها الناسخ فى معظم الأحيان .

٦ — جاءت الضاد دائماً على شكل ظاء وبالعكس ، كما جاءت السين صادا والصاد سيناً ، وقد صححنا ها فى جميع المواضع .

٧ — رقمت المخطوطة حسب أرقام صفحاتها الأصلية المثبتة عليها ، وقد ذكر الرقم فى الهامش مشيراً إلى وجه الصفحة (أ) وظهرها (ب) .

هذا وقد زودنا الكتاب بفهارس للأعلام والأماكن الجغرافية والمصطلحات تيسيراً للباحث ووفاء بالغرض من هذا الكتاب الذى يعتبر مرجعاً أصيلا لهذه الحقبة التاريخية .

والله الموفق وعليه قصد السبيل .

رجب الفرد ١٤٠٥هـ ، مارس / آذار ١٩٨٥ م .

دكتور عبد الحميد صالح حمدان
دكتوراه الدولة فى الآداب والعلوم الانسانية
ودكتوراه التخصص فى التاريخ الإسلامى
وأستاذ التاريخ الإسلامى بالجامعات العربية والأوربية

كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية

تأليف العبد الفقير إلى الله تعالى

الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار الناصري

المنصوري تغمده الله برحمته و...

الفردوس الأعلى من جنانه ...

وكاتب الخطب ...

اللوحة رقم ١

مآثرها الشريفة الآمل وانا ادعوا الله مخلصا ان يديم ايامها ويمد
اعوامها حتى تتصل بالخلود الى اليوم الموعود ويملا مآثرها مجالس الوجود
وانا اسال الصفح عن التقصير في العبارة والحمل على ايجازه للمادة وان
ليس لي غرض بل مستعان اذ كان هذا الميدان الفسيح ميدان الادراك
ولا لمثلي في حلبته اشتراك ممن الخطل بالادباء في السبح على هذا
المنوال وان تجد عيبا فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا وفي تاريخ
سنة الحادي والعشرين توجهت المراسيم الشريفة السلطانية
المالكية الناصرية بتجريد من تعين من الامراء الموالي من العسكر
المنصور من الديار المصرية صحبة المقر العالي المولوي الكبيري
الجمالي جمال الدين اقوش الناصري المعروف بنايب الكرك المحروس
والمقر العالي المولوي الاميري الكبيري السيفي طرنطاي والمقر العالي
السيفي سيف الدين الماس الحاجب ومن عسكر الشام المحروس
المقر العالي المولوي السيفي سيف الدين بهادراص والمقر العالي
المولوي السيفي بكتمر وعسكر حلب مضاف للمقر العالي المولوي
العلائي علاء الدين الطنبغا الناصري النايب بها يومئذ وعسكر
طرابلس المحروسة مضافا لخدمة المقر العالي المولوي السهابي
شهاب الدين قرطاي الناصري وعسكر حماة المحروسة عن
معهم ونزلوا على مدينة اياس واشتد الحصار بينهم وكان اقامتهم
على الحصن المذكور مدة اربعين يوما وتهدمت اسوارها واسرت

رجالها وسبي حريمها وابناؤها واولادها وكان يوم عسير
على الكافرين غير يسير وانتقل العسكر المنصور الى
اماكنهم وصحبتهم الاسارى من اهل اياس واعيانهم من النصارى
يحملون في القيود والسلاسل الى الديار المصرية فنقل
من الناس اخبارا امراهم فيها على ما حكاه السمع والبصر
وانت الفتى تاريخا وقايعه فيها الكلام يوم الروع والصدر
فكم وصفت حروبا لم تعرك وقد بذلت نفسك فيها الاجر والظفر
وكل حصن واقليم بعث فقد اثنت فيه بما اقام النظر
ابقيت للترك ذكرا في الناس كيف علا الاسلام منتصر
فاسلم فانت الذي ما في الانام علا فالدين يعلو اليوم والملك فتمت ببلد

طالعه ... [illegible]
... الدين بن [illegible]
عفي عنه [illegible]
١٢١١/١/١٨ [illegible]

اللوحة رقم ٢

كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية

تأليف

العبد الفقير إلى الله تعالى

الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار الناصري المنصوري

تغمده الله برحمته وأسكنه الفردوس الأعلا

من جنته ولسائر المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذى الفضل والإحسان والطول والامتنان ، الذى ألهم الإنسان وعلمه البيان وفضله بالنطق والتبيان ، حمداً باقياً ما بقى الزمان ، مجدداً ما كر الجديدان ، مشفوعاً بالشهادة المخلصة فى توحيده ، المخلِّصة من هول وعيده ، والصلاة على نبيه محمد خاتم الرسل برسالته ، وناسخ الملل بملته ، وعلى آله وعترته وصحبه وعشيرته صلاة تثلج الصدور ، و (. . .) السرور وتلج الثغور ، وتزيد المؤمن نوراً على نور . ٢/ أ

قال العبد الفقير إلى الله تعالى بيبرس الدوادار الناصرى المنصورى ، عفا الله عن زلله وألهمه التقوى فى قوله وعمله أما بعد . فإنى صرفت الهمة إلى تدوين التواريخ والسير وتلخيص ما فيها من خبر مختبر ، وإيداعها صدور الطروس لتكون عبرة لمن اعتبر . وجمعت التاريخ المختصر المسمى بزبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة [1] ، انتهى به الاختصار وسياقة الأخبار إلى الدولة التركية وبدئها بالديار المصرية بعد انقراض المملكة الأيوبية ، فجعلتها جزءاً واحداً مستقلا بحجمه ، مستبداً بنثره ونظمه ، وبدأته بذكر الدولة المعزية [2] وما تقدمها من أسباب التمكين للبحرية [3] الذين كانوا كواكب الدولة الصالحية [4] (. . . . .) ث الممالك الإسلامية بالديار المصرية والشامية ،/ وسقتها مملكة بعد مملكة . ونسقتها دولة تلو دولة حتى ٢/ب انتهيت بها إلى دولة مولانا السلطان الشهيد المخدوم الملك المنصور سيف الدنيا

---

(١) وهو تاريخ كبير مرتب على السنوات ويقع فى أحد عشر جزءا ، انظر حاجى خليفة، ٩٥٢/٢ . ومنه الآن أجزاء متفرقة فى المكتبات العامة .

(٢) أى دولة المعز أيبك التركمانى ، أول سلاطين دولة المماليك البحرية (٦٤٨ — ٦٥٥هـ)

(٣) أى المماليك البحرية الذين أسكنهم الصالح أيوب جزيرة الروضة .

(٤) نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٤٧ هـ) .

والدين قلاوون الصالحى قدس الله روحه ، وسقى بعهاد الرحمة ضريحه ومن تلاه من بيته ومماليكه وذويه ، وما أجراه الله له ولهم من الفتوح الجسيمة والوقائع العظيمة ، والسعود الذى جنوا منها ثمر المنى والهمم الذى دعت الدهر المحزون فانقاد مذعناً ، وختمها بالدولة الغراء والمملكة الزهراء والسلطنة المؤيدة من السماء التى أمدها الله بتمكينه وخصها بتأييده وتحصينه ، وأظهر فيها معجزاته وشهر فيها ما هو من آياته ، ومكن لها تمكيناً ، وآتاها نصراً عزيزاً وفتحاً مبيناً ، وهى دولة مولانا وابن مولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ، خليفة رب العالمين على سياسة الإسلام والمسلمين محمد ابن السلطان الشهيد الملك المنصور المقدم ذكره أعز الله نصره وأنصاره وضاعف استظهاره واقتداره وملكه آفاق الوجود وأقطاره وأخضع (. . . . .) العباد ، وأذل بين يدى سطراته أهل (. . . .) لينسال منها المراد ويقرع ذوى (. . . . .) ثم اختصرت من الجزء المذكور جزءاً
٣ أ / (. . . . .) فيه وقربت ألفاظه ومعانيه وختمت به (. . . .) / السلطانية إذ كان تصنيف أصله وفرعه فى أيامه وتأليف وضعه بما أفاضه من فواضل إنعامه ليشرفه بمطالعته ويعطره بملاحظته ويجتلى منه أنوار سلفه الشهيد ويجتنى ثمار تصرفه السعيد ، ويتذكر ما آتاه الله من الرأى السديد والملك الذى لا يبيد ، فيبدى شكره دائماً ويعيد ويستزيد سوابغ نعمه ، فإن الشكر يقتضى منها المزيد وأنا أؤمل من الله تعالى جل جلاله أن عدد هذه الأيام الشريفة بالدوام والتخليد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ذكر الأسباب التى هيأها الله عز وجل لما أراده من تمليك الطائفة المؤمنة التركية على الملة الإسلامية

لما كانت وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب رحمه الله تعالى فى سنة سبع وأربعين وستمائة ، والفرنج المخذولون بثغر دمياط نازلون ، وأجلس ولده المعظم تورنشاه ، فلم يغن غناء ولم يبن فى تدبير الملك بناء ، فطوته أيدى الزمان ، وكان من أمره ما كان ، ونهض مماليك والده نهوض الأسود ، وبيضوا وجه الأيام السود ، وأزاحوا الإفرنج وكسروهم وهزموهم وأسروهم وأخذوا ملكهم المسمى ريدا فرنس [1] أسيراً ، وغادروا عسكره كسيراً وغنموا [2] الناس من أمواله وأمتعته كثيراً . ثم أنهم منوا عليه بالاطلاق وفكوه من الوثاق . فقال فى شأنه بعض شعراء [3] زمانه أبياتاً منها هذه :

قل للفرنسيس إذا جئتـــه ... مقال ذى صدق صريح نصيح
/ أتيت مصرا تبتغى ملكها ... تحسب أن الزمر ياطبل ريح /٣ب
فساقك الحين إلى أدهـــم ... ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحـــابك أوردتهم ... بحسن تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفاً لا يرى منهم ... إلا قتيلا أو أسيراً جـــريح

(١) أى ملك فرنسا Roi de France ، لويس التاسع .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعل المقصود هو « غنم » .

(٣) هذه الأبيات لجمال الدين يحيى بن مطروح ، انظر القلقشندى، صبح الأعشى ، ٥/١٣؛ وابن الوردى ، تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ٢/٢٦٦ ، ٢٧١ .

فقل لهم ان تضمروا عودة ... لأخـــذ ثار أو لقصد صحيح
دار ابن لقمان على حالهـــا ... والقيد باقٍ والطواشى صبيح

وضبطت البحرية المملكة ضبطاً حسناً ، وبسطوا فيها أيدى وألسناً ، ورتبوا الامير عز الدين أيبك التركمانى فى أتابكية العساكر (١) وتنفيذ النواهى والأوامر وتدبير الدولة . وزوجوه بشجر الدر ، وكانت زوجة الملك الصالح وعند وفاته كانت تتحدث فى الأمور وتنفذ تواقيعها وكتبها إلى الثغور . فتزوجها المذكور واستمر برهة على ذلك . ثم اتفقت الآراء وأجمعت الأمراء على توليته السلطنة لتكون القواعد حينئذ ممكنة . فألقوا المقاليد إليه ، واتفق إجماعهم عليه .

(١) وهى من وظائف أرباب السيوف ، انظر القلقشندى ، المرجع السابق ، ٣/٢٦٢ و ٤/٨ ، وانظر كذلك مادة Atabak al 'Asakir ، فى EI², I, 754. ، بقلم D. Ayalon

ذكر سلطنة الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى

وهو أول من ملك من الأتراك بالديار المصرية فى سنة ثمان وأربعين وستمائه وكان جلوسه فى الدست [1] يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر ، ولقب بالملك المعز ، ورنت إليه عين العز وركب فى موكب السلطنة ، وحمل أكابر الأمراء له الغاشية [2] ، ومشوا فى خدمته (. . . .) الحاشية ، وأتته السعادة تقودها أزمة (. . . .) ، وكتب (. . . .) الأقطار . / إلا أن شجر الدر [كانت] مشاركة له فى الأمر وعلامتها تخرج على التواقيع وهى مبجلة عند الجميع ، وكل من للبحرية لها مطيع . واتصلت هذه الأخبار بالسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز ابن الملك الظاهر ابن الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العادل أيوب وهو بدمشق لأنه كان قد حضر إليها بعد وفاة السلطان الملك الصالح ، واستولى عليها وأخذها مضافة إلى حلب واستقر بها ، فاستشاط لسلطنته المعز غضباً وثار وعزم على قصد هذه الديار — زعم — ليأخذ السلطنة لنفسه ويستدرك فارط أمسه وينتصر لبنى جنسه . ولم يعلم أن أيام تلك الدولة قد انقضت وبروق هذه قد أومضت . وشتان بين الإقبال والإدبار ، وهيهات استرجاع ما استلبته الأقدار . ولما ٤/أ

(١) وهو العرش فى أيامنا هذه ، انظر Dozy, Suppl, pp. 440-1 ؛ ودست السلطنة هو كرسى العرش . والدست أيضا يأتى بمعنى الديوان ، ويقال الدست الشريف وهو ديوان الإنشاء ، وأطلق على من يعمل فيه اسم « كاتب الدست » ، انظر القلقشندى ، المرجع السابق ، ٣/١٨٩ و ١١/٣٣٣ .

(٢) انظر Becker C., Le Ghashiya comme embléme de la Royanté, Palermo, 1910.

اتصل بالملك المعز والبحرية ما عزم الملك الناصر عليه من قصد الديار المصرية وتأهبه بالعساكر الشامية ، تشاوروا فى أمر يستوقفونه به عن المسير ورأوا من صواب التدبير أن يقيموا شخصاً من بنى أيوب تلافياً لهذه الخطوب فعينوا من ذرية الملك الكامل مظفر الدين موسى ابن الملك المسعود ، فأجلسوه فى دست السلطنة وهو شاب حدث السن له من العمر تقدير عشر سنين . وكان ذلك فى يوم الخميس لخمس خلت من جمادى الأولى من هذه السنة
٤ب/ وضربت السكة / باسمه مشتركاً مع اسم السلطان الملك المعز ، وأقيمت الخطبة لهما معاً ، وصدرت التواقيع والمناشير والمراسيم عنهما ، وظنوا أن ذلك مما يثبت الملك الناصر ويوقفه ويثنى عزمه عن الديار المصرية ويصرفه . فلم يثنه إقامة قريبه ولا خلف رقبة رقبته بل جهز جماعة من العسكر الحلبى والدمشقى لقصدهم . فجرد من مصر عسكراً وقدم عليه الأمير ركن الدين خاص ترك الصالحى ليكونوا قبالة من هجم من العساكر الشامية ، فساروا إلى غزة وأقاموا فيها ، فاتصل بهم أن الملك الناصر قد جهز جمعاً كثيراً من العساكر ، فخافوا عاقبتهم وخشوا غائلتهم ، فاندفعوا راجعين حتى إذا وصلوا إلى السائح [1] خيموا به وأقاموا بالصالحية معتقدين فى نفوسهم أن الأمر قد اضطرب وسبب الملك بمصر قد نشعب . ومالوا إلى جهة الملك المغيث ابن العادل صاحب الكرك ليخلصوا من (. . . .) ليشعرونه بانحيازهم إلى فئته وانقيادهم إلى طاعته ، وصلوا الجمعة بجامع الصالحية وأشاروا إلى الخطيب بذكر اسمه فى الخطبة . ونمت هذه الأخبار إلى علم السلطان الملك المعز ، ففت فى عضده وخاف انصرام الأمر من (. . . .) وأذاعه (. . .) للخليفة (. . . . . . .) وأنه نائبه فى الولاية على أمور (. . . .) والعساكر
٥أ/ / له وللملك الأشرف موسى ابن المسعود ، وجرد جماعة إلى الصالحية لأخذ أولئك النفر الذين فيها بسبب ميلهم إلى المغيث دونه . فلما ساروا إليهم المجردون تفرقوا وتفللوا وتمزقوا وتسللوا ، وأقام بعضهم بمكانه لم يبرح وتبع العسكر

---

(١) أرض السائح بجوار العباسة ، راجع
Quatremère, Histoire des Sultans Mamluks, TI-A, p. 33.

كل من تسحب منهم وتزحزح . فأخذوهم حيث وجدوهم ، وأسروهم وصفدوهم . وأرسل المعز الخلع والنفقات إلى من أقام منهم . فحمدوا عاقبة الثبات ،وظفروا بالسلامة والصلات . وتوجه الأمير فارس الدين اقطاى الجمدار الصالحى وهو يومئذ كبير البحرية ومعه ألفا فارس من العساكر المصرية للقاء الطائفة التى وصلت من العساكر الناصرية . فلم يقدموا بل لوقتهم انهزموا . ولما عادوا إلى الملك الناصر ، سار بنفسه من الشام فى جيشه العام، وأمسك الملك الناصر داود ابن الملك المعظم ابن العادل بمدينة حمص لأمور وجد عليه بسببها وسجنه . وكان داود شاعراً وفى الأدب ماهراً ، فقال فى محبسه أبياتاً منها هذه :

إلهى إلهى أنت أعلا وأعلم ... بمحقوق ما تبدى الصدور وتكتم
أغثنا أغثنا من عهانا يكن لنا ... بك النصر حتى يعزلوا ثم يهزموا
فنصرك مجعول لنـــا ومعجل ... وبرك معلوم لدينـــا ومُعْلَم

ذكر الوقعة بين الملك الناصر والمعز

بالعباسة [1] فى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فوصل المشار إليه / بعساكره وجحافله وأقاربه وقبائله وأهل بيته وذويه وبنيه وبنى أبيه . فوصل واجتمع بالملك الناصر ، وحضر إلى المعز وبلغهما سفارة [2] الخليفة بينهما فأجابا وتقرر الصلح . وعاد كل من العسكرين إلى موضعه. وانقضت سنة تسع وأربعين وستمائة . /٥ب

(١) العباسة بمصر وتنسب إلى العباسة بنت أحمد بن طولون ، انظر EI-, article «Abbasa» ، بقلم G. Wiet .

(٢) انظر ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ٥٥ ؛ وأبو الفدا ، المختصر ، ٣/١٩٩ ، والنجوم الزاهرة ٧/٥٧ .

ودخلت سنة خمسين وستمائة :

فيها نافقه العربان بالسعيد [1] ، فتوجه إليهم المخدوم الشهيد والأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى وكسر شوكتهم .وفيها أبطل المعز ذكر الأشرف من الصلاة وأزال عنه سمة المملكة ، وانقضى أمره . فكان مدته سنة واستقل الملك المعز بالملك استقلالا ظاهراً ، ورتب مملوكه الأمير سيف الدين قطز المعزى فى نيابة السلطنة وصير إليه أمر الجيوش. وهو أول من ولى هذه الوظيفة فان بنى أيوب إنما كانوا يتخذون الوزراء على نسبة أمر المصريين. وكان للجيش مشد [2] يجلس مع دواوينه ، فاستن الترك هذه السنة وكانت حسنة ، وثبت لمماليكهم بها قواعد متمكنة . ومما تجدد فى هذه السنة موت باطو [3] بن ذو سخان ابن جنكيز خان ملك التتار ، وجلوس سرطق [4] مكانه ، وفيها أرسل منكوقان [5] أخاه وولاته إلى أعمال العجم . فبدأ ببلاد (. . . . .) الملاحدة فقتل منهم جمعاً ، واستولى على قلاعهم ، وجد فى انتزاعهم ، وتطاول إلى عراق / العجم شى بعد شى [6] . / ٦ أ

(١) كذا فى الأصل ، ولعل المقصود هو « الصعيد » أى الوجه القبلى فى مصر .

(٢) انظر Dozy, Suppl. I, p. 736.

(٣) وهو باطو بن دوشى بن جنكيز خان ، انظر مادة Batu ، فى EI², TI, p. 1138 ، بقلم W. Bartold .

(٤) وهو سرطق بن باطو ، انظر مادة Sartaq فى Histoire Universelle, T II, p. 1449, (Encyclopédie de la Pléiade), Paris, 1957 ; et Blochet, Histoire des mongols, p. 221.

(٥) أخو صاحب التخت بقراقوم ، راجع القلقشندى ، المرجع السابق ، ٤/٤٧٤ ، ٥/٣٦٠ ، وهو منكو تيمور Monkké - Témour أخو سرطق .

(٦) كذا فى الأصل ولعل المقصود « شيئا بعد شىء » .

ودخلت سنة إحدى وخمسين وستمائة :

فيها استفحل أمر الأمير فارس الدين اقطاى الصالحى استفحالا [1] عظيماً، وقويت شوكته وانحازت إليه البحرية، وأخذ لنفسه ثغر الاسكندرية. وكان ينعم بالأموال الكثيرة ، ويعطى العطايا الغزيرة ، ويأمر على المعز فى مقاصده فلا يقدر على خلافه ، وأرسل يخطب إلى صاحب حماه ابنته . والمعز يسر ذلك فى نفسه .

(١) « ستحفالا » فى الأصل .

فلما دخلت سنة اثنتين وخمسين وستمائة :

عزم على إعدامه . فاتفق مع بطانته على اخترامه [١] ، واستدعاه إلى القلعة ، ففيها (. . . . . .) الصرعة ولما شاع الخبر بقتله ضاق بخشداشيته [٢] الفضاء ، ونزل بهم القضاء ، وتيقنوا التلف ، وتأسفوا ولا يجدى الأسف ، فأجمعوا على التوجه إلى الشام ، وبه يومئذ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز ، فخرجوا ليلا من القاهرة ، وكان فيهم من الأعيان الأمير ركن الدين البندقدارى [٣] والأمير سيف الدين قلاوون الألفى [٤] المخدوم ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر [٥] . والأمير بدر الدين بيسرى [٦] وغيرهم . فساروا مجدين إلى دمشق . فأقبل الملك الناصر عليهم وأحسن إليهم وأعطى منهم من الاقطاعات ما تهيأ ، وأما المعز ، فإنه لما أصبح ولم يجد منهم أحداً ، أمر بالحوطات [٧] على أموالهم وأملاكهم وبيوتاتهم وأتباعهم وألزامهم . واستصفيت أسبابهم [٨] بكمالها ، ونهبت

---

(١) أى إهلاكه والقضاء عليه وقتله ، وهو من فعل اخترم .

(٢) كلمة معربة أصلها فارسية ، راجع Dozy, Suppl. I, p. 357

(٣) أى الظاهر بيبرس .

(٤) أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، طبعة فييت ، الترجمة رقم ١٨٧٨ .

(٥) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١١١٢ .

(٦) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٧٣٢ .

(٧) جمع « حوطة » ، انظر Dozy, Suppl. I, p. 337

(٨) أى أموالهم ، وهى جمع « سبب » ، راجع Dozy, Suppl. I, p. 623.

٦ب/ دار / الفارس أقطاى ، وحمل من موجوده إلى بيت المال حمل كثيرة ، ونودى على من بقى منهم ، وتهدد من يخفيهم ، فشملهم الخمول وزالوا كالغى حين يزول . وأمّر المعز مماليكه على إقطاعات النازحين، وخولهم ما كان لهم من النعم التى كانوا بها فرحين . ولما استقر البحرية عند الناصر زمناً قليلا جرد معهم بعض عسكره ، فساروا إلى الأغوار ثم نزلوا على العوجاء إذ كانت توافقهم للاستقرار . وبلغ المعز مسيرهم ، فخرج بالعساكر وفيهم جماعة من العزيزية [١] الذين كانوا قد أووا إليه ونزل على البياردة [٢] بالقرب من العباسة . وانقضت هذه السنة وهم على ذلك . وفى هذه السنة وصل الشريف المرتضى من الروم ومعه بنت السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسروا صاحب الروم . وكان الناصر قد خطبها لنفسه . فزفت إليه بدمشق ، ودخل بها ، واحتفل لها احتفالا كثيراً . ومما تجدد فيها أن مات صرطق ابن دوشى خان ببلاد الشمال ، وجلس بعده بركة [٣] ابن باطوخان ابن دوشى خان ، وهو الذى أسلم ، وأخذ التتار الذين فى مملكته بالإسلام ، وسنذكر ذلك فى موضعه .

---

(١) أى المماليك الترك ، وكان منهم مماليك والد الملك الناصر ، راجع أبو الفدا ، المرجع السابق ، ٣/١٩٣ .

(٢) لم أهتد إليها .

(٣) راجع Blochet, op. cit, p. 170 .

ودخلت سنة ثلاث وخمسين وستمائه :

فكان مما تجدد فيها عصيان الشريف حصن الدين بن ثعلب [1] ببلاد الصعيد ، ووافقه على رأيه الأمير عز الدين الأفرم [2] وهو إذ ذاك والى قوص وأعمالها ، فتحيل المعز على الشريف حصن الدين بن ثعلب / ببلاد الصعيد كان ، حتى إنه أحضره واعتقله بالاسكندرية . وأما الأفرم ، فإنه تراخى فى طلبه رعاية الخشداشية واشتغالا بما بين يديه من مكافحة البحرية ومطاولة الجيوش الناصرية . وفيها كانت وقعة بين بركة بن باطو وبين هولاكو [3] ابن طول ملوك التتار ، فكانت الكسرة على هولاكو . ونشأت الحرب بينهما من ذلك الحين ، وصارت العداوة بين الطائفتين موروثة . وكان فيمن شهد الوقعة المذكورة نوغيه ابن مغل ابن دوشي خان ، فأصابته طعنة فى إحدى عينيه فعور . / ٧ أ

(١) ابن الأمير نجم الدين على ، من سلالة ثعلب الجعفرى ، انظر العمرى ، التعريف بالمصطلح الشريف ، ص ١٨٨ . وانظر كذلك SALEH, Abdelhamid, Les relations entre les Mamluks et les Bédouins d'Egypte» in Annali dell Instituto Orientale di napoli, Vol. 40 (N.S. XXX), Napoli, 1980, p. 366, efnote 7.

(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٥٦٨ .

(٣) انظر مادة Hulagu ، فى , EI², T III, p. 589

ودخلت سنة أربع وخمسين وستمائة :

فيها تقدم العسكر الذى ذكرنا وصوله من جهة الناصر من منزلة العوجا إلى تل العجول ، والمعز على منزلة يأخذ فى تقليب آرائه ويجول . فاتفق وصول رسول من بغداد من عند الخليفة وهو يومئذ المعتصم بالله (١) ساعياً فى تقرير الصلح بين الناصر والمعز ، فتقرر الوفاق وعاد كل من العسكرين إلى موضعه من غير شتماق . وفى هذه السنة كان دخول التتار بلاد الروم المرة الأولى صحبة بيجوا وجرماغون .

(١) ثامن الخلفاء العباسيين ، انظر مادة Abbassides ، فى EI², TI, p. 15-24

ودخلت سنة خمس وخمسين وستمائة :

فيها كان مقتل الملك المعز بالحمام وسقى فى القلعة كأس السم باتفاق زوجته شجر الدر زوج الملك الصالح مع الخدام لأنها غارت من إعراضه عنها وكونه أرسل إلى صاحبى الموصل وحماه يخطب ابنتهما عوضاً عنها ، فكانت / مدة مملكته خمس سنين وشهوراً . واتفق مماليكه على إقامةولده /٧ب مقامه . فأجلسوه ولقب المنصور [١] ، وكان اسمه نور الدين على ، وله من العمر عشر سنين [٢] ، وذلك فى ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمائه. ودبر له قطز [٣] مملوك والده الدولة ، وقتل شجر الدر بما فعلته بأستاذه شر قتلة . وأما البحرية فإنهم فارقوا الناصر نافرين منه ، وقصدوا المغيث صاحب الكرك وسألوه إنجادهم بعسكر ليقصدوا مصر . فأنجدهم بمن كان عنده ، فساروا حتى وصلوا الصالحية . فجرد إليهم الأمير سيف الدين قطز عسكراً فالتقوا على السائح ، فكانت الكسرة عليهم ، وهرب أكثرهم وحصل مخدومنا [٤] قدس الله روحه وسيف الدين الرشيدى فى الأسر ثم خلص ولحقه بخشداشية .

---

(١) أبو المحاسن ، مورد اللطافة ، ص ٣٥ .

(٢) جاء فى ابن الوردى ، المرجع السابق ٢٢/٢٨٠ ، أن عمره كان « خمس عشرة سنة » ، وهو ماجاء أيضا فى أبو الفدا ، المرجع السابق ، ٣/٢٠١ .

(٣) أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، الترجمة رقم ١٨٦٤ ، ومورد اللطافة ، ص ٣٦ .

(٤) أى المنصور قلاوون .

ودخلت سنة ست وخمسين وستمائة :

فيها سار المغيث من الكرك وصحبته البحرية إلى الديار المصرية . فلما وصل الصالحية جاءه بعض الأمراء المصريين مخامرين ، وكانوا بذلك من قبل متآمرين . وخرج عسكر مصر إليهم فلقوهم واتقعوا بالصالحية أيضاً ، فانكسر المغيث وهرب طالباً الكرك وتوجه البحرية نحو الغور وقد تحيروا فى أمرهم ، فجرد إليهم الناصر عسكراً فلقوهم بالأغوار . فكان للبحرية الاستظهار وانكسر عسكر الناصر ورجع إليه وهو حاضر ، فتجهز لهم
٨ أ / بنفسه ، فعلموا عجزهم عن مصادمته / ، وتقصيرهم دون مقاومته ، فتفرقوا طالبين النجـــاة ، فتوجهوا إلى المغيث ، وتوجه من كان معهم من الشهرزورية [1] إلى الديار المصرية فصادفوا التركمان على الماء وقد أمضهم فرط الظماء ، فاقتتلوا معهم قتالا أجرى ينابيع الدماء . وبلغ الناصر أن المغيث قد آوى البحرية بنفسه عنده ، وصيرهم أمراءه وجنده ، فأرسل يطلب منه تسليمهم ، فدافعه عنهم ، فتهدده وتوعده ، وسار إلى بركة زيزا وخيم عليها ، وأظهر العزم على قصد المغيث مخافة على بلاده إذ لا قدرة له على عناده ، فطاوعه على مراده ، وأمسك من قدر عليه منهم ، وأرسله إلى الناصر ، وأرسلهم الناصر إلى قلعة حلب ، فسجنوا فيها وهم : سنقر الأشقر وسكز وبرامق وغيرهم ، ونجا الأمير ركن الدين بيبرس البند قدارى ، والمخدوم الشهيد وخشداشيتهم من يد المغيث لأنهم كانوا على بصيرة من أمرهم ، فلم

---

(١) الأكراد الشهرزورية ، ابن الوردى ، المرجع السابق ، ٢/٢٩٣ .

يجعل الله له عليهم سبيلا ، فتشردوا مدة ثم حضروا إلى الديار المصرية .
وفى تلك المدة التى كانوا فيها متفرقين ، ومن الزاد مملقين ، عبروا بالشيخ الصالح على البكا [1] بمدينة الخليل عليه السلام ، فبشر البندقدارى والمخدوم بأن كلا منهما سوف تصير السلطنة إليه ، ويلقى زمامها بيده . فحقق الله بشارته وكمل إشارته . وفى هذه السنة ، سنة ست وخمسين وستمائه ، حضر هولاكوا بعساكره إلى بغداد وأخذها على ما أراد الله الذى ليس لحكمه راد.
وقتل / الخليفة المستعصم بالله ، وفعل ما فعل بالعراق من القتل والسفك /٨ب
والتخريب والإحراق ، وامتد إلى ما يليها من الممالك ، فتمكن الذعر من النفوس ، واستشعروا [2] الناس لباس البؤس . وسار إليه صاحب الموصل خاضعاً . وأرسل الناصر صاحب حلب ولده العزيز إليه طائعاً، وما من ملك بين يديه إلا ألطفه ولا طفه ممانعاً . وأما العصابة التركية ، فأخذتهم العصبية وحركتهم للدين الحمية ، وعزموا على إقامة سيف الدين قطز ملكاً ، فإنه كان فى المملكة مشاركاً ليحضر معهم المصافات التى كانوا يتوقعونها ، ويمارس الحروب التى كانوا ينتظرونها لصغر سن ولد المعز عن مكافحة ذلك كله ، فهموا بعزله وتوليه الأمير سيف الدين قطز المعزى لشهامته وهمته.

(١) انظر مخطوطة « زبدة الفكرة » لبيبرس المنصورى ، الورقة ٣٠ أ .
(٢) كذا فى الأصل ، ولعل المقصود هو « واستشعر » .

ودخلت سنة سبع وخمسين وستمائة :

وهم على مثل ذلك الرأى ، والضرورات تقودهم إليه ، والأراجيف بأخبار الأعداء تحملهم عليه . ومما تجدد فى هذه السنة وفاة الملك الرحيم بدر الدين [1] صاحب الموصل على فراشه بمرض أصابه بعد عودته من عند هولاكوا ، وكان له فى المملكة أربعون سنة ، واستقر بعده ولده الصالح إسمعيل ، وحضر ولده على إلى الشام ، وفيها استدعى هولاكوا ولدى صاحب الروم [2] كيكاوش وقلج ارسلان ، فتوجها إليه طائعين . وفى شهر ذى الحجة منها قوى العزم على سلطنة الأمير سيف الدين قطز ،
٩ أ / فجلس على سرير الملك / ولقب بالملك المظفر فى اليوم الرابع من شهر ذى الحجة . وخلع المنصور نور الدين على ابن المعز من السلطنة ، ولم يتعرض له بسوء فى نفسه إلا أنه مكث برهة فى حبسه .

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٩٤٤ .

(٢) وهو كيخسرو بن كيقباذ ، صاحب بلاد الروم (ت ٦٥٤ هـ) .

ودخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة :

فيها نزل هولاكوا على حلب فأخذها وقتل من أهلها خلقاً عظيماً . وكان الناصر بدمشق فى وهن من أمره واضطراب من رأيه ، فألجأه رعبه من التتار إلى الفرار ، فسار إلى جهة الشوبك [1] فى البرية ، ووصل شحنة [2] هولاكوا إلى دمشق فسعى إليه بالملك الناصر ، فأرسل جماعة من التتار ، فأخذوه وحملوه إلى هولاكوا . فسار هولاكوا راجعاً عن حلب ، وجرد كتبغانوين فى اثنى عشر ألف فارس ، فسار قاصداً الديار المصرية ، وأرسل رسلا إلى المظفر يأمره بالطاعة أو تعبئة الضيافة ، فقتلهم صبراً ، وسار لوقته بالعساكر الإسلامية والجيوش المحمدية يطوى المراحل حتى أتى لعين جالوت [3] ، وقد وصلها الطاغوت كتبغا نوين ، وذلك أنه منذ أرسل رسله إلى المظفر سار ومن معه إلى التتار ، ومن انضم إليه من أهل البلاد وكثرة السواد ، واتعد مع فرنج الساحل ، وصحبه من لاذ به من فارسهم والراجل ، ووافى المظفر فى كتائبه ومواكبه . ولما التقت الصفوف وأسلت السيوف ، وأصليت الأبطال نيران الحتوف ، برز الملك المظفر بمن ظافره من أهل الإيمان وآزره من الفرسان ، وذلك يوم الجمعة الخامس والعشرين / من شهر رمضان ، وصدموا كتبغانوين وجموعه صدمة كانت لصدورهم ٩/ب

---

(١) بلدة صغيرة بالشام شرقى الغور .

(٢) الشحنة بالكسر : ضابط البلد ، وجمعها : الشحانى .

(٣) راجع مادة «Ayn Djalut» فى EI², TI, p. 810

حاطمة ولظهورهم قاصمة ، ولأركانهم قاصمة هادمة ، فكانت الكسرة عليهم ، وقتل كتبغانوين فى معركتهم ، وتبعهم المسلمين ناكبين ، ففيهم يقتلون ويأسرون . وجهز الأمير ركن الدين البندقداري على خيل الطلب ، وأتباع من فر من العدو المخذول وذهب. فبينما هو يقفو آثارهم ويهدم أعمارهم إذ صادفته طائفة من التتار عدتها ألفا فارس أرسلها هولاكوا لينجدوا كتبغا ، فأوقع بهم جميعاً ، وقتلوا قتلا ذريعاً ، وكشف الله هذه الكربة بعزم الترك ، وأرغم ببأسهم أنوف الشرك ، فهى أول الوقائع التى هموا بتلافيها ، والملاحم التى أبلوا فيها . ودخل المظفر دمشق مظفراً ، وحلت هذه النصرة فى دجنة الخطب صباحاً مسفرا ، وجدد الإقطاعات بمناشيره ، ورتب الأحوال بتدبيره ، واستناب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحى [1] ، وبحلب علاء الدين على ابن الملك الرحيم صاحب الموصل ، أنه كان قد حضر إلى الشام قبل الوقعة بأيام ، ولما اخترم والده بالحمام ، وأقر صاحب حماة المنصور ناصر الدين محمد على خاله ، وأحضر الذى سعى بالملك الناصر حتى أخذه التتار فشنقه ، وكان يقال له حسين الكردى [2] ، فقال بعض الشعراء يمدحه ويذكر انتصاره على التتار :

هلك الكفر فى الشآم جميعاً	واستجد الإسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر البطـل الأر	وع سيف الإله [3] عند نهوضه
ملك جاءنا بحـزم وعـزم	فاعتززنا بسمـره وببيضـه
أوجب الله شكر ذاك علينا	دائماً مثـل واجبات فروضه

١٠ أ /

واتصل خبر الكسرة بهولاكوا وهو سائر إلى العراق ، فاستشاط على الملك الناصر غضباً ، وقال له : أنت غررتنا بما صغرت من أمر القوم عندنا ، ثم أمر به فقتل صبرا ، وهم بقتل ولده العزيز ، فشفع إليه فيه ، فتركه .

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١١٠٣ .

(٢) حسين الطبردار ، انظر ابن الوردى ، المرجع السابق ، ٢/٢٩٨ .

(٣) « سيف الإسلام » ، فى ابن الوردى Ibid

وهذا الناصر آخر مليك من أولاد أيوب . وكان افتتاحهم الملك الناصر [1] وختمت بالملك الناصر ، فلم يستبق لهم ملك قبل . وعاد المظفر من الشام ، فلما وصل القصير ، وثب عليه أقوام من الأمراء فقتلوه فى الصيد ، وكادوا لما أمكنهم فرصة الكيد . وكان مقتله فى شهر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائه . فكانت دولته أحد عشر شهراً . وصار الأمر إلى الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى بعده ولقب بالملك الظاهر ، وذلك أنه كان فيمن قتل المظفر ، وقيل إنه هو الذى ضربه بسيفه . ولما عادوا من حيث قتلوه ، أتوا الدهليز فنزلوه ، واجتمع إليهم من طابقهم وأوثقهم على الأمر ، ووافقهم ، وأجالوا الرأى فيمن يقعد فى الدست ، ويقوم بالملك ، وتعارضوه بينهم ، وكل يظهر الامتناع عنه والتباعد منه ، ثم أجمعوا على المشار إليه ، واتفقوا عليه ، وبادروا معه إلى القلعة ، وانتهزوا فرصة / السرعة ، فطلع صبيحة /١٠ب
السبت السابع عشر من ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة . ولما طلع القلعة ، جلس فى دست السلطنة . وابتدأ بأن يستحلف الأمراء والأكابر ولسائر العساكر وأرباب الأعلام والأقلام . وصرف همته إلى تدبير الدولة واعتماد الحيلة قبل الصولة ، والترغيب دون الترهيب . ومكث شهوراً ثلاثة لم يركب موكباً ، ولم يطلع له فى أفق المواكب كوكباً إلى أن أيقن أمره ، وأمن من كل ذى مكر مكره ، ثم ركب بعد ذلك . وفى هذه السنة أظهر الأمير علم الدين سنجر الحلبى بدمشق الاستقلال بالسلطنة ، والاستبداد فى بلاد الشام بالمملكة ، وركب فى الموكب ولقب نفسه بالمجاهد ، وخطب له على المنابر . فكاتبه السلطان ليرجع عن رأيه ، ثم سير إليه الأمير جمال الدين المحمدى [2] ليستميله إلى الطاعة وألطفه بمال جزيل وحوائص [3] ذهبا ، وخلع وقماش ، فأشهد على نفسه بالنزول عن الملك ، والانسلال من الانسلاك فى هذا السلك ، ثم لم يلبث أن رجع إلى ما كان عليه ، وركب

---

(١) الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٥٠٩ .

(٣) وهى الأحزمة المملوءة بالذهب ، انظر Dozy, Suppl. I/336

موكب السلطنة وشعارها من خلفه ومن بين يديه . فجرد السلطان جيشاً صحبة الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار [1] . فلما وصل قريب دمشق ، خرج الحلبى فى حزبه مجمعاً على حربه ، فالتقيا وانكسر وانهزم وآوى إلى قلعة بعلبك ، ودخل البندقدار دمشق ، وحلف العسكر للملك الظاهر ، وأقام
١١ أ / بدمشق إلى أن ترتب الأمير علاء الدين طيبرس [2] / فيها نائباً للسلطنة . فعاد البندقدار إلى الديار المصرية . ثم أرسل السلطان ، فأحضر الحلبى إلى القاهرة مقهوراً ، وسجنه ملوماً محسورا .

---

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٥٨٦ .

(٢) يوجد طيارة فى الهامش جاء بها : الوزير الحاج . وترجمته فى أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٢٧٩ .

ذكر وصول الإمام أبي العباس بن الظاهر بالله من العـراق إلى الديار المصرية

وهو أول من وصلها من خلفاء الدولة العباسية منذ أول الملة الإسلامية ولما وصل المذكور تلقاه السلطان بالإكرام ، وتناول أمره بيد الاهتمام ، وركب للقائه بالعساكر ، وأنزله فى القلعة ، وبالغ فى إكرامه ، وغالى فى إعظامه ، وشرع فى إثبات نسبته ، وتقرير بيعته ليتصل سبب الخلافة الذى كادت الحادثات تقتضبه ، ويتجدد رداء الإمامة التى أرادت الأعـداء سلبه ، فجلس مجلساً عاماً حضره الأمراء والوزراء والحكام والعلماء والفقهاء والصلحاء والمشايخ والأعيان . وأثبت نسبته على قاضى القضاة ، وبايعه وبايع من حضر المحفل من الناس على طبقاتهم ، ثم تقلد منه البلاد الإسلامية ، وكتب إلى البلاد بذكر اسمه على المنابر . فنطقت بذكر خلافته ألسنة الأقلام وأفوه المحابر ، وذلك فى التاسع من رجب الفرد سنة تسع وخمسين وستمائه. وبعد ذلك صلى الخليفة بجامع القلعة ، وخطب الناس فى يوم الجمعة ، وشرع السلطان فى رده إلى الأوطان ، واستخدم له أجناداً ونواباً وحاشية وكتاباً ، ورتب له دست الخلافة كاملا بوضائعه وبيوتاته وحشمه وآلاته ، وجهزه تجهيزاً يليق بمنصبه ، واهتم به / اهتماماً لم يسمع بمثله . فكان ما أنفقه على كلفته ألف ألف وستون ألف دينار مصرية . ثم خرج متوجهاً إلى الشام ، وأخذه صحبته ، واستصحب معه أولاد صاحب الموصل ليعيدهم إلى أماكنهم التى جلوا عنها ، وأخرجهم الأعداء منها . ولما وصل دمشق جرد مع الخليفة ١١/ب

عسكراً على جهة الإجلال وتمام الاحتفال صحبة الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى [1] وشمس الدين سنقر الرومى [2] ، وهما من أكابر الأمراء والمقدمين وأعيان العساكر وأوصاهما أن يسيرا صحبته بمن معهما حتى يوصلاه إلى الفرات وإذا عبره مشرقاً ، يقيمون بأطراف البلاد الحلبية إلى أن يعلموا وصوله إلى موطنه ، وإن أرسل إليهم يطلب نجدة أو زيادة عدة ، يبادرون بإنجاده وإسعافه بمداده . ولما ركب متوجهاً ، ركب معه مودعاً ، وسايره مقدار ميل مشيعاً ، وعاد إلى دمشق . فلما انتهى الخليفة إلى الفرات ، عبر مشرقاً وصحبته من ذكرنا من العسكر المستخدم له ، وأولاد الملك الرحيم صاحب الموصل . فأما المذكورون لما وصلوا الموصل ، دخلوا وأقاموا بها . وتقدم الخليفة مبادراً إلى قرب عانا [3] ، وكان الصواب أن يتأنى فى مسيره ويتوانى ، لكنه ظن البلاد خالية من التتار ، فتوغلها قبل اختبار الأخبار معتقداً أن التتار لما عاثوا فى البلاد وخربوا ، تركوها وانقلبوا ، وإذا هم بها كامنون ، وفيها قاطنون ، فلما بلغهم وصوله ، جردوا إليه عسكراً

١٢ أ / صحبة اثنين من مقدميهم ، / أحدهما يسمى ولا جو والآخر اورداى وصفجق وقبارذخشى ، فأدركوه قريباً من عانة ، والتقوا معه ، فصابرهم ما استطاع ، ودافع ما أمكنه الدفاع . ثم غلبته الكثرة ، فكانت عليه الكسرة ، فقتلوه وأكثر من معه ، وأسف السلطان لما تحقق مصرعه ، وأما أولاد صاحب الموصل وهم الصالح والمجاهد سيف الدين إسحاق والمظفر علاء الدين على ، فإنهم أقاموا ريثما أطلعوا التتار على أمرهم ، ثم قصدوهم وضايقوهم وحاصروهم ، فتحصنوا وغلقوا أبواب المدينة ، وبقى التتار مستمرين على حصارهم حتى نفدت أقواتهم ، وعدمت أزوادهم مدة تسعة أشهر فألجأهم ما نالهم من الضيق العظيم إلى التسليم ، فسلموها راغمين ، وأسلموها كارهين . فدخلها التتار وحكموا فى أهلها كل بتار ، وقتلوا الملك الصالح ابن الرحيم صبرا . وكان متولى حصارها مقدمان من مقدميهم أحدهما اسمه

---

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٦٨٧ .

(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١١١٢ .

(٣) انظر أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٨٦ ، وتكتب أيضا « عانة » .

صنداول والآخر جمغار . فأما جغمار فإن هولاكوا أرسل يستدعيه لما عزم على التوجه لمحاربة بركة فى الوقعة التى قدمنا ذكرها ، فسار إليه ، وأما صنداول فبقى عليها إلى أن تسلمها . وأما السلطان ، فإنه رتب أحوال الشام ، وعاد إلى الديار المصرية ، ووجد فخر الدين عثمان بن المغيث بن العادل معتقلا بدمشق ، فأفرج عنه ، وأرسله إلى والده بالكرك ، وذلك أن أباه كان قد أرسله إلى كتبغا نوين ، فلما كسر المظفر التتار ، مسكه وأعتقه .

ودخلت سنة ستين وستمائة :

فيها جرد الأمير بدر الدين الأيدمرى [1] إلى الشوبك ، فأخذها
١٢ب/ وكانت فى يد المغيث مضافة إلى الكرك ، ورتب فيها نائباً / عن السلطان
وفيها رسم السلطان العساكر الذين فى الشام بالغارة على انطاكية صحبة المقدمين الذين كانوا صحبة الخليفة ، وأقاما على الفرات ، وهما سنقر الرومى والرشيدى . فتوجها إليها بمن معهما من العساكر المنصورة ، ودوخوا أعمالها وجاثوا خلالها ، فأغاروا ونهبوا وغنموا ما شاءوا ، وعادوا .

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٧٤١ .

ودخلت سنة إحدى وستين وستمائة ،

فيها عزم السلطان على أن يقرر البيعة لإمام من الذرية العباسية إقامة لمنار الشريعة الإسلامية بحكم وفاة الإمام الذى بويع له بالإمامة ، واخترامه على يد التتار قبل أن يحل مقامه ويبلغ من بلوغه دار الإسلام مرامه ، لأنه لا يسع الغفلة عن مبايعة إمام الأنام ، ويعقد عليه الجمعة والجماعة فى الأيام والإسلام . ففكر السلطان فى أن هذا أمر يلزمه الاهتمام به . فأحضر الإمام أبا العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن على القبى بن الحسن بن الخليفة الراشد بالله ، من صميم السلالة العباسية ، ثابت نسبه ، واضح كالفلق المستنير حسبه . وبايع له بالخلافة فى يوم مشهود ، وقد اجتمعت له الحشود من الأمراء والجنود بقلعة الجبل ، ولقب الحاكم بالله ، وبايعه الناس فى ذلك المقام ، وتهيأ الأمر له واستقام ، ثم قلد السلطان الممالك الإسلامية ، وما سيفتحه الله على يديه من الفتوح ، وذلك فى المحرم . ثم سار
السلطان إلى الطور ، واستنزل المغيث من الكرك ، ونصب / له الحبـــالة /١٣ أ
فوقع فى الشرك ، وأرسله إلى الديار المصرية ، فأودع السجن بها ، وحمل عائلته وأولاده إليها . ولما عاد السلطان إلى مصر ، وفدت إلى أبوابه جماعة من التتر فيهم من الأعيان كرمون ونوكيه وامطعيه وجبرك وناصعيه وقنان ويهتوا وكراى ، فأعطاهم الإمرة بالطبلخانات ، وأجزل لهم الصلات .

ودخلت سنة اثنتين وستين وستمائة :

فيها ركب ولده الملك السعيد فى السلطنة ومشى فى ركابه حاملا الغاشية، ورتب الحلى [1] أتابكه ، ثم ظهر بعد أيام وتوجه إلى الاسكندرية وعاد . وفيها كان الفراغ من بناء مدرسته الظاهرية ، وحدث غلاء بالديار المصرية ، فوزع السلطان الصعاليك على الأغنياء ، والضعفاء على الأملياء ، والفقراء على الأمراء . وفيها أسلم الملك بركة ابن باطوخان ومن معه من التتار ببلاد الشمال، ووصل من جهته رسولان إلى الأبواب السلطانية مخبرين بإسلامه وأحضرا كتاباً منه يذكر فيه من أسلم من بيوت التتار ، ويعلم السلطان بمحاربته لهولاكو تعصباً لدين الإسلام .

---

(١) وهو عز الدين أيدمر الحلى ، وكان أتابكا للملك السعيد بركة خان .

ودخلت سنة ثلاث وستين وستمائة :

فيها سار السلطان إلى الساحل ، ونزل على قيسارية الشام يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى ، ونازلها بمن معه من العساكر المتكاثرة والحشود المتواترة ، ونصبت عليها المجانيق الكثيرة ، والزحافات والجفاتى[1] والعدادات ، وأحاطت بها الخيول ، وانهالت عليها كالسيول ، وحصبت بصواعق الحجار ، وحوصرت أشد الحصار ، فاستظهر / عليها أتم استظهار ، ١٣/ب وضعفت قلوب أهلها ، ودل ذلك على إذعانها وذلها . واستمد المسلمون المعونة من الله تعالى ، فأمدهم بها ، وعهدت العساكر إلى سكك الخيل فضربوها أوتاداً فى السور ، وتحلقوا فيها كالنسور . وطلعوا إليها ونصبوا السناجق عليها ، فتحركت ألسنها معلمة بالنصر العزيز ، مؤذنة بالفتح الوجيز والوقت أحرقت أبوابها وهتك حجابها وأبيح جنابها . فهرب أهلها إلى قلعتها مستعصمين ولا عاصم ، مسترحمين وليس لهم راحم . والعساكر كلما مر عليها يوم كانت عزائمها فى المحاصرة أقوى من أمسه ، والإقبال كلما ذر شارق بزغت للمسلمين أشعة شمسه . فلما كانت ليلة الخميس الخامس عشر من الشهر ، هرب الفرنج الذين فيها بليل ، وساروا عنها بعد إحراق حواصلها بويل ، وتركوا القلعة بما فيها ، فنهض الجيش المنصور إليها وارتقى إلى أعاليها وأمرهم السلطان بأن يهدموا مبانيها ، ويعفوا معانيها ، فهدمت لحينها ، وأزيلت هوناً من صونها . ثم رحل السلطان عنها وكان يؤثر محاولة عثليث لينظر هل

(١) انظر Dozy, Suppl. I/200

يتمكن من نزالها أو يحل فسحة لمنالها . فعبر عليها جريدة كأنه يريد الصيد وهو يريد الكيد ، ومر بها ولحظ أمرها ، وحصلت مناوشة بين العسكر الذين معه وبين أهلها . قال الراوى : وكان المخدوم الشهيد بصحبته فى جنده وجماعته ، فتقدم شخص من أجناده اسمه بَكْتَى ، ونزل عن فرسه وتسلل
١٤ أ / وقصد ما بين البساتين . واتفق أن لاحت / له فرصة من أحد الفرنج هناك ، فضربه ضربة أهدلت عاتقه ، وخف راجعاً والسلطان يرامقه . فاستدعاه بين يديه وخلع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم إنعاماً ، وأعجبه فعله لما رآه مقداماً وبث السلطان عساكره تجول فى شن الغارات وتصول لأخذ الثارات وجرد عسكرا مجدا إلى حيفا . فلما جاءوها وعاين الفرنج الذين فيها كثرتهم وهنوا واستكانوا ، وناؤوا ولم يدانوا ، وبادروا يطلبون النجاة من الهلك ،فامتطوا بسرعة كأهل الفلك ، وساروا فى البحر لما ضاق البر عليهم . وحوى المسلمون ما كان فى يديهم ، وأخذت حيفا وخربت من يومها . ونزل السلطان على أرسوف ببأسه المخوف فى اليوم الأول من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ونقل إليها ما كان على قيسارية من الآلات ، ونصب عليها للوقت المنجنيقات وأرسلت إليها الحجارة أرسالا ، وجاءتها العساكر من كل جانب ، وفرقوا نحوها نبلا يقول من رآها قد سح السحاب نبالا ، وجد النقابون فى النقوب ، وعلقوا أبراجها من فوق تلك السدو (. . . . .) ، واجتمعوا وهم فى همة المدافعة وعزمة القتال والممانعة (. . . . . . .) وتهافتت شرافاتها وارتقى المسلمون [أسوارها] ورفعوا السناجق عليها ، ولم يشعر الفرنج إلا والأمراء [والجنود] قد علتها والجيوش الإسلامية (. . . . . .) ، فأرسلوا رسولهم [بكتاب] يطلبون فيه الأمان فجاء (. . . . .) وأخذتهم
١٤ب/ السيوف / وأدركتهم الحتوف ، وتسلمها السلطان فى يوم الخميس آخر الشهر المذكور . ولم يفلت من أهلها أحد إلا واحداً رمى نفسه فى البحر يسبح ، وكان فى ميناها مراكب ، فأهوى إليها وركب فيها . وأرسل السلطان من أخذ من أسراها مصفدين إلى الكرك ، وقسم أبراجها على أمرائه وعساكره ليهدموها ، وقال الفراغ من هدمها دستوركم إلى الأوطان ، فأتوا فى أقرب

وقت على ما فيها من الأسوار والأركان ، وأزالوا ما كان مشيد البنيان ، وألحق الأوطان بالسكان ، ورحل عنها عائداً إلى الديار المصرية ، فوصلها مؤيداً غانماً . ولما فتح هذه البلاد عين منها بلاداً كثيرة وضياعاً كثيرةوقسمها على الأمراء وأعطاها لهم تمليكاً مؤبداً شرعياً ، وكتبت لهم بها تواقيع ثابتة مستمرة الأحكام لا ينقضها مرور الأيام فقيل فيه هذه الأبيات : (شعر)

فتى جعل البلاد من العطايا فأعطى المـــدن واحتقر الضياعا
إذا فعل الكرام على قياس [فقبلا] [1] كان ما فعل ابتداعا

وفى هذه السنة كان هلاك هولاكوا ملك التتار ، وصح ذلك بتواتر الأخبار (. . . . . . .) ، وترك خمسة عشر ولداً . قال الراوى : وهذه أسماء [الأولاد أثبتناها من] [2] السفار والواردين من تلك الأقطار ، وهم [أبغا] (. . . . .) السلطنة إليه / أحمد سلطان واجاى والاجو وسبوحى / ١٥ أ
وسودار ومنكوتمر وقبغرطاى وطوغاى وطغاى وتمر وهو أصغرهم ، وجلس ابغا بعد أبيه فى الملك ، وجهز جيشاً لحرب عساكر بركة . وفيها تسلم نواب السلطان حصن قرقيسيا ، وذلك أن مقدمى الحصن المذكور اختاروا أن ينتظموا فى سلك الطاعة ، ولا يكونوا خارجين عن الجماعة ، فكتبوا إلى نائب السلطنة المقيم بالرحبة بما هم عليه من الرغبة ، ويبذلون تسليمه إلى من يحضر من جهته ، وأرسلوا راهبهم إليه لتأكيد ثقته ، فسير إليهم من تسلمه منهم وتسلم الجسر الذى له بسلسلته ومراكبه . وفيها هرب أمير من الأمراء اسمه علم الدين سنجر صون إلى بلاد الغرب ، فجهز السلطان إليه من جازاه بهربه واقتطعه دون أربه .

---

(١) ما بين المعقوفتين ، قراءة مرجحة .

(٢) العبارة مطموسة ، ومابين المعقوفتين قراءة مرجحة . وقد ذكر ابن شاكر فى فوات الوفيات ٤/ ٢٤١ ، أنه خلف من الأولاد سبعة عشر ولدا سوى البنات . وجاء فى ابن كثير ، البداية والنهاية ١٣/ ٢٤٨ ، أن أبغا كان أحد أخوة عشرة ذكور . أما المفضل بن أبى الفضائل فقد قال فى النهج السديد ، ص ١٤٧ ، أن هولاكو كان له عدا أبغا هذا ، ستة عشر ولدا ذكرا .

ودخلت سنة أربع وستين وستمائة :

فيها أمر السلطان بإبطال الخمور وكانت ماشية وتعفية المنكرات وكانت إلى ذلك الحين فاشية ، فقيل فى ذلك : (شعر)

ليس لإبليس عنـــدنا أرب ... فغير هذى البـــلاد مأواه
حرمته الخمـــر والحشيش معا ... أعدمتـــه مـــاءه ومرعـــاه

وفى هذه السنة بنى الشهيد المرحوم قدس الله روحه على بنت الأمير سيف الدين كرمون التترى الذى ذكرنا وفوده فى السنة الخالية . ولمـــا عقد
١٥ب/ العقد كان يوماً مشهوداً وضرب / الدهليز السلطانى فى سوق الخيل ، وحضر السلطان والأكابر ، وقدمت للمخدوم التقادم . وهذه الزوجة هى والدة الملك الصالح علاء الدين على رحمه الله . وتوجه السلطان إلى الإسكندرية ، وعاد فتوجه إلى الشام ، فلما وصل إلى غزة ، جرد المخدوم الشهيد والأمير جمال الدين ايدغدى العزيزى ومعهما جماعة إلى ما حول طرابلس من الحصون لأن البرنس (١) كان قد تطرق إلى الفساد والعبث بما حوله من البلاد . قال الراوى : فسرنا من غزة وسار السلطان أيضاً ، وكان قد عزم على حصار صفد ، فلما أشرفنا على القليعات وحلبا وعرقا ، ورأى القوم العسكر لابساً لأمات الحروب ، رعبت منهم القلوب ، وأرسلوا إلى المخدوم يسألون الأمان على نفوسهم ويطلبون المن عليهم بسلامة رؤوسهم ، فأمنهم وتسلم

(١) وهو البرنس بوهيمند السادس Prince Bohémond VI

الحصن منهم . وكان قد أخذ منهم جماعة أسارى ، فحملهم على جمال أرسلها السلطان إليه ، وسار بهم على جسر يعقوب بحيث يبصرونهم أهل صفد وكلا منهم فى صفد ، فشاهدوهم على تلك الحال ، فزادهم ذلك ذعرا وذلا ، ونازلهم السلطان على الأثر ، فأيقنوا أن لا مفر . وكان نزول السلطان على صفد ثامن شعبان ، وقد حشد لها من العساكر كل قاص ودان ، وحملت المجانيق إليها على أعناق الرجال والمجردين من سائر البلاد والمدن والجبال ، لأنه ليس للجمال / بجبالها مجال من الوعور والأهوال ، وأخذت النقوب فى / ١٦ أ
أسوارها وأبراجها وزواياها وأركانها ، واستمر النزال وشدد الحصار ، وانتخبت الأمراء والمقدمون والأجناد والرجال والأبطال . فلما مضت مدة عشرة أيام والضيق متضاعف على القوم ، وكل يوم يمر على الكفار من الحصار كأنه سنة أطارت عن أعينهم السنة والنوم ، أرسلوا إلى السلطان يلتمسون الأمان ، فأجابهم إلى ما سألوا ، وعلى ما إليه عولوا ، وبذلوا التسليم ، فقبل منهم ما بذلوا . فى التاسع عشر من الشهر استظهر عليهم الإسلام ، فمالوا إلى الإستسلام ، وفتحت الأبواب ، وقيل ادخلوها بسلام ، فتسلمها السلطان ، وارتفعت الصناجق والآذان ، وأمر بأن يخرج أهلها إلى تل بالقرب منها كانوا يقتلون فيه من ظفروا به من المسلمين ، ويغتالوا بهم هناك متخرمين ومتحرمين ، فجمعوا عليه جميعاً وضربت رقابهم سريعاً ورتب السلطان فيها نائباً ، ونظر فى أحوالها ومصالحها وآلاتها ، وعين حينئذ ما ما تحتاج إليه ، وما لابد لأهلها من الاعتماد عليه من حواصلها وأموالها وغلالها ، وأحضروا فى ذلك الوقت المبارك إليها جماعة من الرجال والمقدمين والأسباسلارية والنقباء الشاميين فأسكنهم فيها ، ورتب لهم الجامكيات والجرايات والمعلوم الكثير والخير والبر والفضل المنير / وحمل إليها فى التاريخ /١٦ب
المذكور ما يحتاج إليه من الآلات والسلاح والعدد من سائر الأجناس والأنواع ، الحقير والجليل من سائر البلاد والزردخانات والحواصل والمذخرات ، ولاحت عليها أنوار القبول ، وبلغ الله بلطفه وكرمه المسلمين غاية الأمل ونهاية السؤل ، وعمر فى الربض جامعاً لإقامة الجمعة والجماعات فى تلاوة

القرآن والصلوات . وصفت هنالك صفد المحروسة من أكدار الطغاة . ورحل السلطان عنها متوجهاً إلى دمشق المحروسة ، وجرد هنالك العساكر للغارة على بلد سيس صحبة الملك المنصور صاحب حماة ، وقدم على المجردين المخدوم الشهيد والأمير عز الدين يوغان الركني الملقب سم الموت (١) . قال الراوى : فسرنا حتى دخلنا الدربند ووافينا سيس وقد صفوا الأرمن صفوفهم على سطح الجبل ، واستعدوا لنا بالبيض والأسل ، وكان صاحبها هيثوم (٢) قد انقطع إلى الرهبانية ، وصير ليفون ولده ملكاً على الأرمنية . فلما شارفناهم على تلك الجبال ، ترتب الجيش للقتال ، وحملنا عليهم حملة واحدة ، فانكسرت فوارسهم ، وضربت قوانسهم ، وأخذ ليفون أسيراً وولده معه ، وقتل أخوه وعمه ، وزاد بلاه وغمه ، وقتلت أكابر أصحابه ، وأغارت العساكر على كرنجيل وسرفندكار وتل حمدون ونهر جهان ، وأصابوا عند قلعة تسمى
١٧ أ / العامودين جماعة من التتر ، فقتلوهم وأخذوا القلعة / المذكورة ، وأحرقوها ودخلوا إلى سيس فأخربوها وهدموا قلعة الديوية المعروفة بالتيات ، وغنموا وسبوا وكسبوا ، وأرسلوا إلى السلطان يطالعونه بالفتح ، ويبشرونه بما نالوا من الربح ، ويعرفونه أن كبش الكتيبة قد جىء به يساق للذبح . فخرج السلطان من دمشق للقائهم ، ولما وصل إلى قارا شكا إليه المسلمون من أهلها ، وأنهم يتخطفون من أمكنهم من المسلمين ، ويبيعونهم لأهل عكار كل حين ، فأمر بنهب بلدهم وسفك دمائهم . فهجم العسكر عليها ونهبوا وقتلوا من وجدوه فيها ، وسبوا من نسوانهم وصبيانهم سبايا اتخذوهم مماليك وحظايا وتلقى السلطان العساكر ودخل دمشق فى تلك المواكب ، وملوك الأرمن قدامهم مأسورين ، وكبارهم بين يدى موكبه سائرين ، والعساكر الشامية والمصرية قد اجتمعت وترتبت وتنوعت . ووصل السلطان فى مواكب جنوده وكتائب أسوده إلى دمشق المحروسة . وخرج الناس كافة يتفرجون ، وبالأدعية الصالحة له يلهجون . وكان يوماً مشهوداً ، وجموعاً لا يحصى إلا الله لهم عديداً . وأقام

---

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٦٠٥ .

(٢) فى الأصل « هشوم » ، وهو هيثوم بن قسطنطين بن باسيل .

بدمشق أياماً ثم خرج منها متوجهاً إلى الديار المصرية ، ونزل العسكر سائراً على الدرب ، وتوجه جريدة فى نفر قليل من خواصه إلى قلعة الكرك ، فنظر فى أحوالها وفعل ما يوجب تثمير أموالها ، وعاد لاحقاً بالعساكر . / فلما كان /١٧ب
قريباً من زيزا تقنطر عن فرسه، فاعتراه صدع فى وركه ، فالجأه ذلك إلى اتخاذ المحفة . وكان يركبها فى الطريق . ولما وصل مسجد التبر كره الطلوع إلى قلعته على هذه الصورة ، فمكث فى الخيام إلى أن زال موعكه ، وصح بالجبر وركه ، وطلع إلى القلعة ممتطياً جواده ، مبلغاً مراده ، ومنّ على ليفون ابن صاحب سيس بفك قيده ، واستصحبه معه فى نزهته وصيده ، وكتب له موادعة على بلاده سنة كاملة ، وشملته منه منة شاملة . فقيل فى ذلك شعراً :

وإن أحسن حلم حلم مقتــدر يعفو بقدرة سلطان عن الجــانى

وفى هذه السنة أمر بأن يبنى فى ميدان قراقوش الذى بظاهر القــاهرة المحروسة جامعاً ، فبنى ، وانتقل من لعب الصولجان إلى إعلان الأذان ، ومن جلبة الأقران إلى تلاوة القرآن . فقيل فى ذلك :

وإذا نظرت إلى البقــاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتسعــد

وأفرد بعضه فحكر ، وبناه الناس مساكن وجعل ربعه من جملة وقوف الجامع . وفيها أمر بأن يجمع أصحاب العاهات كالمجذومين والمتوضحين وأمثالهم ، وينقلوا إلى بلد واحد ربحاً لأجرهم وإراحة للناس من ضرر ملابستهم . فجمعوا ونقلوا إلى بلد بالأعمال الفيومية . وأجرى لهم ما يقوتهم فى التاريخ .

---

(١) فى الأصل « مسجد التين » وهو الاسم المعروف به المسجد عند العامة ، انظر المقريزى الخطط ، ٢/٤١٣ .

ودخلت سنة خمس وستين وستمائة :

١٨ أ / فيها أقيمت الخطبة / بالجامع الأزهر . وقد كانت انقطعت منه من مدة تقارب مئة سنة ، واستمرت إلى هلم جرا . وفيها وصل الملك المنصور صاحب حماه إلى الديار المصرية أول قدومه إليها في الدولة الظاهرية . فأجزل له السلطان الكرامة وأمر بمضاعفة الإنزال والإقامة . وقصد التفرج في الاسكندرية ، فوجهه إليها . ولما عاد الملك المنصور صاحب حماه من الاسكندرية استصحبه السلطان الملك الظاهر إلى العباسة متصيداً ، فتصيدوا في تلك الناحية، وتفرجوا أياماً . وعاد السلطان الملك الظاهر إلى القاهرة المحروسة ، فمكث بها قليلا في ركوب المواكب بأرباب دولته وأهل مملكته ، والقعود في دار العدل الشريف لقضاء أشغال المسلمين . وكتب إلى نوابه وكفاته بالوصية والاحتراز على البلاد والعباد . ثم أمر العساكر بالمقام للاستراحة . وتوجه بالأمراء وخواص دولته ومدبري مملكته إلى صفد ، فأمر بعمارتها وتشييد بنايتها وإصلاح ما استهدم من أسوارها وأبراجها ، وأقام عليها من يجتهد في تجهيز مصالحها . وبعد ذلك ، سار إلى دمشق المحروسة ، وأقام بها خمسة أيام ، وعاد إلى جهة صفد ، فحضر إلى أبوابه رسل الفرنج وسألوا الصلح ، فأجاب وكتب لهم بالهدنة [١] إلى مدة عشر سنين كتاباً متوجاً بالعلامة الشريفة .

١٨ب/ وعاد إلى الديار المصرية / في أتم السلامة .

---

(١) انظر نص هذه الهدنة في القلقشندي ، نفس المرجع ، ١٤/١٣ .

ودخلت سنة ست وستين وستمائة :

فيها وردت الأخبار بوفاة بركة ملك التتـــار ببلاد الشمال واستقرار ابن أخيه منكوتمر بن طوغان مكانه. وفيها أمر السلطان ببناء قرية على وادى السدير بالقرب من العباسة، فبنيت وسميت الظاهرية ، وبنى بها جامعاً لإقامة الخطبة . وكان المكان المذكور متنزهاً للملوك ، وإنما سمى العباسة لأن الأمير أحمد بن طولون أمير مصر نزل بها متنزهاً فولد له ولد ذكر أسماه العباس ، فنسب الموضع إليه . وفيها عاد السلطان إلى الشام بالعساكر ، ونزل بالعوجاء ، ثم سار بالعساكر إلى جهة يافا ، وكان حال نزوله إلى غزة قد حضر إليه رسل من جهة صاحبها جوان دبلين [1] بضيافة ، معتقدين أن الصلح مستمر ، والحال مستقر ، فأظهر قبول الضيافة منهم . وتوجهت الجيوش نحوهم وهم على غرة فلم يفجأهم إلا هجوم العساكر إليهم بأهبة الحروب ، فكان ذلك عليهم من أعظم الخطوب ، ورأوا ما هالهم من الجيوش التى عبأها لهم . وتركوا المدينة ولجأوا إلى القلعة ، فزفت العساكر إليها بسرعة وكان السلطان قد تقدم فحلف الأمراء والأكابر ومقدمى العساكر أن لا يتعرضوا لأحد من أهل يافا بأذية ولا ينهبوا لهم شيئاً من أمتعتهم ،ولايأخذوا من جميع موجودهم قليلا ولا كثيراً ، ولا جليلا ولا حقيراً ، وأمرهم أن يحلفوا / من يليهم من مماليكهم وأجنادهم وحراسهم على ما رسمه من ذلك . / ١٩ أ
فلم يبق أحد حتى دخل فى اليمين ، وتجنب أن يمين . وقصد السلطان بذلك

(١) وهو Jean d'Ibelin

صيانتهم فى الأنفس والأموال ، وفاءاً لهم بصلحه المقرر معهم أولا .وللوقت سألوا الأمان ، فأجابهم ونزلوا جميعاً وحملوا آلاتهم وتوجهوا إلى عكا بينهم وبناتهم لم يمسسهم سوء ولا ضاع لهم شيء . وأمر السلطان بهدم المدينة فهدمت . ولما فرغ من هدمها ، رحل عنها إلى الشقيف ، وكان قد جهز لمضايقها عسكراً صحبة الأمير سيف الدين بجكا العزيزى . والحصن المذكور له قلعتان ، فلما نازلهم العسكر عجزوا عن حفظهما ، فأحرقوا إحداهما ، واجتمعوا فى الأخرى . فنصبت عليها المنجنيقات ، وأحاط بها العساكر من جميع الجهات ، وظهر لأهلها عجزهم عن المنعة ، فسألوا الأمان ، وأعطوا العنان ، فأمنهم السلطان ، وتسلم القلعة منهم ، وجهزهم إلى صور . ورحل عن الشقيف ، وبث العساكر ليغيروا على طرابلس ، فإن الابرنس صاحبها كان قد تعرض إلى نحو جهة حمص،وسار إلى مخاضة بلاله طالباً غزة يغتنمها ، فشعر النائب الذى كان بحمص بأمره ، فأدرك المخاضة من قبله ، فرجع البرنس آيسا ، وكان ذلك فى السنة الخالية ، فأراد السلطان أن يجازيه على تعديه ، ويريه ما يرهبه من بأس عساكره التى ترديه . فغاروا على بلاده ،
١٩ب/ وخربوا ما / مروا به من ضياع سواده ، وأضرموا النارين فى بلاده وفؤاده . فلما سمع صاحب صافيتا وانطرطوس بما نال طرابلس من العكوس ، سارعوا إلى الخدمة ، وبادروا بإرسال التقدمة ، و تلقوا العساكر بالإقامة ، وأحضروا من كان عندهم من أسراء المسلمين ، فكانت عدتهم ثلاثمائة أسير . ورحل السلطان إلى حمص ومنها إلى حماة قاصداً أنطاكية ، إذ كانت مدينتهم العظمى ، ومحلهم الأسمى . ولما بلغ حماة ، فرق العساكر ثلاث فرقات لتكون إحاطتهم بالمدينة من كل الجهات ، ففرقة صيرها معه ، وفرقة مع المخدوم ، وفرقة مع الأمير عز الدين يوغان الركنى . فلما سرنا صابحنا القصير صباحاً ، فناوشنا أهله القتال إرهاباً لهم . ووصلنا إلى أنطاكية ، وترادفت العساكر أطلاباً وأبطالا ، وتواترت خيلا ورجالا ، وذلك فى أول يوم فى شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة . وخرج من المدينة جماعة من الخيالة فيهم كندس

طبل [1] عم صاحب سيس ، وكان قد انحاز إلى أنطاكية فى النوبة التى أسر فيها ابن أخيه كما ذكرنا ، فالتقوا مع الشاليش [2] فاستظهر عليهم ونال منهم ، وتقدم جندى من أجناد الأمير اقسنقر الفارقانى اسمه بيبرس المظفر ، [وكان فى] [3] الشاليش ، وجذب الكند وأخذه أسيراً ، فأعطى السلطان ذلك الجندى عـ (. . . .) اشية ، وأمره بحمل رنك [4] الكند المذموم .
/ ٢٠ أ واشتد القتال ، / واحتد النزال ، وزحفت الجيوش زحفاً ، وانهالوا على الأسوار ، كردوسا [5] وصفا . وفى اليوم السبت رابع الشهر ، تكاثر الجيش على الأسوار فتسوروها وتسلقوا من جهة الجبال وتعلقوا بالحبل والحبال ، ونزلوا إليهم إلى المدينة وخالطوهم وأخذوا يقتلون ويأسرون وينهبون ، فتلبك أولئك وتهالكوا وذلوا وما تمالكوا ، وانحاز منهم جماعة كثيرة نحو من ثمانية آلاف إلى القلعة ، وضجوا يسألون الأمان ، وقد أثخنت العساكر فيهم غاية الإثخان ، فأجيبوا إلى السؤال ، وأخذوا موثقين إلى الحبال فلم تزل السيوف تضرب والدماء للحى القوم تخضب حتى لم يبق منهم ممانع ، ولا عنهم مدافع ، وكان على ما يقال مائة ألف أو يزيدون . فكانت رجالهم للقتل ونساؤهم للسبيل ، وولدانهم للأسر . وامتلأت أيدى العساكر بالغنائم ، ووجدوا من الأعيان ما شغلهم عن المواشى والبهائم ، إلا أن السلطان استرجعها من أيديهم وجمعها وقسمها عليهم . وكتبت كتب الهناء إلى الممالك بأسرها . وسارت أخبار الفتح فى شامها ومصرها ، ولم يبق غلام إلا وله غلام ، وبيع الصغار والشبان من السبايا بأبخس الأثمان ، وأمر السلطان بإحراق قلعة

(١) أى الكونستابل Constable وهو حاكم انطاكية Simon Mausel ، انظر Runciman, A History of the Crusedes, T III, p. 325.

(٢) مقدمة الجيش ، وقد ترجمها كترمير فى Histoire des Sultans Mamluks, T I/227, على أنها L'avant-garde

(٣) العبارة مطموسة فى الأصل ، وما أثبتناه قراءة مرجحة .

(٤) وجمعها رنوك ، وهو لفظ فارسى معناه اللون ، واستعمل فى مصطلح المؤرخين بمعنى الشعار ، انظر القلقشندى ، المرجع السابق ، ٤/٦١ .

(٥) الكردوس وجمعه كراديس ، هو الفرقة الحربية الراكبة ، والقطعة العظيمة من الخيل انظر محيط المحيط ، ومادة كردوس فى Dozy, Suppl. .

أنطاكية، فأحرقت ورحل عنها . ولما رأى الداوية، الذين كانوا فى قلعة بغراص، هذه الأمور ، واستيلاء الإسلام على الحصون والثغور ، انهزموا وأخلوها .
٢٠ب/ فأرسل السطان الأمير شمس الدين اقسنقر الفارقانى ، / فتسلمها عامرة آهلة بحواصلها . وفيها كان الشرط تقرر مع صاحب سيس أنه يتحيل على استنقاذ الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من التتار ، وإحضاره إلى هذه الديار ، وهنالك يطلق له ولده ، لأنه كان مذ حصل ابنه فى الأسر ، يبذل الأموال والقلاع فى فديته ، والسلطان يأباها ولا يريد منه إلا إحضار المذكور . فاجتهد فى التحيل على ذلك والتوصل بجميع المسالك حتى استخلصه من هنالك . فلما رحل السلطان عن أنطاكية ، ووصل إلى قريب دمشق ، أرسل إليه يعلمه بأن مقصوده قد حصل وأن سنقر الأشقر قد وصل . فأمر بأن يكون حضوره إلى الدهليز فى خفية . فحضر ليلا وبات عنده ، وأصبح من الغد راكباً معه فى الموكب، فحاروا الناس وبهتوا لما شاهدوه ، ولم يعلموا كيف كان أمره . وأرسل السلطان أحضر ابن صاحب سيس من القلعة المنصورة ، وسيره إلى والده . وفيها أخذ جبلة [١] من صاحبها افرير [٢] ما هى صافاج . وأرسل صاحب عكا يسأل الصلح ، فأجابه ، وعاد السلطان إلى الديار المصرية .

(١) وهى جبلة الشام ، راجع أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٥٤ .

(٢) أى Frére ، وهو هنا كندور الداوية بقبرص ، راجع ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، الصفحات ١٥٣ ، ٣٠٦ ، ٣٣٠ .

ودخلت سنة سبع وستين وستمائة :

فيها توجه السلطان إلى الشام جريدة ، وترك العساكر بالديار المصرية ليستريحوا ويريحوا ، ونزل أرسوف لأنها كثيرة المراعى والأعشاب ، ، ورأى النزول فيها من الصواب ، ثم سار إلى دمشق وحضر إليه رسول أبغا ، وكان التكفور [1] ، / صاحب سيس قد سعى فى الصلح بين السلطان وبينه ، / ٢١ أ فأرسل صحبته هذا الرسول ومعه يرلغ وبايزه وكتاب من أبغا يتضمن معانى الصلح . فلما التقاه السلطان أعفاه من النزول وأكرمه وكتب جوابه وجهزه . ثم إنه أعطى من كان صحبته من الأمراء دستوراً ليتوجه إلى مصر . وخرج من دمشق ومعه أربعة خمسة من الأمراء الخاصين به ، وتوجه إلى الصبيبة والشقيف وصفد ، وجاء إلى خربة اللصوص [2] وقد نزلت بها العساكر الذين كانت معه ، فبلغته وفاة الأمير عز الدين الحلى ، وكان قد رتبه نائب السلطنة بالقلعة مع الملك السعيد بركه ولده ، وجعله أتابكه ، فخطر بباله أن يتوجه إلى الديار المصرية فى خفية ليرتب الحال . فأشيع أنه ضعيف ، ورسم للحكماء بملازمة الدهليز ، وكتب علائم على دروج بياض ، فكانت أجوبة المطالعات التى ترد من الأطراف والجهات تخرج بتلك العلائم . وركب البريد وسار ولا يظن الناس إلا أنه ضعيف فى دهليزه . ووصل إلى القلعة وطلع من باب السر سراً ، فأصبح العسكر فى المواكب منتظرين الملك

---

(١) أى هيثوم الأول .

(٢) تقع بين دمشق وبيسان .

السعيد ليركب ، فلم يشعروا ، وقد خرج السعيد وقدم له الفرس ، إلا والسلطان قد برز من الباب ووضع رجله فى الركاب . فأبلس من كان حاضراً ، وشاهدوا الظاهر ظاهراً ، وعاد من الموكب إلى القلعة ، ومكث يوم الجمعة

٢١ب/ ولعب الكرة فى الميدان ، وأقام إلى ليلة / الاثنين ، ورتب ما شاء من أمره ، وسافر على البريد ، ودخل الدهليز بليل مغيرا الزى حاملا جراب البريد ، وركب عصر الجمعة ، وجاء الأمراء إليه يهنونه بالعافية ، وضربت البشائر بركوبه ، وشرع فى الاهتمام بالحج ، وجرد جماعة من العساكر ، فأغاروا على عكا وصور . وفى هذه الغارة خرج إليهم جماعة من خيالة الفرنج ، فيهم فارس مشهور من فرسانهم اسمه زيتون ، فهزم وأخذ ابن اخته أسيراً ، أسره سم الموت [١] . وفيها تسلم السلطان بلاطنس من عز الدين [٢] صاحب صهيون وعوضه عنها وتوجهت الغيارة من البيرة وتلك الجهات إلى جهة كركر ، فأحرقوا ما قصدوا ، واستاقوا من المواشي ما وجدوا ، وزحفوا على قلعة هناك اسمها شرموشاك ، فقاتلوا أهلها وزحفوا عليها ورجعوا . ولما قوى عزمه على الحج ، أنفق فى العسكر ، وعين منهم من يتوجه معه ، وأمر بقيتهم بالتوجه إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين اقسنقر الفارقانى ، وتوجه إلى الكرك فى صورة المتصيد ، وكان رحيله من الفوار الخامس العشرين من شوال ، ووصوله إلى الكرك فى مستهل ذى القعدة ، ومنها سار إلى الشوبك ، وأقام بها إلى حادى عشره ، ثم سار فوصل المدينة النبوية على سادتها أفضل الصلاة والسلام فى الخامس والعشرين من ذى القعدة ، وأحرم وقدم مكة

٢٢أ/ خامس ذى الحجة ، وقضى حجه / وكان مع الناس كواحد منهم لم يحجبه حاجب ، ولا رد دونه طالب . وكتب إلى صاحب اليمن كتاباً يخبره بوصوله مكة ، وأنه أخذ طريقها فى سبع عشرة خطوة يعنى منزلة . ورتب بمكة نائباً اسمه شمس الدين مروان [٣] وأحسن إلى الشرفاء والزعماء ، وخرج

---

(١) وهو عز الدين بغان المعروف بسم الموت .

(٢) أى عز الدين عثمان صاحب صهيون .

(٣) جاء فى الأصل شمس الدين مرون . وما أثبتناه جاء فى المقريزى ، التبر المسبوك ، ص ٩٢ .

منها ثالث عشر الحجة ، ووصل المدينة ، وسار إلى الكرك ، فوصل فى سلخ الشهر ، ولم يشعر به أحد حتى وصل المشاهد ودخل الكرك لابساً عباءة ممتطياً مطية . فبات بها ليلة وتوجه إلى دمشق بجريدة ، وحضر الميدان بغتة ، وتوجه من نهاره إلى حلب ، فدخلها والأمراء فى الموكب ، فما عرفه أحد منهم إلى أن بقى بينهم ساعة . ثم عاد إلى دمشق ، وتوجه إلى القدس الشريف بعد أن تقدم العسكر من دمشق إلى تل العجول ، فزار وحضر إليهم بالمنزلة المذكورة ، فصلى جمعة فى الكرك وثانيها فى حلب والجمعة الثالثة فى دمشق . فقيل فى ذلك أبيات شعر منها :

بينا تراه فى الحجاز إذا به ... فى الشام للحج الشريف يقدس

وتراه فى حلب يدبر أمرها ... وتراه فى مصر يذب ويحرس

وتراه فى حج عليه عبــاءة ... وتراه فى غزو عليه الأطلــس

ودخلت سنة ثمان وستين وستمائة :

فيها كان عوده إلى الديار المصرية ، وتوجه للاسكندرية ، ودخل البرية ، وضرب حلقة الصيود ، وأفاض فيها بحار الجود ، فكان من يضرب ٢٢ب/ / بقراً أو نعاماً يعطى فرساً إنعاماً ، ومن يحضر غزالا يعطى خلعة يميس [1] فيها اختيالا . وعاد من الجهة المذكورة إلى القلعة المنصورة ، وأراح العسكر برهة يسيرة ، ثم خرج إلى الشام وشن الغارة من جسر يعقوب إلى مرج عكا ، فأسر فى غارته جماعة من الفرنج ، وقتل ابن أخت الفرنسيس وغيره . ولم يعدم من المسلمين إلا فخر الدين الطنبا الفائزى فقط . وعاد السلطان ورؤوس القتلى بين يدى موكبه إلى صفد تحملها أساراهم على رماحهم . وتوجه إلى دمشق وحماة وكفر طاب ، ووصل حصن الأكراد جريدة ، فخرج إليه جماعة من الفرنج ملبسين [2] ، فحمل عليهم وكسرهم ، وقتل منهم جمعاً ، وأمر بإبطال رسوم الاسماعيلية التى كانت تجبى إليهم ، وإظهار الصولة عليهم ، فأذعنوا منقادين إلى أمره ، وحضر كبيرهم إلى أبوابه ، وهو الصارم ابن الرضى ، صاحب العليقة ، فقلده بلاد الدعوة ، وأرسل معه عسكراً إلى مصياف ، وهى كرسى مملكتهم ، ومقر فداويتهم [3] . وعاد السلطان فجعل طريقه على عسقلان ، فعفاها وأمر برمى حجارتها ، فرميت فى ميناها

---

(١) يميس الرجل ، أى يمشى وهو يتمايل ويتبختر .

(٢) الملحون بكل الأسلحة .

(٣) الفداوية هم الشيعة الإسماعيلية ، وسموا بذلك لأنهم يفادون بالمال على من يقتلونه ، انظر القلقشندى ، المرجع السابق ، ١/١١٩ .

ولما وصل الديار المصرية ، اهتم بإنشاء الجسر المتصل من قليوب إلى دمياط وبنى قناطره ، وكان الباعث له على ذلك أنه بلغه اجتماع الفرنج فى البحر ، وأنهم جهزوا شوانى [1] كثيرة ، ولم يعلم أى جهة يقصدون ، فاهتم بعمارة (. . . . .) وحصن / الثغور ، وأنشأ القناطر والجسور . وكان ذلك / ٢٣ أ
من حـزم الأمور . ثم ورد الخبر بأن الفرنج قصدوا تونس ومعهم الفرنسيس [2] . فلما نزلوا عليها ، ضايقوها ، فأهلك الله الفرنسيس ، فتفرق الفرنج لموته . وفيها وثب أبو نمى [3] أمير مكة بإدريس بن قتادة عمه ، فقتله غدرا ، واستبد بالإمرة .

---

(١) ومفردها « شينى » أو « شينية » ، وهى السفينة الحربية الكبيرة ، انظر Dozy, Suppl. مادة شينى .

(٢) أى لويس التاسع .

(٣) وهو الأمير نجم الدين أبو نمى ، أمير مكة . وقد أورد القلقشندى ، صبح الأعشى ، ٣١٨/١٣ ، نسخة اليمين التى حلف بها هذا الأمير فى ٦٨١ هـ .

ودخلت سنة تسع وستين وستمائة :

فيها توجه السلطان إلى الشام وصحبته ولده الملك السعيد . ولما وصل قريب الساحل ، بث العساكر للغارة على طرابلس . واتصلت غاراته بصافيتا . وسير الملك السعيد صحبة المخدوم الشهيد ، فجرد معهما عسكرا ، فأغارا على جهة المرقب ، وعاد هو من غارة طرابلس ، وهما من غارة المرقب ، واجتمعوا جميعاً إلى حصن الأكراد ، وقد توافت إليهم الأمداد وتكاثرت لديهم الأعداد ، وأعتدت رجال الجهاد وفوارس الجلاد ، وأحضرت آلات الحصار ، وأحيط بالخنادق والأسوار ، وكان ذلك فى السابع من شهر شعبان من هذه السنة . ونشب القتال ، وفوقت النبال ، وشدد الحصار ، وتطايرت من أوكارها الحجار ، وأقمنا على ذلك أياماً عشرة ، فأخذت الأرباض ، وزحف من العسكر عرباض ، وارتقوا القلعة وتسلموها وطلع الفرنج إلى القلعة وسألوا الأمان ، فأعطوه ، وأخرجوا آمنين ، وسفروا
٢٣ب/ إلى بلادهم سالمين . وتسلم السلطان / الحصن فى الرابع والعشرين من شعبان . ورتب أحواله وقرر أعماله وعماله ، وكتب إلى صاحبه أفرير أول مقـــدم الاسبتار كتاباً يشعره بالخير ، ويعرفه أنه ظالم حذر فما أغناه الحذر . وعند ذلك سأل كندور [١] انطرطوس ومقدم بيت الاسبتار الصلح ، فصالحهم على انطرطوس والمرقب خاصة خارجاً عن صافيتا وبلادها ، واسترجع منهم بلده وأعمالها والبلاد التى أخذوها فى الأيام الناصرية . وتقررت مناصفات بلاد المرقب ووجوه أمواله . وأخلوا برج قرفيص ، وتقرر الحال على

(١) كذا فى الأصل ، ولعل المقصود هو « الكندور » .

ذلك [1] . وفيها ورد إليه كتاب نوغاى من بلاد بركه مخبرا بدخوله فى دين الإسلام ، ومشتملا على صدر التودد والسلام ، محتملا على الوفاق والالتئام . فأكرم السلطان قاصده ، وكتب إليه كتاباً يتضمن من الشكر جزءاً وافراً ، ومن الثناء نشراً عاطراً ، وأعظم بشراه فيه ، وحضه على جهاد الطائفة الكافورة التى فى الشرق بما يعزمه . وفيها جهز الشوانى لغزو البحر ، فسفرت صحبة رؤساء الخلافة ، ومقدم البحر لقصد قبرس . فوافت النمسون [2] والليل قد عسس . فقصدت الميناء ، فاعترضها دونها شعاب لم يعلموها ولسواد الدجنة لم ينظروها . فاقتضت المقادير أنها تكسرت واحداً بعد واحد ، والفرنج إذ ذاك بالمراصد ، فأخذوها وأسروا من كان فيها من الرؤساء / والقواد ورجال الملاحة والجهاد . وكتب صاحب قبرس إلى / ٢٤ أ
السلطان كتاباً يخبره بأن شوانى مصر وصلت إلينا وتهجمت علينا ، وكسرتها الريح على الجبال ، وأخذناها ومن فيها من الرجال . فأرسل السلطان إليه جواباً مقنعاً ، وكلاماً ممتعاً يعرفه فيه أنه [إن] كان قد أخذ السفائن ، فقد أخذت من أخذت من أصحابه المدائن ، وإن كان قد تمكن من قرايا مكسورة فقد حصل التمكن من ضياع أهله وقرى معمورة ، وأعمل الحيلة فى استنقاذ الرؤساء ، وضرب لذلك سهام الآراء ، ورحل إلى حصن عكار ، ومهد الطرقات لطلوع المنجنيقات وآلات الحصار ، ونازلته العساكر باجتهاد متواتر ، فجد أهله فى القتال والمراماة والنصال ؛ واستشهد عليه الأمير ركن الدين منكورس الدواداری ، أصابه حجر وهو يصلى فى خيمته ، فمات شهيداً من ساعته . واشتد الحصار ، وأخذت النقوب تحت الأسوار ، ورأى أهله جيوشاً لا طاقة لهم بقتالها ؛ وأموراً لا قدرة لهم باحتمالها وسهاما قد أصمت بنبالها ، ومجانيق تتطاير الصواعق من خلالها ، فطلبوا الأمان ، فأجابهم السلطان ، وصعدت الصناجق إلى أعاليه ، وسلموه فى آخر أيام

(١) انظر نسخة الهدنة المعقودة بين بيبرس وولده الملك السعيد وبين الفرنج الاسبتار فى ٦٦٩ هـ . القلقشندى ، المرجع السابق ١٤/٤٢ - ٥١ .

(٢) كذا جاءت فى الأصل ، والمقصود هنا ميناء ليماسول فى قبرص .

الشهر ولياليه . وخرجوا منه وجهزوا إلى مأمنهم ، وانضاف إلى الفتـــوح السلطانية والمعاقل الإسلامية ، ورتب فيه من الرجال كفايته ، وحمل إليه
٢٤ب/ من السلاح وآلته . / ومدة منازلته ثلاثة عشر يوماً متوالية لم تفتر فيها العزمات ولا قصرت العساكر فى المراماة حتى تمكنت من نواصيه وتوقلت أعلى صياصيه . وقال بعض الأفاضل [1] فى ذلك :

يا مليك الأرض بشـــرا ك فقـــد نلت الإرادة
إن عـــكار يقينـــا هـــى عـــكا وزيـــادة

ورحل السلطان عنه وتوجه إلى ساحل طرابلس ، فنزل المرج ، وأنفق فى العساكر نفقة كاملة ، ولما فرغ من النفقة أمر العساكر فلبسوا العدد ، وادرعوا الجواشن والخوذ ، وأخذوا أهبة الحرب ، وسار بهم نحو ذلك الدرب . فسمع صاحب طرابلس بقدوم العساكر وانصبابهم كالسيل الهامر ، فخامره الطيش ، ولم يصف له العيش . ولما دنوا إليها وداروا عليها ، أرسل يسأل الهدنة ويلتمس بالصلح المنة ، فأجيب إلى مراده ، وقررت المهادنة على بلاده . وفى هذا الوقت حدث بدمشق سيل عظيم فى شهر شوال ، فشال ما مر به من الأشجار والأحجار ، وأغرق كثيراً من الخيل والجمال والأعيار وملأ الخندق وارتفع فى السور قدر رمح ، وأهلك خلقا كثيراً ، ثم نضب من يومه . ويقال إن عدة من هلك به يناهز عشرة ألف نفس . وتوجه السلطان إلى دمشق ، وأقام بها يومات (. . . . .) منها فى العشر الآخر من
٢٥أ/ شوال . وسار إلى القرين ، ونازله . ولـــما نصب المجانيق / عليه وأخذت باشورته ، سأل أهله أماناً ، فأمنهم وأخرجهم وسرحهم إلى مأمنهم بحيث أن لا يحملوا معهم سلاحاً ولا مالا . وأمر السلطان بهدم القلعة ، فهدمت ، ثم لبس العساكر وتوجه إلى عكا ، فسأل أهلها الهدنة ، فأجيبوا ، وسار عائداً إلى الديار المصرية . وفى هذه السنة توفى المحبر هيثوم صاحب سيس بعد انقطاعه وترهبه .

---

(١) وهو محى الدين بن عبد الظاهر ، راجع أبو الفدا ، المختصر ، ٤/٦ ، وابن الوردى ، المرجع السابق ، ٢/٣١٥ .

ودخلت سنة سبعين وستمائة :

فيها توجه السلطان إلى الكرك على البرية ، ومنها إلى شيزر وحمص وحصن الأكراد وحصن عكار ، فكشفهم ودخل إلى دمشق ، فوردت إليه الأخبار بغارة التتار على حارم صحبة مقدم يسمى صمغار . فكتب إلى الديار المصرية مع البريدية إلى الأمير بدر الدين بيسرى أن يستصحب من أقوياء الجند ، ثلاثة آلاف فارس مزاحة أعذارهم . ويسير بهم إليه . فتجهز المذكور وخرج بالعدة المطلوبة من يومه . وأصبحوا سائرين ، وحدوا مسيرهم مسرعين ، فوصلوا دمشق فى اثنى عشر يوماً ، وفى أثناء ذلك اتصلت غارات صمغار ومن معه من التتار ، فنزلوا جماعة بحارم ، وارتكبوا كثيراً من المحارم ، فتأخر نائب حلب بمن معه من العسكر إلى حماة ، وقلق أهل دمشق وجفلوا . فلما وصل الأمير بدر الدين بيسرى بمن معه من العساكر ، خرج السلطان من دمشق ، وسار إلى حلب وجرد إلى كل جهة أميراً وعسكراً ، وجرد الحاج علاء الدين / طيبرس الوزيرى والأمير عيسى بن مهنا [1] /٢٥ب
إلى مرعش وحران وما بينهما . فصادفهما جماعة من التتار ، فقتلوهم وانكف صمغار وانكفأ . وراق الشام لسكانه وصفا ، وكان الفرنج قد تحركوا بالساحل ، وأغاروا على قاقون بالفارس والراجل . فلما عادت العساكر من البلاد الحلبية راجعة إلى البلاد المصرية . فرق الفرنج وتفرقوا وغربوا من حيث أشرقوا ، ووصل السلطان إلى الديار المصرية فى نعمة ظاهرة ونصرة

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٧٧٤ .

متظافرة . ثم عاد إلى الشام فى شهر شوال ، ونزل على الروحا قبالة عكا ، فإنه مكان كثير الماء والمراعى . ووافته رسل الأمير معين الدين سليمان البرواناه وصمغار مقدم التمان [1] بالروم ، فأكرمهم وجهز معهم الأمير فخر الدين إياد المقرى ، ومبارز الدين الطورى الطبردار بجواب الرسالة ، وأصحبهم هدية إلى أبغا . وسار إلى حصن الأكراد وأمر بعمارتها وعاد إلى دمشق ومنها إلى الديار المصرية .

(١) التمان أو التومان ، وأحيانا تكتب بالطاء « الطمان » أو « الطومان » ، وهى الفرقة العسكرية التى قوامها ١٠ آلاف محارب .

ودخلت سنة إحدى وسبعين وستمائة :

فتقدم بتجهيز العساكر إلى الشام ، وخرج من القلعة ، فلم يلبث فيها إلا خمسة عشر يوماً ، وسار إلى دمشق ، فحضر إليه رسل أبغا يلتمسون الصلح . وفيها تسلم صهيون من سابق الدين وفخر الدين ولدى سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان صاحبها ، فإنه توفى وأوصاهما بالمهاجرة / إلى باب / ٢٦ أ
السلطان وتسليم صهيون إليه ، فأقبل عليهما وأمر أحدهما وأعطى الآخر إقطاعاً . وفيها حضر مقدم من مقدمى التتار يسمى دوتيه فى جماعة كثيرة منهم إلى البيرة ونازلوها ، ونصبوا عليها المجانيق وحاصروها بالمراماة والتضييق ، وجرد جماعة صحبة مقدم يسمى جنقر إلى مخاضة الفرات ليحفظوها ، وهى المخاضة التى يقال لها مخضة القاضى . فلما جاءوا إليها ، نزلوا عليها ، وأقاموا السيب ، ونصبوا عليها سياجاً من الخشب ، وصاروا من ورائه مستدربين به . وساعة وصول هذا الخبر إلى السلطان ، سار تقدم الفرسان حتى انتهى إلى المخاضة المذكورة ، وعاين التتار نازلين عندها بهذه الصورة ، وقد اجتمعت معه جيوش الإسلام المنصورة ، فاستشار الأمراء أرباب المشورة . وقال : ماذا نصنع بهذا القوم ؟ وكيف تمكن إليهم الخوض والعوم ؟ . فقال له الشهيد قدس الله روحه : هؤلاء أقل من فكرة السلطان فيهم ، ونحن نقطع البحر إليهم ، ، ثم تقدم مبادراً إلى الفرات ، فرمى فرسه فيه ، وتبعه الطلب الذى له ومضى فيه . ولما صاروا فى البر الشرقى ، حطموا ذلك السياج وهجموا على أولئك التتار هجوم الليوث على النعاج ، فاستأصلوهم ومزقوهم وقتل مقدمهم المسمى جنقر قتله كتبغا المنصورى ، وتلاحقت الخيول تسبح

٢٦ب/ فى ذلك التيار وتتكردس / فى الماء كما تتكردس الأطيار فى الأنهار ، والسلطان فى أوائلهم بمماليكه وخواصه ومن معه . ولما تكامل العسكر بالبر الشرقى ، فردوتيه طريداً ، وولى هو وجمعه بديداً . وترك آلاته وعدد حصاره ومنجنيقاته ، فانتهبها أهل البيرة انتهابا ، وأوقدوا منها أخشاباً . وشارف السلطان البيرة وشاهدها وتفقد أحوالها ، وتعاهدها ، وخلع على نائبه بها ، وعلى مقدمى رجالها لما أظهروه من الاجتهاد والمصابرة والثبات ، وأنعم عليهم وعاد منها ، وقطع الفرات مغربا ، وبما آتاه الله من النصر طربا . وكان ذلك فى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وستمائة . وقام السلطان بدمشق برهة يسيرة ثم عاد إلى الديار المصرية ، وقد طبق صيته الآفاق ، وانتشرت سمعته فى العراق . وأرعبت صولته التتار رعباً يكاد يفرق بين النوم والأحداق . وكان طلوعه إلى قلعته فى العشر الآخر منه . وأما دوتيه فإنه لما عاد إلى أبغا خائباً قصده ، مهزوماً جنده لم يؤثر أثراً ، ولا قضى وطرا . وقد قتل جنقر فى المعركة . وكانت التقدمة على ذلك البعث بينهما مشتركة ، عد ذلك أبغا ذنباً عظيماً ، وقال : كنت تموت موتاً كما مات رفيقك ولا تأتينى [سليماً] (١) وأمر بالحوطة عليه وإخراجه من بين يديه ، وأعطى تقدمته لمقدم يسمى ابطاى ، فقبل الأرض بين يدى أبغا ، وضمن

٢٧ أ/ سد الخلل الذى قصر درباى / فيه ، ويدرك استدراكه وتلافيه . وأما السلطان فإنه لما استقر به القرار وسكنت عنه هواجس الأفكار من جهة تلك الأقطار ، قابل نعمة الله بالإحسان ، وأفرج عن الأمير عز الدين أيبك الدمياطى ، وقد كان مسجوناً مدة زمانا ، وأنعم عليه بالتشاريف والحلل والخيول والخول والإمرة واليسرة ، فأنساه ما مر به من البأساء والضراء بما أتاه من النعماء والسراء . وتاقت نفس السلطان إلى الانفساح ، وانبعثت إلى الانشراح ، فجلس لشرب القمز (٢) مجلسا خاصاً وحضره الأعيان والأمراء وأكابر الندماء . ولما فاضوا فى المفاكهة ، وأفضوا إلى المذاكرة ، تذاكروا حديث

(١) الكلمة مطموسة فى الأصل ، وما بين المعقوفتين قراءة مرجحة .

(٢) نوع من النبيذ يعمل من لبن الخيل . واللفظ تترى الأصل .

التتار الواصلين إلى البيرة وكيف بادر السلطان إليهم واستظهرت العساكر عليهم ، وكيف كان قطع الجيوش بحر الفرات من غير توقف ولا التياث فأثنى الحاضرون فى ذلك المجلس على المخدوم ، وقالوا لقد كشف بإقدامه غمائم الغموم وهماهم الهموم وكان له السبق فى السبح والهجوم ، فأمن السلطان على كلامهم وأثنى على مقامه ذلك ومقامهم ، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار وفرس من خيار الخيل بسرج ذهب ، وتشريف كامل مزركش الكلوتة والطرز ، وجوشن عليه من السقط الذهب ألف دينار ، وخوذة وسيف محلى بالذهب . فكان تقدير هذه المنحة فى ساعة واحدة / خمسة آلاف دينار /٢٧ب
عينا . ولما تراضعوا كؤوس القمز ، ناول السلطان هنابا [1] مملوءاً للأمير عز الدين الدمياطى ، فتأمله وقال : يا خوند ، شبنا وشاب نبيذنا ، وغنت الشعراء وترنمت الآنسات ، فكان مما تغنوا به هذه الأبيات :

زعمت بنو قاقان أن خيولنــا ... تخشى العبور إليهم فى المـــاء
فأتوا إلى شاطى الفرات وطلبوا ... مستجمعين أتـــوا من البيداء
وافاهم بجيش النبي يقوده ... ملك الزمان الظاهر الآلاء
بعصائب سود عليها رنكه ... أسد فرسن فوارس الهيجـــاء
خاض الفرات سباحة للقائهم ... بذوابل وشوارب جـــرداء
فانفض بجيشهم وولى هارباً ... وتفرقـــوا بالغـــارة الشعواء
وغدت سيوف المسلمين خضيبة ... من ها مهم عند الوغى بدماء
فالله يبقيـــه وينصر عزمه ... فى كل صبح واضح ومساء

ولم يبق ممن جمعه ذلك المجلس إلا من شمله إنعاماً وناله افتقاداً وإكراماً . وهذه شيمة الملوك الأكابر ، وذخيرتهم الإحسان وهو نعم الذخائر . وانصرف المخدوم الشهيد محبوا محبورا ممدوحا مشكوراً يسحب أذيال الفخار ، وتنقل بين بدَر النضار وقد امتطى صهوة الجواد المنعم به عليه . ورنت ولم تزل عين العز ترنو إليه . وفى هذه السنة، تسلم السلطان ما كان تأخر تسليمه من حصون الدعوة ولم يبق للاسماعيلية ناد بدار الندوة . وفيها كانت وفاة المغيث بن العادل .

---

(١) هو القدح من الشراب .

ودخلت سنة اثنتين وسبعين وستمائة :

٢٨ أ / / فيها توجه السلطان إلى الشام وصحبته جماعة من أمرائه لأن الأخبار كانت قد تواترت بأن أبغا ملك التتار قد تحرك إلى البلاد الشامية . فنزل العساكر مستريحة بالديار المصرية ، وخرج بنفسه ليتصفح الأحوال ويستوضح حقيقة ذالك المقال ، فاتفق تواتر الأخبار عليه وهو فى الطريق بصحة حركة القوم ، فبادر فى ذالك اليوم ، وأرسل يستدعى العساكر بالبرداء ، ورسم بإحضار القرباء منهم والبعداء . وخرجوا صحبة الأمير بدر الدين الخزندار نائب السلطنة ، ووظف على القرى والضياع خيالة يقيمونها ، ويقومون بكلفتها بمقدار أحوالهم . ووصل إلى دمشق ، ولما وصلت العساكر من الديار المصرية إلى يافا ، خرج السلطان وعاد إليها ورسم لهم بالنزول فيها ، ورتب أحوالهم ثم عاد إلى دمشق ، فوصل إليه الأمير شمس الدين بهادر ابن صاحب شميصات هارباً من التتار ، وذلك أنه كاتب السلطان مناصحاً ، فأطلعوا التتار على أمره فأمسكوه وأرسلوه إلى الأردوا ، فهرب وقصد الأبواب السلطانية ، فأحسن السلطان إليه وأكرمه وأعطاه إمرة بعشرين فارساً بالديار المصرية . وفيها عاد أمير من أمراء العربان اسمه عمرو بن مخلول من بلاد التتار ، وكان قد أجرم جرماً أوجب اعتقاله فى قلعة عجلون ، فتحيل وهرب إلى هناك ، ثم أرسل

٢٨ب/ يسأل الأمان ليعود إلى بلاده . فأبى السلطان / عليه وقال : ليس له عندى أمان إلى أن يعود إلى محبسه ويضع الطوق كما كان فى عنقه . فعاد إلى عجلون ودخل إلى المكان الذى كان معتقلا فيه وجعل الطوق فى عنقه كما كان عليه ،

فعند ذلك عفا السلطان عنه . ولما سكن ذلك الإرجاف بحركة التتار ، عاد السلطان إلى الديار المصرية وعزم على ظهور ولديه خضر وسلامش ، فأمر بأن ينصب القبق ، فنصب وحصل الاهتمام له كما يجب . ولعبت العساكر ثلاثة أيام وظهر المذكوران وقدمت التقادم وأفيض الإنعام على المخدوم والخادم وكان لعب القبق مشتملا على الجد بما فيه من إجراء الجياد وإدمان الجلاد ورماية السهام والكر والإقدام ، فقال فى ذلك بعض الشعراء :

ذاك يوم لهـا عن اللهو فيه وتغنى عن مطربات الأغانى
برنين القسى عنـد المراما ة وركض الجيـاد فى الميدان
بصليل لمـرهف وصهيـل لجـواد ، ورنـة لأذان
كل أفعـاله إلى الجد تعزى يوم سلم أولا فيـوم رهـان
لا تراه فى السلم والحـرب إلا بين رمح وصـارم وسنان
هكذا تفعل الملوك فعـالا شائعـاً حمده بكل مـكان
دام فى رفعـة ونصر عزيز ما تغنت حمـائم الأغصـان

/ ٢٩ أ وكان هذا المهم فى العيد ، فتضاعفت بسببه الأفراح / للخاصة والعامة ، وحصلت الطائفتين المسرات التامة ، وانقضى هذا المهم والناس وادعون فى سرور ظاهر ، واقعون فى ربيع من المسرة زاهر . وفى هذه السنة أرسل السلطان ولده الملك السعيد إلى الشام وصحبه الأمير شمس الدين اقسنقر الفارقانى فوصل إلى دمشق ومنها إلى صفد فالشقيف ، وعاد إلى مصر . وكان قصده بذلك أن يمرنه على الأسفار ويظهره لأهل الشامات والأمصار . وفى هـذه السنة ، مات من ملوك المغرب صاحب ترمسان [١] واسمه يغمراسن ، [٢] وأخذ يعقوب المرينى [٣] مملكته .

(١) كذا فى الأصل ، والمقصود هو « تلمسان » ، انظر أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ١٣٦ .

(٢) وهو يغمراسن بن زيان ، أول من استقل بتلمسان من بنى عبد الواد ، انظر يحيى ابن خلدون ، بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، الجزائر ، ١٩٠٣ ، ١/١٠٩ - ١١٦ وفيها أنه توفى ٦٨١ هـ .

(٣) وهو أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أمير بنى مرين .

ودخلت سنة ثلاث وسبعين وستمائة :

فيها توجه السلطان على الهجن إلى الكرك من الطريق البدرية ، فبلغه أن الرجالة الذين بها ما يخامرون وبالنفاق يجاهرون ، فأمسكهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم . وأقام أياماً ، وعاد إلى القلعة ، وتوجه إلى العباسة . وفيها وصل رؤساء الشوانى الذين كانوا قد أخذوا بقبرس لما تكسرت شوانيهم وحصلوا فى أيدى شوانيهم ، ولم يخطر ببال أحد منهم أن يخلصوا من حبائلهم ولا يسلمون من غوائلهم . فلم يزل السلطان يعمل الحيل تارة بالترهيب وتارة بالترغيب حتى أمكنه استنقاذهم ، فلم يشعروا الناس إلا وقد جاءوا سالمين ، وهم ستة من أعيان الرؤساء ومقدمى البحر القدماء . فسر بنجاح مقاصده ،
٢٩ب/ وكبت معانده . وأمر عساكر / حلب بالغارة على بلاد سيس ومرعش ، فأغاروا عليها وبثوا الخيول فيها ، وأعقب غارتهم خروج السلطان من الديار المصرية بجميع العساكر المنصورة ، ووصل إلى الشام ودخل دمشق فى أواخر شهر شعبان ، واستجمعت عساكر مصر والشام . ولما كان فى أوائل رمضان عزم على الدخول إلى سيس ، فجهز بين يديه الشاليش صحبة المخدوم والأمير بدر الدين بيليك الخازندار .

قال الراوى : فسرنا سيراً عنيفاً وسقنا جيشاً كثيفاً حتى وصلنا المصيصة وأهلها على غرة لا يشعرون إلا وقد صبحناهم إذ هم يفتحون أبواب المدينة ، فهجمت العساكر عليها وحصلوا من داخلها وبذلوا السيف فى أهلها وقتلوا أكثر من بها ، وملكوا جسرها . وكان السلطان قد أمر بأن تحمل

المراكب على الجمال ، على أنه إن تعذر مرام الجسر وكان دونه ممانع ، يعدى نهر جاهان [1] عليها ، فلم يحتج إليها ، ولم يكن إلا كلمح طرف أو خط حرف ، حتى أقبل السلطان فى مواكبه ، فدخل سيس مطلبا بجحفل لجب ومنظر عجب ، وتجاوزها إلى دربند الروم ، ثم أمر بتخريبها وتشعيثها ، فخربت منادرها وكنائسها وقلعت عرائشها وغرائسها ، ونهبت العساكر ما مرت به من المواشى وغيرها . وعاد السلطان من الدربند ، فلما وصل إلى المصيصة أمر بتحريقها ، فحرق جانباها بالنار وخليت من العمار ومنيت بالدمار . / فقال فى ذلك بعض النظامين [2] : / ٣٠ أ

يا ويح سيس أصبحت نهبة ... كم عوق الجارى بها الجارية
وكم بها قد ضاق من مسلك ... واستوقف الماشى بها الماشية

وجرد حسام الدين لاجين العنتابى وعيسى بن مهنا إلى البيرة ، ووصلت بعوثه إلى إياس والبرزين [3] وأذنة ، فكانت بنصر الملة آذنة . وفى ذلك يقول الشاعر [4] :

يا ملك [5] الأرض الذى بأسه ... كم عامر الكفر منه خرب
قلبت سيساً فوقها تحتها ... والناس قالوا سيس لا تنقلب

وخرج السلطان ونزل بمرج أنطاكية وجميع العساكر حوله ، ثم جمع الغنائم على اختلاف أنواعها وقسمها بالسوية على العساكر ، فلم يخل من نصيب منها صاحب علم ولا رب قلم ، وأراح العساكر بالمرج شهرا . ثم رحل إلى القصير وشرع فى حصاره ، فسلمه أهله بالأمان ، وجهزوا إلى حيث شاءوا .

---

(١) وهو نهر جيحان ، انظر أبو الفدا ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) انظر ابن عبد الظاهر ، المرجع السابق ، ص ٤٣٨ .

(٣) أو « بارزين » ، وهى قلعة من عمل حماة .

(٤) وهو ابن عبد الظاهر ، راجع مؤلفه الروض الزاهر ، ص ٤٣٦ .

(٥) كذا فى الأصل ، ولعل الصحيح هو « يامالك » .

ودخلت سنة أربع وسبعين ستمائة :

وهو مقيم بالبلاد الشامية فأرسل الأمير بدر الدين الخازندار ليحضر إليه الملك السعيد من مصر ، فأحضره وبينما هو مقيم بدمشق بلغه أن أبغا ملك التتار جرد جيشاً صحبة مقدم يسمى ابطاى ، وهو الذى ذكرنا أنه تولى تقدمة التومان الذى كان مع درباى ، وتكفل النهوض بما عجز عنه درباى من أمر البيرة وأنه حضر إليها وهم محاصروها ، فأنفق السلطان فى العساكر

٣٠ب/ بمدينة دمشق ، وخرج متوجهاً / إلى صوب الفرات ، فلما وصل القطيفة ، وردت إليه الأخبار بأن التتار سمعوا بحركته ، وأخبروا بتجهيزه ونفقته ، فوهنوا وجزعوا ومضوا عن البيرة واندفعوا . وكان المقتضى لعودهم أمراً أجرته القدرة وحكمت به السعادة والنصرة ، وهو أن الأمير معين الدين سليمان البرواناه كان قد كاتب السلطان وناصحه ، وفاوضه فى الاتفـــاق وفاتحه ، فوقع للمقدم ابطاى المذكور قاصد من قصاده ومعه كتاب الظاهر جواباً عن كتابه إليه يشتمل على هذه الأغراض ، فأخذه ابطاى وتوجه به إلى أبغا بالاردوا ، وعند ذلك أرسل أبغا يستدعى البرواناه ، فلم يتوجه إليه، وجعل يحتج ويعتذر ويكتب إلى السلطان يستحثه على المسير ، ويبدى له ما هو عليه من التحيل والتدبير . ولمـــا تحقق السلطان رجوعهم عاد إلى الديار المصرية وجرد جيشاً لغزو النوبة وقدم عليهم الأمير شمس الدين الفارقانى وعز الدين أيبك الأفرم ، وساروا إلى دنقلة ومروا فى طريقهم بالجنـــادل وعبروا على جزيرة الخيل ، فحضر إليهم صاحبها ، فأقروه عليها ، وخرج

داود ملك النوبة لقتالهم فكسر ، وأما أخوه فأسر ، وانهزم داود إلى بلد الأبواب ، فالتقاه صاحبها واسمه آدر ، وقاتله وكسره ثانية وأخذه أسيراً ، وأرسله إلى السلطان فاعتقله فى القلعة إلى أن مات فى حبسه / وسبى العسكر / ٣١ أ
والعربان والحاشية والغلمان كثيراً من السودان ، وغنموا منهم جمعاً كثيراً من النساء والصبيان ، ورتبوا مريشكر [1] ابن أخى داود فى السلطنة عوضاً من عمه ، فإنه كان قد عدى عليه وأسيء إليه ، فحضر إلى الباب العزيز مستصرخاً ، وتوجه صحبة العسكر المنصور مستجيراً من عمه ، والتزم بالقطيعة المقررة مضاعفة ، وعادت العساكر إلى القلعة المحروسة . وفى هذه السنة عقد عقد [2] الملك السعيد على بنت المخدوم الشهيد واسمها غازية خاتون . ولما انقضى العقد ، توجه السلطان إلى الكرك ومنها إلى دمشق ، وعاد إلى قلعته .

(١) وسماه القلقشندى مرقشكر (صبح الأعشى ٥/٢٧٦) ، وجاء اسمه « شكندة » فى ابن أبى الفضائل (النهج السديد ، ص ٢٣٤) ، الذى أورد أيضا نص اليمين التى حلف عليها الظاهر بيبرس سنة ٦٧٤ هـ (ص ٢٣٦ وما بعدها) .
(٢) انظر نسخة هذا العقد فى القلقشندى ، المرجع السابق ، ١٤/٣٠٠ .

ودخلت سنة خمس وسبعين وستمائة :[

فيها كان دخول الملك السعيد بيته بهمم عالية وولائم متوالية، ولعب السلطان القبق وأنعم على الأمراء والمقدمين بالخلع السنية والخيول العربية. وعند فراغه منه عاد إلى الشام المحروس وقد تحقق مجيء التتار حتى رمى الدرب بخيله ورجله حتى امتدت عساكره فى وعره وسهله. ولما تعدى النهر الأزرق المسمى كوكصوا [1] ، قدم شاليشه ورتب جيوشه. وقرب العدو وفيه من كبار مقدميه توقوا وتداون ، وعدتهم اثنى عشر طلبا ميمنة وميسرة وقلباً. فحمل العسكر عليهم فطروهم بين أيديهم ، وغادروهم صرعى ، وأبلوا
٣١ب/ فأحسنوا / فيهم صنعا ، وقتل المقدمان كلاهما. وكان البرواناه فى طلبه ومعه جماعة من عسكر الروم ، فأخذ بجر ذيول الهزائم ، وأخذته لومة كل لائم ، لأنه لم يتلق السلطان كما كان يعده ، ولم يكن متفقاً مع أبغا فيعين بعثه وينجده وعاد السلطان إلى قيسارية وجلس على كرسيها ، وأخذ علاء الدين بن البرواناه وجماعة معه ، فعفا عنهم وأسر من المغل جماعة كثيرة فى هذه الوقعة ، وأخذ المخدوم لنفسه قفجاق المنصورى وجاورشي المنصورى كسبا ، واشترى سلار لولده الملك الصالح. ورتب السلطان فى قيسارية المذكورة سيف الدين جاليش أمير دار نائباً. وكان قد حضر إلى الخدمة طائعاً ، وعاد بالعساكر إلى مرج حارم فقيل فى هذه الغزاة أبيات يغنى بها المطربون، وأثبتها فى الصحائف الكاتبون ، منها هذه الأبيات :

---

(١) لعله نهر كختاصو الذى يقع على مسافة أربعين ميلا تقريبا من ملطية .

عزمنا على اسم الله والله ربنــا نروم العــدى قسرا بكل مضمر
نروم بنى قاقان قصدا لأنهم بغوا وطغوا فى قسوة وتجبر
لنا فيهم التارات تارات من مضى جدوداً وآباء لهم خــير عنصر
فسرنا نقود الخيــل فى كل غارة إلى المغل فاسأل زمرة الروم تخبر
بأنا تركناهم على الأرض رمــة طعاماً لوحش البر فى كل محشر
مع الفارس الكرار فى حومة الوغى أبى الفتح بيبرس الهمام الغضنفر

/ ٣٢ أ وأقام بمرج حارم حتى رتّبعت الخيول[1] وانجابت السيول ، / وسار إلى دمشق . وبعد انفصاله عن الأبلستين[2] حضر أبغا بنفسه إلى المكان الذى كان فيه الوقعة وحقت على جيشه الصرعة ، فلم يشاهد فى القتلى أحداً من المسلمين ، فازداد حنقاً وطلب البرواناه ، فأحضره وأخذه معه إلى الاردو ، وأمر بقتله ، فقتل .

(١) أى حتى ارتباع الخيول وخروجها للمرعى فى فصل الربيع ، انظر أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة ، ١/٧٣ — ٧٤ .
(٢) مدينة الأبلستين ، وهى مدينة ببلاد الروم ، البستان ، وهى قريبة من أفسوس مدينة أهل الكهف ، انظر ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، ١/٩٤ .

ودخلت سنة ست وسبعين وستمائة :

فيها كانت وفاة الملك الظاهر ، وقيل إنه أراد اغتيال بعض بنى أيوب فسقاه كأس قمز مسمومة ، فغفل الساقى ثم ملأ تلك الكأس وقد بقى فيها أثر السم وناولها للسلطان ، فشربه من غير علم منه ولا من ساقيه فكان فيه منيته ، ومرض لذلك أياماً قلائل يشكو انطلاق النار فى جوفه إلى أن اتصل ذلك بحتفه ، فمات فى العشر الأخير من المحرم من هذه السنة المذكورة ، ودفن بدمشق ، وأخفى موته . وسار بيليك الخازندار بالعساكر المصرية وبينهم المحفة فى الموكب يوهمون أن السلطان فيها مريض ويستدعون الأطباء لهـا كالمعالجين له ، وتحمل الأشربة والمزاود والمساليق إلى نحوها حتى وصلوا إلى الديار المصرية والعساكر مرتبة والخزائن محفوظة . واستقر بعده الملك السعيد [1] ولده فى شهر ربيع الأول فى سنة ست وسبعين وستمائه ، ولمـا
وصلت العساكر المنصورة إلى القاهرة المحروسة ، ، اتفق / الأمير بدر الدين ٣٢ب/
بيليك الخازندار وأكابر الأمراء على استقرار الملك السعيد فى دست المملكة بعد والده الشهيد . وبقى الحال على نظامه والدست فى تمامه ، والأمير بدرالدين بيليك الخازندار على قاعدته فى نيابته وحزمه وسياسته ، والأمراء على القاعدة فى الخدمة وتمكن الحرمة أياماً قليلة ، فاتفق أن الأمير بدر الدين الخازندار مرض برهة لطيفة ومات . فكان أجله وأجل مخدومه متقاربين . وتولى نيابة

---

(١) الملك السعيد بركة خان واسمه أيضا محمد ، راجع أبو المحاسن ، مورد اللطافة ، ص ٤١ ، والمنهل الصافى ، الترجمة رقم ٢٠٩٠ .

السلطنه بعده الأمير شمس الدين أستاذ الدار المعروف بالفارقانى[1] واقام برهة ، فحصل بينه وبين بعض الخواتين منافسة ، فسعوا به عند الملك السعيد فوجد عليه ، وأمر بإمساكه ، فقبض عليه وولى شمس الدين سنقر الألفى نيابة السلطنة المعظمة ، وحصل فى أثناء ذلك كلام أوجب تغير خاطره على الأمراء الكبار ، فاستدعى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى وقبض عليهما ثم قبض على خاله الأمير بدر الدين محمد بن بركتخان ، وبقوا فى الاعتقال أياماً قليلة ، ثم قبح عليه فعله بهم ، فأفرج عنهم وعزل شمس الدين سنقر الألفى من النيابة وولى سيف الدين كوندك الساقى . فكان يميل إلى جانب المخدوم وتروج خالة الملك الصالح وهى بنت كرمون . وقد كان الملك الظاهر تزوجها وبانت عنه ، وبقيت فى البيت تحت نظر المخدوم / واتفق أن كوندك المذكور حصل بينه وبين لاجين الزينى منافسة توغرت لها الصدور ، ودبت بسببها عقارب الشرور ، وصار لكل منهما فئة تظهر التعصب له والاتفاق معه ، فتفرقت الآراء وتشعبت الأهواء . ٣٣ أ

(١) أبو المحاسن ، المنهل الصافى ، ص ٧١ .

ودخلت سنة سبع وسبعين وستمائة :

فيها خرج الملك السعيد إلى الشام ، ولما وصل دمشق جرد المخدوم وصحبته جيش إلى جهة سيس ، والأمير بدر الدين بيسرى فى جماعة إلى قلعة الروم ، فلما ساروا إلى الجهات المذكورة ، طلب لاجين الزينى ومن معه من الخاصكية إقطاعات بعض الأمراء الكبار ، فسمح لهم بها وقرروا معه الإيقاع بهم ، فاطلع كوندك على ذلك ، فأرسل إلى المخدوم وبدر الدين بيسرى يعلمهما بالحال ، وعادا بمن معهما من العسكر ، فأقاما بالمرج بظاهر دمشق ولم يدخلاها وخرج إليهما كوندك فأبلغهما ما جرى من لاجين الزينى وشكا من تعديه عليه وإساءته إليه ، فأرسل الأمراء يقولون للملك أن كوندك قد شكا إلينا من الزينى أموراً كثيرة تقتضى فساد الحال فتسيره إلينا لنكشف منه عما قال وتخمد الفتنة وتسكن الثائرة ، فأبى وكتب إلى من كان معهما من الأمراء بأن تفارقوهما وتدخلوا دمشق . فوقعت الكتب فى أيديهما ، فتحققا الفساد وتبين لهما سوء رأيه فيهما ، فرحلا بمن معهما من العسكر وكوندك صحبتهما إلى داريا [1] . وبلغ الملك السعيد رحيلهم ، فأرسل يستدرك أمرهم ، فلم
٣٣ب/ يصغوا إلى الرسالة ولا ألووا إلى الإبالة . وقالوا إن / القلوب قد فسدت والنيات قد تغيرت ولا سبيل إلى الرجوع إليه ، ولا الاجتماع عليه . واتفقت وفاة الأمير بدر الدين بن بركتخان بمدينة دمشق فى ذلك الوقت . ورحل الأمراء إلى الديار المصرية يجرون الذيول ويحثون الخيول .

---

(١) أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٧١ .

• دخلت سنة ثمان وسبعين وستمائة :

فكان وصولهم إلى ديار مصر فى أوائلها ، ونزلوا تحت الجبل الأحمر ، وكان بالقلعة الأمير عز الدين أيبك الأفرم والأمير علاء الدين أقطوان الساقى مشتركين فى نيابة السلطنة والأمير سيف الدين بلبان الزُّرَيْقى [1] أستاذ الدار ، فأشاروا إلى القاهرة بغلق أبوابها ، فغلقها وبنى اكرها قصداً فى منع العسكر الواصل صحبة الأمراء من الدخول إليها ، ونزل الأفرم وأقطوان إلى الأمراء ، فقبض عليهما كوندك وفتحت أبواب المدينة ، ودخل القوم إلى بيوتهم وأغلق الزريقى بابى القلعة ، فهم الأمراء بحصارها وهم بدر الدين بيسرى ، وعلاء الدين بندقدار وايتمش السعدى أمير سلاح ، وبدر الدين الأيدمرى ، وسيف الدين [بن] [2] أحمد ، وسيف الدين طردج ، وركن الدين بكتاش النجمى ، وعز الدين الحبشى [3] وعلاء الدين كشتغدى الشمسى ، وسيف الدين بلبان الهارونى ، وسيف الدين بجكاالعلائى وركن الدين بيبرس الرشيدى ، وعلاء الدين كندغدى الوزيرى ، ويعقوب الشهرزورى وابن أطلس خان وبيدغان الركنى ، وبدر الدين ابن أتابك ، وعلاء الدين كندغدى أمير مجلس ، والأمير سيف الدين جرمك / وركن / ٣٤ أ
الدين تقصوا ، وسيف الدين كوندك ، وعز الدين ايبك الحموى ، وشمس

(١) ولعله منسوب إلى قبيلة زريق ، انظر ياقوت ، المرجع السابق ، ٢/٩٢٩ ، وجاء اسمه فى كترمير ١/١٧٠ ، على انه « الزريق » .

(٢) الكلمة مطموسة فى الأصل ، ومابين المعقوفتين قراءة مرجحة .

(٣) الكلمة غير واضحة ، والتكملة من المقريزى ، كتاب السلوك ، ١ - ٢/٦٥٤ .

الدين سنقر الألفي ، وشمس الدين سنقرجاه ، وعلاء الدين ساطلمش ، وسيف الدين قلنجق ، وسيف الدين قجقار الحموى ، ومن معهم من الأمراء الصغار والمقدمين . وأما الملك السعيد ، فإنه أنفق فى العسكر ومضى وسار وتبعه عسكر الشام والعربان . فلما وصل بلبيس أعطاهم دستوراً ، فعادوا كل منهم إلى موضعه . وكان عسكر الشام صحبة الأمير عز الدين أيدمر نائب دمشق . فلما وصل إليها ، قبض عليه الأمراء الذين فيها ، وسيروه إلى الديار المصرية . واتفق وصول الملك السعيد وليس معه إلا سنقر الأشقر ونفر قليل من الأمراء الصغار . ثم اعتزل سنقر الأشقر عند وصوله إلى البركة ، ونزل عنه ناحية وصادفه يوم شديد الضباب حالك الجلباب ، لاتبين فيه السبل ولاينظر الرجل الرجل . فطلع القلعة وهم لا يبصرون ، واستقر بها من حيث لايشعرون ثم ترددت بينهم الرسائل ، وانتهى الحال إلى أن التمس أن يتوجه إلى الكرك ، فجهز وسُفـِّر إليها صحبة الأمير سيف الدين بيدغان الركنى ، فوصلها وتسلمها من النائب الذى فيها ، وذلك فى ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة ، وقصدوا الأمراء أن يجلسوا المخدوم فى السلطنة ، فامتنع ، وأجلسوا ابن الملك الظاهر ، بدر الدين سلامش فى الشهر المذكور . ولما أجلس على تخت السلطنة
٣٤ب/ لقب بالملك / العادل ، وتولى المخدوم أتابكية العساكر المنصورة وسير الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى دمشق ليكون نائب السلطنة بها . وأدنى البحرية الصالحية وأحسن إليهم ورفع لهم الدرجات وأعطاهم الطبلخانات ، وولاهم النيابات ، وأجرى على أولاد من مات منهم الرواتب والجامكيات وفاء بهم وحفظاً لصحبتهم . وقبض على كثير من الظاهرية الساعين فى تفريق الكلمة وإثارة الفتنة وجزاهم بسوء سيرتهم التى كانت سبباً لخراب بيت أستاذهم وبيتهم ، ومكث على ذلك شهوراً قليلة ، فألزمه الأمراء والكبار بأن يجلس فى الدست مستقلا ، فأجاب ورأى ذلك من الصواب .

ذكر سلطنة السلطان الملك المنصور أبى الملوك سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى المخدوم، تغمده الله بالرضوان وأسكنه الجنان، وأجزاه عما أولانا من الإحسان وثبت قواعد بيته وأكدها، وقوى دعائم ناصره وشيدها .

وذلك فى سنة ثمان وسبعين وستمائة : يوم الأحد الثانى والعشرين من رجب .

قال الراوى : ولما سأله الأمراء وتوسل إليه الكبراء أن يلى الأمر بنفسه لتطمئن القلوب وينتشر الصيت إلى البعيد والقريب ، أذعن لموافقتهم وجنح لمقالتهم لما ترجح ذلك عند جماعتهم . فجلس على منبر الملك وسريره ، وأخذ فى توثيقه وتدبيره ، وخطب / له على المنابر فى الوقت المذكور ، ولقب / ٣٥ أ
بالسلطان الملك المنصور ، وكتب إلى الآفاق الكتب بتجديد ملكه وانتظام الممالك الإسلامية فى سلكه . فضربت البشائر بكل مكان ، وخضع كل قاص ودان واستكان ، وخطب له على المنابر وعم الهناء البادى والحاضر ، وتشرفت بسمة اسمه النقود وتطرزت برقم رسمه عذبات الأعلام والبرود ، وكانت النفوس تشهد بسلطنته وتتوسمها على سمته . وكان الظاهر قاطعاً بمصير الأمر إليه ، وكان ذلك مما بعثه على صلته ومصاهرته ، وبشره بالسلطنة الشيخ الصالح على البكا كما ذكرنا . ثم بعد ذلك ، رأى له بعض حاشيته مناماوكأن هاتفاً يقول له : هذا قلاوون يكسر هلاوون . فلما قص عليه فى إمرته المنام ، قال : هذه أضغاث أحلام . فكان الأمر محرراً والحلم مبشراً وذاع حديث المنام فيما يدور بين الناس من الكلام . فقال قائل شعراً فيه تعريض به وهو :

ملك كأن البحــر جود يمينــه   وكأن نور الشمس ضوء جبينه
تزهو المواكب والكواكب دائماً   هذا وتلك (. . . .) وحصــونه

كم نعمة للخلق فى تمكينـــه وعناية للحلق فى تعيينـــه
كم قالت الأقدار هذا فاتح الـ أمصار زاد الله فى تمكينـــه
هـــذا قلاون منه بيت هلاون سيبيد من ســـكانه وســـكونه

٣٥ب/ / وافتتح دولته بالحسنات ، وإزالة الحادثات ، فما أزاله وأبطله وعفاه وعطله زكاة الدولبة [1] التى كانت تطلب من أرباب العقـــار ، وأضرت بالرعية غاية الإضرار . وكان يتعهد الوصاة على التجار ، وأحسن إلى خشداشيته ومماليكه وحاشيته ، وكل من كان فى خدمته ، ورفع منزلة كل منهم بحيث يصلح لمثله ، ولم يزل قريبٌ منهم ولا بعيد عاطلا من فضل نعمه ، ونعم فضله . وأفرج عن الأمير عز الدين الأفرم ورتبه فى نيابة السلطنة ، فباشرها برهة ثم استعفى ، فأعفاه ورتب فيها الأمير حسام الدين طرنطاى ، وكان أستاذ دار إمرته وكبير بيته . ولما بلغ سنقر الأشقر جلوس السلطان ، خطر له الاستقلال بالشام ، فأظهر ذلك وركب بشعار السلطنة وسمى نفسه الملك الكامل وأرسل إلى النواب الذين بالحصون يلتمس تسليمها إليه ، فمنهم من أطاعه ومنهم من أبى عليه ، وأشاع الأمراء الذين عنده أن الخبر جاء مصححاً بأن السلطان توفى واستخلفه لنفسه . وبلغ السلطان عنه هذه الأمور ، فكاتبه يسترجعه ويستوقفه ويستميله ويستعطفه وهو مصر على التماد ، قائل بلسان الحال : إنك لفى واد وأنا فى واد . وتبع ذلك أن الملك السعيد سير جماعة من المماليك الذين كانوا معه ليأخذوا الشوبك له ، فبلغ السلطان فأنكر منه هذا

٣٦أ/ العدوان ، فأرسل / إليه أن لا تفعل . فلم يصغ للمقال ولا أجدى عليـــه عذل العذال . فجرد السلطان الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى إلى الشوبك ، فأخذها ورتب فيها نائباً . واتفقت بعد برهة يسيرة وفاة الملك السعيد ، فإنه لعب الكرة فى الميدان فتقنطر عن متن الحصان وحم يومات ثم مات ، وحمل بعد ذلك إلى دمشق ، فدفن فى تربة والده ، وقام أخوه نجم الدين خضر مقامه فى الكرك ولقب بالمسعود .

---

(١) زكاة الدولبة هى مال كان يؤخذ من أصحاب الأموال ولو عدم المال ، وإن مات عن فقر أخذ ذلك من الورثة . وقد سميت بهذا الاسم لأنها كانت تفرض على كل مستخدم للدواليب أى الآلات المستعملة فى الصناعة . انظر المقريزى ، خطط ، ١٠٦/١ .

ودخلت سنة تسع وسبعين وستمائة :

والسلطان يكاتب سنقر الأشقر بالتلطف والترغيب ، وأن يسمه من نعمته إن هو أناب أوفى نصيب ، وهو مجد فى أمره ، مجتهد فيما خطر بفكره من استصفاء الشام وقلاعه ، واستخلاص أعماله وبقاعه . وجرد السلطان الأمير عز الدين الأفرم فى بعض المهمات ، فأوجس سنقر الأشقر منه واستجاش وجمع وأخرج من دمشق عسكراً للقائه . فعاد الأفرم إلى غزة لأنه لم يكن بصدده ولا معه عدد يفى بعدده ، ووافاه الأمير بدر الدين الأيدمرى عليها . ولما اجتمعا فيها ، وصل بعث سنقر الأشقر صحبة قراسنقر المعزى ، فالتقوا على غزة ، فانكسر عسكر الشام وبادروا بالانهزام ، وأسر منهم جماعة وأحضروا إلى السلطان ، فأحسن إليهم وخلع عليهم ولم يعنف أحداً منهم . ثم إن سنقر الأشقر استخدم الأجناد واستظهر الاستعداد . / وبرز بجموعه /٣٦ب التى جمعها واستمالها بالعود وخدعها . وخرج من دمشق ، وجرد إليه السلطان الأمير علم الدين سنجر الحلبى [١] ، فإنه كان من أضرابه ، وكان أخبر بالنزول وأدرى به ، فالتقيا على الجسورة ، والتحم بين الجيشين القتال وتلاقت الأبطال ، فحمل الحلبى على سنقر الأشقر حملة زحزحته عن مكانه ومكنت الذعر من جنانه ، فولى طالباً طريق الرحبة ومعه عيسى بن مهنا لضرورة الهزيمة لا لحفظ الصحبة . وكانت هذه الوقعة فى صفر سنة تسع وسبعين وستمائة . ونزل الحلبى على دمشق ورتب الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى [٢] فى قلعتها ، وكان السلطان قد أرسل حسام الدين لاجين [٣]

---

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١١٠٣ .

(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٩١٠ .

(٣) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٩٣٥ .

مملوكه إليها ورتبه فيها ، فأمسكه سنقر الأشقر وحبسه هو والأمير ركن الدين الجالق (١) ، فأفرج الحلبي عنهما وكتب إلى السلطان بما تجدد . فرسم السلطان بترتيب الأمير حسام الدين لاجين المنصوري فى نيابة السلطنة بالشام ، فترتب بدمشق منذ تلك الأيام . ولما عاد الحلبي إلى السلطان وصحبته من حضر مع سنقر الأشقر من الأمراء وقد حصلوا فى الأسر ، صفح عن جميعهم وأضرب عن تقريعهم وأعطاهم الخيل المسومة والخلع المعلمة وحوايص الذهب وأعاد كلا منهم إلى مظنته مستمراً على إمرته . فيالهذا الحلم الحقيق يقول الشاعر :

فإن حلمك حلم لا تكلّفه   ليس التكحل فى العينين كالكحل

٣٧ أ / / والتجأ سنقر الأشقر إلى صهيون إذ كانت أقرب ما إليه من الحصون واتفق وفاة نائب حلب جمال الدين اقوش الشمسى . فأرسل السلطان إليها الأمير علم الدين سنقر الباشقردى (٢) ورتب فى قلعة دمشق سيف الدين قجقار المنصورى (٣) ثم نقله عنها . وجرد السلطان الأمير عز الدين الأفرم إلى شيزر فحاصرها وبها عز الدين كرجى الظاهرى ، وكان قد وافق سنقر الأشقر وواثقه وأطاعه . فبينما هو عليها يحاصرها إذ وردت الأخبار بحركة التتار ، وأنهم قد جاءوا ثلاث فرق : فرقة من جهة الروم صحبة صمغار وينجى وطرنجى ، وفرقة من الشرق صحبة بيدو بن طرغاى أخى أبغا بن هولاكوا وفيهم صاحب ماردين وأمد ، وفرقة ثالثة صحبة منكوتمر بن هولاكوا ، وهى جل عساكرهم وجميع أكابرهم . وتواترت الأخبار بأنهم قد قاربوا بلاد الروم . وخرج إليهم صاحب سيس من طريق الدرب ساك (٤) فعزم السلطان على المسير إلى الشام وفكر فى أن سنقر الأشقر مستمر على الانفراد وعدم الانقياد ، وأنه قد ينحاز إليهم فيكون على المسلمين شر

---

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٧١٠ .

(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١١٠١ .

(٣) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٨٢٧ .

(٤) انظر أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٢٦٠ ، وتكتب أيضا « الدربساك » .

الأعوان ، فكاتبه يتلطفه ويعاتبه ويعنفه ويرغبه ويرهبه ويذكره الخشداشية والصحبة ، ويوعده المواعيد الجميلة إن هو رغب فى القربة ، فجنح إلى ذلك وأجاب وأظهر أنه أناب . ولما أزمع السلطان السير بالعساكر ، قلد ولاية عهده ولده الملك الصالح [1] وركبه / بشعار السلطنة وشق المدينة وطلع القلعة ، وقرىء تقليده فى الإيوان . وخرج السلطان وقد جمع العساكر /٣٧ب
واستدعى كل باد من المجاهدين وحاضر ، ووصل غزة فخيم بها ليستثبت الأخبار ويتحقق حال التتار . وأما هم ، فإنهم جاءوا إلى عين تاب وبغراس والدرب ساك ، وتقدموا إلى حلب وكانت خالية من الجند والرعية ، وقد خرج العسكر منها ، وأجفل أهلها خوف التتار عنها ، فعاثوا فيها وخربوا نواحيها وأحرقوا الجوامع والمساجد وأكثروا من المفاسد . ولما بلغهم خروج السلطان إلى الشام ومن اجتمع إليه من جيوش الإسلام رجعوا إلى مشاتيهم فإن الشتاء كان قد هجم عليهم . ولما اتصل بالسلطان خروجهم عن البلاد وانتزاحهم عن العباد ، عاد إلى الديار المصرية وجرد عسكرا إلى حمص صحبة الأمير بدر الدين بكتاش النجمى ، وعسكرا إلى الساحل صحبة الأمير علاء الدين ايدكين البندقدار لحفظه من الفرنج . وعند عوده إلى الديار المصرية تسلل إليه الأمراء الذين كانوا عند سنقر الأشقر لأن الحال تضايق عليهم ، فأحسن السلطان إليهم . وفيها طمع أهل المرقب وتطرقوا إلى الفساد وأذية من يجاورهم من أهل البلاد . وكان بحصن الأكراد الأمير سيف الدين الطباخى ، نائب السلطنة ، فكتب إلى السلطان يستأذنه فى قصدهم / والإيقاع بهم وهون أمرهم / ٣
فأذن له السلطان فى نزالهم . فجمع معه من أجناد القلاع وأمراء التركمان عدداً ورجالا ، وسار بهم فتقدموا [حتى] وقفوا تحت الحصن . فأمسك أهله عن المراماة ، وكتموا أمرهم فى الذب والمحاماة ، فازداد طمع العسكر فيهم ودنوا إليهم ، فلما صاروا بحيث تصل إليهم السهام غير متباعدة فوقوها نحوهم دفعة واحدة ، فانتكوا [2] من جروح الجروح وتقلقوا وألجأتهم الضرورة إلى

---

(١) انظر نسخة هذا التقليد فى القلقشندى ، المرجع السابق ، ١٠/١٧٣ .

(٢) يقال نكته فانتكت ، أى ألقاه على رأسه فسقط ، أو طرحه أرضا .

أن تفرقوا . فتأخر الطباخى قليلا ليقف بالأطلاب[١] بحيث لا يصل إليهم النشاب ، فلما ثنى عنانه وثنى أعنة الخيل من كان معه ظنها الناس الهزيمة ، ففروا لا يلوى بعضهم على بعض ، وعاين أهل المرقب ذلك ، ففتحوا أبوابه وخرج فارسهم وراجلهم ولحقوا بأطراف العسكر وتخطفوا منهم ونهبوا ما أمكنهم ، وفصل الطباخى عنهم ولم ينل مراما ولا شفى غراماً . وجاء السلطان الخبر ، فأنكره وأكبره ، وعاد السلطان إلى الشام لتلافى هذا الخلل. فلما نزل الروحاء جاء إليه رسل الفرنج يسألون الهدنة ، وترددوا فى ذلك حتى تقرر الصلح على أن يردوا كل من عندهم من أسارى المسلمين ، وسير إليهم الأمير فخر الدين المقرى ليحلفهم ، فحلف له مقدم بيت الاسبتار على ذلك .

---

(١) جمع طُلْب ، وهو لفظ كردى معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس فى ميدان القتال ، كما أنه يطلق على الكتيبة انظر Dozy, Suppl. ، مادة طلب .

ودخلت سنة ثمانين وستمائة :

فيها بلغ السلطان وهو نازل على الروحاء أن سيف الدين كوندك
الساقى / وجماعة من الظاهرية قد أزمعوا الغدر به وتواصوا على الوثوب عليه ، ‏/٣٨ب
وأنهم يركبون بليل ويأتون إلى الدهليز فإذا قربوا منه ، قطعوا الأطناب
وهجموا الأبواب ، فإن نالوا ما قصدوا ، وإلا ركبوا على حميتهم ، وساروا
إلى نحو شمس الدين سنقر الأشقر ، فأرسل السلطان من يحفظ الطرقات ورتب
حول الدهليز من يحفظه من الحماة . ورحل من الروحاء إلى اللجون [1]
والأخبار تأتيه بأنهم قد أحسوا شعوره بأمرهم وعلمه بمكرهم وخاف أن
ينسحبوا فلا يلحقون إذا طلبوا . فسار طالباً حمراء بيسان واستدعاهم بالمنزلة
المذكورة . ولما مثلوا بين يديه عاتبهم وعنفهم وأمر بالقبض عليهم وأرسل
فأمسك من كان فى الخيام من أصحابهم وموافقيهم ، ومضى حكم الله تعالى
فيهم وهم : كوندك الساقى وأيدغمش الحكيمى وبيبرس الرشيدى وساطلمش
الظاهرى . واعتقل بقية الممسوكين فى قلعة صفد . وفيها توجه الأمير
سيف الدين ايتمش السعدى والأمير سيف الدين بلبان الهارونى والأمير
سيف الدين كراء التترى وجماعة من أصحابهم إلى صهيون ولحقوا بسنقر
الأشقر ، فجرد السلطان عسكرا فى طلبهم صحبة الأمير بدر الدين بكتاش
الفخرى ، أمير سلاح ، فلم يدركوه . ووصل السلطان إلى دمشق فدخلها
وهو أول دخوله إليها سلطاناً ، فزينت المدينة أحسن زينة : / وأنفق فى ‏/ ٣٩أ
العساكر ، واستمال بإحسانه الخواطر . وأرسل إلى سنقر الأشقر يطالبه بتسليم

(١) انظر أبو الفدا ، المرجع السابق ، ص ٢٢٧ .

شيزر ، فإنها كانت باقية فى يده مع حصون أخر كانت قد أطاعته فى ذلك الوقت وهى برزاى [1] وبلاطنس والشغر وبكاس وعكار ، فأجاب إلى تسليم شيزر . وتقرر أنه يقيم على هذه البلاد ستمائة فارس للجهاد . وحصل الاتفاق على ذلك وحلف عليه وأرسل نسخة اليمين صحبة الأمير علم الدين سنجر الدواداری [2] فحلف له السلطان وكتب تقليده منعوتاً فيه بالإمرة وانتظم معه الاتفاق وانقطعت دواعى الشقاق ، وسير إليه بالتقليد واليمين فخر الدين المقرى [3] وشمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصورى [4] . وفيها تقرر الاتفاق مع المسعود خضر بن الملك الظاهر على استقراره بالكرك وأعمالها ويكون له من الحساء [5] إلى الموجب [6] وأمر بإرسال من كان فى القاهرة من حريمهم وذريتهم إليهم ، وأن ترد جميع الأملاك الظاهرية عليهم ، وأجراه فى المكاتبة مجرى صاحب حماة ، وفيها تواترت الأخبار بحركة التتار وأن منكوتمر قد دخل إلى الروم فى جيوشهم وجموعهم . فبث السلطان الأرصاد وجهز القصاد ووضع الكشافة بالمرصاد ، فوقعوا بجماعة من التتر قريباً من صحراء هوتى [7] التى عند الابلستين ،

٣٩ب/ فأمسكوهم وفيهم أمير آخر أبغا واسمه جلنار ، كان متوجهاً لكشف / المراعى والمروج فأحضر إلى السلطان ، فسأله عن القوم ، فأخبره بأنهم قد قصدوا الشام قصداً صحيحاً ، وجمعوا جمعاً كبيراً ، وأنهم ثمانون ألفا يركبون فى أول شهر رجب . فسمع السلطان كلامه وأمر بحمله إلى ديار مصر واعتقاله بها . وقوى الخبر بانتقالهم من منزلتهم إلى صاروس ومنها إلى ابلستين ودخلوا

(١) جاء فى القلقشندى ، المرجع السابق ، ٨٤/٤ ، انه حصين برزويه ، وفى ابن الوردى المرجع السابق ، ٣٢٥/٢ ، أنه « برزنة »

(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١١٠٤ .

(٣) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٥٦٠ .

(٤) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٨٤٦ .

(٥) انظر أبو الفدا ، المرجع السابق ، ص ٨٤ .

(٦) انظر أبو الفدا ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٧) جاءت فى النويرى ، نهاية الأرب ، ١١١/٢٨ ، أنها « صحرا هونى » ، وفى ابن أبى الفضائل ، النهج السديد ، ٢٥٩ ، أنها « صحراة البسلتين » .

الدربند يسيرون الهوينى ، وتوجهت فرقة منهم إلى الرحبة صحبة آبغا وصاحب ماردين . فخرج السلطان من دمشق وقد جمع العساكر من كل مكان والفوارس من أقاصى الممالك وأدانى البلدان ، وقدم بين يديه المقدمات إلى تلك الجهات فكان الأمير سيف الدين قشتمر العجمى (١) على حمص والأمير سيف بكتمر الغتمى (٢) بحلب . وورد الخبر بأن الفرقة التى قد جاءت من جهة الروم نزلت بمرعش وتقدمت إلى صور حارم ، فتقدم دهليز السلطان وسار حتى نزل بحمص ، والتتار قد فتكوا فى البلاد وعاثوا فى الضياع والسواد ، وتكررت رسله إلى سنقر الأشقر يستنخيه للإسلام ، ويسمعه لتأخيره عن المناصرة أمض الملام ، فأذعن بعد المفاوضات الكثيرة إلى أن يحضر المصاف فإذا انقضى عاد إلى مكانه لوقته وإبانه . وسير إلى السلطان الأمير سيف بكتمر الساقى العزيزى وبدر الدين بكتاش الفخرى ، فقررا معه هذا التقرير ورتبا معه هذا الترتيب . / فنزل وأقام على الجواص قريباً من أبى قبيس (٣) ، وحضر / ٤٠ أ
الأمراء الذين كانوا عنده إلى الخدمة السلطانية ، فتلقاهم بالبشر وعاملهم بالبر وفرح المسلمون بحضورهم لتجتمع الكلمة ولا تفترق الأمة . ولما ورد الخبر بنزول منكوتمر على حماة ، ضرب الدهليز الأحمر مؤذناً بالحرب ، وفى ليلة الخميس الرابع عشر من رجب ، رحلوا عن حماة ورتبوا جيشهم للحرب ورتب السلطان الميمنة والميسرة والجناح والقلب ، وكان التطليب على ما نصفه من الترتيب : كان فى الميمنة الملك المنصور صاحب حماة وعسكرها والأمير حسام الدين لاجين المنصورى نائب دمشق وعسكر الشام والأمير بدر الدين بيسرى والأمير علاء الدين ايدكين البندقدار والأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى والأمير عز الدين أيبك الأفرم أمير جاندار الصالحى والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ، وأمراء الطبلخانات وأصحاب العشراوات ومقدمو الحلقة ورجالها والعربان فى رأس الميمنة وهم : شرف الدين عيسى بن مهنا وآل فضل وآل مرا ، وفى الميسرة : الأمير شمس الدين سنقر الأشقر والأمير

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٨٦٠ .

(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٦٧٢ .

(٣) أبو قبيس كان حصنا فى مقابلة شيزر . انظر ياقوت ، المرجع السابق ، ١/١٠٣ .

سيف أيتمش السعدى والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى والأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح والأمير علم الدين سنجر الحلبى والأمير سيف الدين بجكا العلائى والأمير بدر الدين بكتوت العلائى وغيرهم من الأمراء وفى رأس
٤٠ب/ / الميسرة التركمان وعسكر حصن الأكراد، وفى مقدمة القلب الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة والأمير ركن الدين اياجى الحاجب والأمير بدر الدين بكتاش بن كرمون ومماليك السلطان والأمراء والمفاردة [1] ، والسلطان تحت السناجق بجأش ربيط وقلب غير خافق . وجاء التتار أفواجاً وقذف عبابهم أمواجاً تتلو أمواجاً ، والتقى الجمعان بوطاة حمص قريباً من مشهد خالد بن الوليد فى رابع ساعة من نهار الخميس المذكور ، فصدمت ميسرة العدو الميمنة الإسلامية ، فثبتت لصدمتهم وصبرت لحملتهم ، فتكردسوا عليها وضيقوا المجال لديها ، وزاحموا القلب ، فلم ينالوا منه قصداً ، ووجدوه قوياً مستعداً ، فجعلوا كلهم على الميسرة فولت منكسرة وتبعوها حتى أفضوا إلى الخيام ووقعوا فى السوقة والأغوام فأهلكوا منهم عدداً ، وغادروا منهم بددا ، وفعلت ميمنة المسلمين فى الميسرة الكافرة من النكاية الظاهرة كما فعلوا هم بالميسرة وأشد ، وشدوا عليها غاية الشد ، ولا يعلم أحد الفريقين بما جرى للآخر . فأما ميمنة التتار فإنها لما وصلت مرج حمص تابعة للميسرة اطمأنوا ونزلوا الخيام وأكلوا الطعام ، ووصل الذين انهزموا من العسكر إلى دمشق ، فلما دخلوها شاع فيها خبر الكسرة ، فقلقوا الناس ورغبوا وفرقوا
٤١أ/ واضطربوا . وبينما التتار المذكورون ينتظرون قدوم أصحابهم / على ظنهم منتصرين ، إذ جاءهم الخبر بأنهم قد ولوا منكسرين ، فركبوا لوقتهم مسرعين وانكفأوا منقلبين ، وكل ذلك والسلطان واقف فى موقفه لم يبرح ، ثابت فى مكانه لم يتزحزح ، فلما عبرت عليه ميسرة التتار راجعة تجر ذيول الهزائم وتشحذ عزوب العزائم ، أمر بطى السناجق ولف البيارق وتسكين الكوسات وإبطال الطبلخانات حزماً ودراية ودربة بالحرب وحياطة ، فروا به وولوا

---

(١) جمع مفردى ، والمفاردة نوع من العساكر حلقة السلطان . وسموا بذلك لأنهم كانوا يتبعون ديوان المفرد . انظر القلقشندى ، المرجع السابق ، ١٣/٧٩ و ١٠٤ .

طالبين جهة الرَّسْتَن(١)، قاصدين اللحاق بأصحابهم، ليس لهم هم إلا هم أن يدأبوا فى ذهابهم. فقال فى ذلك شعراً :

ولوا طريداً للحتوف نزالهم بين الصفوف عجاجة وعجيجا
وتخوفوا نار الوغى ونهارهم أمسى بنيران السموم وهيجا
والوحش تقسم لا أكلن شواهم إلا شواء بالهجير نضيجا
والمسلمون بنصرهم فى فرحة قد شاهدوا يوماً أغر بهيجا
والكافرون بكسرهم فى ترحة قد لابسوا أمراً أمسَّ مريجا

قال الراوى: ولم نزل نسوقهم، ونذيقهم كاسات المنون ونذيقهم سحابة يومنا أجمع. فقتلت العساكر منهم ألوف ألوف وسفكت من دمائهم حتى تقصفت السيوف وحقت عليهم الكسرة وثبتت حقيقة النصرة وكتبت البطائق المخلقة وطارت بها أطيار الأيامن محلقة، فتراجع المنهزمون وتجمع المفرقون وقرت بذلك العيون وصدقت الآمال / والظنون واستبشر حينئذ المقاتلون ٤١/ب واستظهر المسلمون وفاز الصابرون وحاز الثناء والسنا المصابرون، وأبلى الأمراء والمقدمون والعساكر والمجاهدون بلاء حسناً جميلا، ونالوا به حظاً جزيلا وغنموا الأجور وكان لهم الحظ الموفور والسعى المشكور بسعادة سلطانهم المنصور وما آتاه الله عز وجل من حزم الأمور. وسارت بعوث الطلب فى آثار التتار، فلم يبق منهم إلا من طار فى الأقطار. وقتلوا منهم فى إتباعهم أضعاف من قتل وقت إيقاعهم. ولما علم السلطان أنهم قد استأصلوا شأفتهم بالبواتر، وأبادوهم فما لهم من قوة ولا ناصر. عاد من موقف المصاف إلى المنزلة، فشاهد القتلى من الرعاع والغلمان والأتباع مجندلين فى الثرى، نائمين ولا كرى، فعرف قدر ما فعله الله معه ومع المسلمين كافة. وتحقق ما شمله وإياهم من المنة والرأفة، فإن العدو جاء بكثرة لا يطاق امتدادها ولا يرام استعدادها وكاد والعياذ بالله يتمكن أمره ويستحكم ضره، فأدرك الله المسلمين بألطافه وأمد العساكر الإسلامية بإسعاده وإسعافه. وأعانهم بملائكته الكرام ورفع لواء الإسلام، وأذل أعداءه بالإرغام والانتقام،

---

(١) انظر أبو الفدا، المرجع السابق، ص ٢٣١.

وسطر هذا النصر العزيز الذى لم تسمح بمثله الأيام فى صحائف مولانا السلطان
٤٢ أ / ما بشر به عنه فى المنام وذاق عسكر هلاوون من جيش / قلاوون مرارات الحمام، وسارت البُرُد راكضة بأمثلة البشائر وذاعت التهانى وشاعت لكل ناه وآمر ومقيم وسائر . وعاد السلطان إلى دمشق والتتار يساقون فى الكبول ويحملون القسى والسناجق التى كانت لهم والطبول . وعاد سنقر الأشقر إلى صهيون وأقام الأمراء الذين كانوا معه فى الخدمة السلطانية فسارت بهذه النصرة العظيمة الأخبار ونظمت فيها قصائد وأشعار ، فكان مما قيل هذه الأبيات :

نشرت بنصرك للعــلى أعلام ... يا من تفاءل باسمــه الإسلام
وبدا على وجه الهدى نور غدا ... منه على وجه الضـلال ظلام
السيد المنصور والملك الـذى ... يعنو لشدة بأسه الضـرغام
فالله جارك من مليك عـزمه ... عزم يفل السيف وهو حسام
لما سمعت بجحفل المغل الذى ... وطىء الشام وقصده الإهـزام
بادرت نحوهم بجمـع حفـه ... سعد له النصر العـزيز إمام
جيش يضيق به الفضاء عرمرم ... كالبحر زخار العبـاب نهام
وقصدت خالد بقعة ضربت بها ... عدد النجوم الزاهرات خيـام
حتى أتى يوم الخميس خميسهم ... وكأنه تحت القتـام غمـام
سدت به الآفاق حتى إننـا ... قلنـا بدا قبل الضحى الإظلام
فلقيت جيشهم بقلب ثابت ... حارت لقوة جأشه الافهـام
وغزوت تركهم بترك مثلهم ... فتقطعت ما بينهـا الأرحـام
٤٢ب / / وغدت سيوفك فيهم وكأنـما ... فى فرى هامهم لهـا إلهـام
وافاهم بالشؤم بعـد هلاكهم ... بالروم من بعد الفرات الشام
غادرتهم فى أرض حمص وجاءهم ... لوحوش أرضك والطيور طعام
طلبوا النجاة ولا نجاة لهارب ... من خوف بأسك لم يجره ذمام
فقضوا عطاشا لا يبل لهم على الـ ... إعياء والجوع الشديد أوام
لا زلت منصور اللواء مظفـرا ... ما لاح برق أو ألـح غمـام

ودخل السلطان دمشق المحروسة فأقام فيها أياماً ثم سار إلى الديار المصرية ولما وصل إلى القاهرة المحروسة زينت الشوارع بأفانين الزينة ، فشق وسط المدينة وأسارى التتار بين يدى المواكب ما بين ماش وراكب ، وسناجقهم بأيديهم منكوسة وطبولهم على أكتافهم معكوسة وشعف القتلى منهم محمولة والأسراء أياديهم وأعناقهم مغلولة والأعلام السلطانية منشورة وقلوب الملّة الحنيفية مسرورة والزمان قد ظهر فى أحسن صورة والدنيا بما أباحه اللهجذلانة مجبورة . وكان وصوله القاهرة المحروسة يوم السبت الثانى والعشرين من شعبان سنة ثمانين وستمائة ، واتفق وصول رسول اليمن من جهة الملك المظفر شمس الدين بن رسول صاحبها بهدايا نفيسة إلى الأبواب السلطانية ، فرسم بركوبهم ليشاهدوا ذلك الموكب البديع ويعاينوا بهجة ذلك الوقت الذى هو كله زمن الربيع / فعاينوا منه وجها وسيماً وعجبوا عجباً عظيماً وشاهدوا / ٤٣ أ أمراً جسيماً . وطلع السلطان قلعته ، فجلس فى الإيوان وقدمت هدايا اليمن بين يديه ، فأنعم منها بما شاء على الأمراء والكبراء والأعيان وتغنت مطربوه بأبيات عملها ركن الدين بيبرس الفارقانى (١) ، وكان أميا تركياً ، فهى وإن قصرت فى الصناعة الشعرية وخلت من الألفاظ الأدبية — تستحسن من مثله وتستملح من نقله . وهى هذه الأبيات :

بدا الإسلام فى سعد جديد هنـاه للموالى والعبيد
وصار النصر للمنصور خدنا وقارنه مع الرأى السديد
هو المنصور خواض المنايا أبو الغارات قتال الأسـود
مضى للشـام فى جيش عظيم بأتـراك وأعـراب حشـود
ولاقى المغل عنـد وطاة حمص بمشهد خالد نجـل الوليـد
فحـكم فيهم البيض المواضى تقـد قلوبهم قبـل الجلود
فسائل من هلاون عن قلاون وسل عنـه البرنس مع الكنود
فلا برحت يداه فى عـداه مصرفة بإسـعاف السعـود

(١) وهو ركن الدين منكورس الفارقانى ، وجاء اسمه ركن الدين منكوريش الفارقانى فى أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٢٥٤٦ .

ولا زالت ملوك الأرض جمعا له ما عاش أمثال العبيد
وجازاه الإلـه بكل خـير وأسكنـه غـدا دار الخلود

وبما قيل أيضاً من قصيدة أولها هذه الأبيات ،

هى النعمة العظمى هى النصرة الكبرى
هى اللفظ والمعنى هى الخـير والبشرى
هى الوقعـة الصماء والحطمة التى
بها انكسر الكفر الذى لم يجد جـبرا
٤٣ب/ / هى الفتك بالأعـداء والظفر الذى
شفى القلب من أبغا وقد أثلج الصـدرا
ونكس أعـلاماً وفـل كتـائبا
لمنكوتمر كالأسد فى الحرب بل أضرى
فلمـا رأوه قـد تقنطر قاتـلوا
عليه قتـالا قطـع البيض والسمرا
وراح ثخينـاً بالجـراح مصـبرا
يئن ويشـكو من مضاضاتها ضـرا
فلله منـا الحمـد والشكر دائمـاً
فقـد أصل الإسـلام واستأصل الكفرا
فقل لرءوس المغـل إن قـلاونا
هو السيف ضرابا لأعناقكم قهـرا
هو الملك المنصور ، والله خـاذل
أعاديـه خـذلانا وناصره نصـرا
هو القائد الجيش العرمـرم خلفـه
إلى القـان فى توغان يطلبه جهـراً
فقـل للتتـار العادمين عقـولهم
نسيتم سيوف الترك تضربكم هبـرا

وكم كسروكم مرة بعد مرة
فما حضروا القتلى ولا استوعبوا الأسرى
أأنسيتم فى عين جالوت ما جرى
وفى العين قد أجرى دماءكم نهرا
وفى الملتقى ما بين حمص وحماة
تلقاكم السيف الذى يقطع الغمرا

ولما قرت عين السلطان بهذه السعود المتتابعة واجتنى ثمرات هذه المسرات اليانعة ، جمع الأمراء والأكابر ومقدمى العساكر فى مجلس اتخذه للأنس والانفساح وأعده للهو والانشراح ، فجلسوا للشراب ودارت عليهم بالقمز الأكواس والأكواب . وكان فى جملة من حضر الأمير بدر الدين بكبوت بجكا (. . . .) ، وكان ممن وافق سنقر الأشقر عندما خرج وتلقب بالكامل . وكان فيهم أيضاً الأمير بدر الدين بكتاش / النجمى / ٤٤ أ وهو يومئذ أمير جاندار ، فلما انتشوا نشوة الطرب ، قصدوا بسط بساط المجون والمداعبة التى تقر بها فى ذلك المجلس العيون . فقام بكتاش النجمى إلى بجكا وقبض على يده وقال للسلطان : ياخوند ! هذا وجب عليه القتل مراراً وأنت تصفح عنه ولا تقتص منه . فسأله السلطان عن ذنوبه التى اقترفها وجرائمه التى أسلفها ، فقال له بكتاش النجمى : هذا كان فى بلاد الترك مملوك السلطان ، ولما جمعتكا المقادير عند علاء الدين قراسنقر الساقى ، وهبه لك ، ولما صارت إليك السلطنة جعلته أميراً بدمشق فصار مع سنقر الأشقر واتبعه وأطاعه وخدمه ، فهو بهذا الذنب يستوجب القتل لا الضرب . فقالت الأمراء : نعم . قد استحق قتله ووجب . واجتمع كل منهم عليه ووثب . ونضوا عنه قماشه وتركوه مجرداً . وسل السلطان سيفه وكان مغمداً . فوقف الأمراء يشفعون فيه وهو ممسوك بين القوم . فقال السلطان : نعف عنه اليوم . فقام قائماً بعد أن خلوا عنه وقال : يا خوند ! أنا كلب واحد واجتمعوا على هذا[1] الكلاب بأسرهم ، فما أطيق دفع شرهم . فضحكوا من كلامه

(١) كذا فى الأصل ، ولعل المراد هو « هؤلاء » .

وخلع السلطان عليه وعليهم جميعاً وأعطاهم عطاء وسيعا . ومر ذلك اليوم فى لهو وسرور وجذل وحبور واجتماع يبسط الآمال ومزاح يرضى الصدور .

٤٤ب/ وفيها أرسل فرنج / الساحل يسألون الهدنة لمدة معلومة ، فأجابهم السلطان ، وتقررت الهدنة مع طوائفهم ، وكُتب لهم بها كتابان أحدهما لبيت الاسبتار وجميع الإخوة ، والآخر لصاحب طرابلس مدة عشرين سنة وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات . وفيها هلك منكوتمر بن هلاوون بعد منصرفه هزيماً من وقعة حمص ، وكانت وفاته بالجزيرة وحمل إلى تلا فدفن بها .

ودخلت سنة إحدى وثمانين وستمائة :

فيها جرد السلطان عسكرا للغارات على ما يلى الفرات ووصلوا إلى قريب بلاد سنجار وعادوا سالمين وأحضروا شحنة الجزيرة وولديه مأسورين وجُرِّد جيش آخر من حلب فوصلوا إلى قريب بلغر فوق منبس، وعادوا بين جبال سيس والروم . وفيها فوض السلطان نيابة السلطنة بحلب للأمير شمس الدين قراسنقر . وفيها هلك أبغا ملك التتار واستقر بعده أخوه تكدار [١] ولقب أحمد سلطان ودان بالإسلام وكتب إلى السلطان بذلك كتاباً ، فأعاد [٢] عليه جواباً وجهز رسله إليه وقد أولاهم إكراماً وأنالهم طلاباً . وفى هذه السنة أيضاً اتفقت وفاة منكوتمر ملك التتار ببلاد الشمال وجلس بعده تدان منكو أخوه بكرسى صراى [٣] . وفيها عقد عقد [٤] الملك الصالح ابن السلطان على بنت الأمير سيف الدين نوكى ودخل بها متيما .
/ ودخل السلطان بالخاتون المكرمة بنت سكتاى [٥] بن قراجين بن جنغان / ٤٥ أ
نوين وهو ابن عم تنجوا المقدم المشهور وهؤلاء من الأعيان المشهورين والكبراء المذكورين . وكان سكتاى هذا وفد إلى الديار المصرية فى الأيام الظاهرية صحبة بيجار الرومى هو وقومشى أخوه . وكان السلطان يعرف قدره ويتحقق أمره . فلما كان فى هذا الوقت خطب ابنته المذكورة . فحملها إليه فى ساعة سعد طالعها وزالت عن سعدها موانعها فهى والدة مولانا السلطان الملك الناصر وارث الأسرَّة والمنابر .

---

(١) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٣٢٩ .

(٢) انظره فى القلقشندى ، المرجع السابق ، ٨/٦٥ .

(٣) مدينة صراى (أو سراى) وهى قاعدة مملكة التتار .

(٤) انظر نسخة هذا العقد فى القلقشندى ، المرجع السابق ، ١٢/١٤٦ .

(٥) وهى أسلون خاتون ، راجع ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ١/٤١٢ .

ودخلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة :

فيها توجه السلطان إلى البلاد البحرية ورسم بحفر خليج الطيرية [1] ووزعه على العساكر المنصورة واستعمل فيه المماليك السلطانية ، فنجز فى عشرة أيام وطوله ستة آلاف وخمس مائة قصبة . وفيها كتب السلطان إلى نائب حلب أن تجهز العسكر الحلبي للغارات على سيس وبلادها جزاء بما فعله صاحبها فى حلب نوبة حمص من إفسادها . فتوجهوا إليها مغيرين وخرجوا منها سليمين . وفيها بلغه عن المسعود خضر بن الظاهر ومن حوله من الظاهرية بالكرك أمور لم يرضها وحركات تقتضى إفساد المودة ونقضها . فجرد الأمير
٤٥ب/ بدر الدين / أمير سلاح وجماعة من العسكر لمضايقتهم وكتب إليهم ينهاهم عن تلك الأمور ، فلم ينتهوا . فتوجه بالشام لينظر فى مصالحه . ووصل دمشق وعاد منها إلى الديار المصرية ، فعقد عقد الملك الأشرف على أخت زوجة أخيه وهى بنت الأمير سيف الدين نوكيه . وفى هذه السنة ، قتل تكرار وهو أحمد سلطان وملك بعده أرغون بن أبغا ، وقتل صاحب الروم غياث الدين كى خسروا بن ركن الدين قلج أرسلان . ومات الأشكرى [2] صاحب قسطنطينية وملك ولده المسمى اندروتيكوس ، فجهز إليه الأمير ناصرالدين محمد بن المحبي الجزرى بهدية وتعزية بوالده . وكان قد وصل إلى الباب العزيز رسول من جهة تدان منكوا الجالس عوضاً عن منكوتمر مخبرا بإسلامه ، فأعاد

---

(١) تخرج ترعة الطيرية من النيل قرب قرية مسماة بهذا الاسم ، وهى الآن ترعة الحاجر .

(٢) كانت الهدنة قد تمت بين الأشكرى وبين المنصور قلاوون فى سنة ٦٨٠ هـ ، واسمه Laskaris ، انظر أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ١٤٦٦ .

السلطان الجواب بخبره بالمسرة التى حصلت بإسلامه والمودة التى تأكدت بخروجه من ظلم الكفر وظلامه . وفيها أغار عسكر حلب غارة ثانية على بلد سيس صحبة الأمير سيف الدين بلبان الشمسى ثم نزلوا على التينات ورموها بالمنجنيقات ، فطلب أهلها الأمان وبذلوا الإذعان وقرروا مالاً يؤدونه . وبينما هم على ذلك ، إذ جاءتهم جماعة من قراغول التتار مقدمهم سيف الدين جنكلى ابن البابا ، فالتقوا معهم واقتتلوا فقتل أكثر التتار وأخذ منهم ستة أنفار فى الإسار واستشهد من عسكر حلب الأمير شهاب الدين / حيدر . /٤٦أ

قال الراوى : ورد سيف الدين جنكلى المذكور إلى الديار المصرية فى الدولة الناصرية وأخبرنى من لفظه بذلك . وفيها توجه السلطان إلى الشام ووصل دمشق ، وكان قد حضر رسول من جهة أحمد سلطان يسمى الشيخ عبد الرحمن كان له عنده محل ومكان . فأمر السلطان بإقامته بدمشق بحكم أنه كان متوجهاً إليها . فوصل الخبر بموت مرسله وهو مقيم فيها . فلما وصل السلطان استدعاه وسمع رسالته وفهم مقالته ولم يشعره بوفاة صاحبه حتى خلع عليه، ثم بعد ذلك أعلمه بما صار إليه. وفيها فتحت على المسلمين قلعة قطيبا[١] وكانت فى يد الكفار قريبة من كركر مضرة بها . فسير إليها جماعة من كركر فنازلوها . فسأل أهلها الأمان وتسلمها نواب السلطان . وفيها أيضاً فتح ثغر الكختى[٢] وهو حصن حصين حوله تقدير سبعين مسكناً للساكنين وكان بالقلعة نائب اسمه الشجاع موسى ، فكاتب نائب السلطنة لكى يجلب رجالها وأرغبهم ، فقتلوا النائب المذكور وأرسلوا يبذلون تسليم الحصن . واستقر فى الممالك الإسلامية وصار شجى فى حلق البلاد الأرمنية واستعين به على الغارات وتخطف المتسللين من تلك الجهات . وفيها كان السيل الذى اشتهر أمره وسار ذكره وصار تاريخاً يؤرخ الناس بنوبته ويتحدثون بكثرته ، وكان حدوثه ليلة / الأربعاء العاشر من شعبان والسلطان عازم على الخروج /٤٦ب

---

(١) كانت إحدى قلاع آمد بالقرب من قلعة كركر .

(٢) وتكتب كختا ، وهى قلعة قديمة على نهير كختاصو ، راجع أبو الفدا ، المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

من دمشق متوجهاً إلى ديار مصر ، فجاء السيل كالطوفان واندفع اندفاعاً ليس الخبر عنه كالعيان ، وأهلك الخيل والجمال والبغال واحتمل الصناديق والخيام والأثقال واقتلع الأشجار بأصولها ولطف الله بأن غار كما فار وسكن كما ثار . ولولا ذلك لعفى الآبار وخرب الخنادق والأسوار . ورحل السلطان عائداً إلى قلعته فى سرور باستظهاره ومنعته ، فوصلها ثامن عشر شهر رمضان واتفقت فى هذه السنة أيضاً وفاة الملك المنصور ناصر الدين صاحب حماه ، فأمر السلطان بإقرار ولده فى مكانه ومكانته وإجرائه على عادته ومكاتبته .

ودخلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة :

فيها كمل البيمارستان [1] المنصورى والمدرسة والقبة الشريفة ومكتب السبيل بالقاهرة بين القصرين فى أقرب مدة بشد علم الدين سنجر المنصورى المعروف بالشجاعى وحصل فيهم من الفتون ما يدهش العيون ووصفهم الشعراء فى القصائد ونظموا فى مديحهم الفرائد ، وقد أوردنا الآن يسيرا من ذلك فى هذا المكان تنشيطاً للهمم وإطلاقاً للسان القلم ، وهو من أبيات اقتصرنا على ما عن منها . (شعر) :

بنى ما بنى كسرى وما قلت مؤمن
بناها به فيما بناه كفور
ودك على تقوى الإله أساسه
كما دك بالواد المقدس طور
/ فنهـا نجوم فى بروج مجسرة / ٤٧ أ
على الأرض تبدو تارة وتغور
ومئذنة كالنجم تشرق فى الدجى
عليها هدى للعالمين ونور
فكم حسدتها فى الكمال كواكب
وغارت عليها فى العلو بدور
وقبة مارستان ليس لعلة
عليه وإن طال الزمان مرور

(١) ويقال أيضا المارستان ، وهو مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم . انظر EI², article Bimaristan

ومدرسة ود الخورنق أنه
لليها حضير والسدير غدير
تبدت فأخفى الظاهرية نورها
وليس يظهر للنجوم ظهور
سماوية أرجاؤها فكأنما
عليها من الوشى البديع ستور
وما تلك للسلطان إلا سعادة
يدوم له ذكر بها وأجور
وما جنة الفردوس فى الأرض غيرها
ولا فلك فيه النجوم أثير
فلا زال مبنيا به العلم والتقى
ومنهدماً كفر علا وفجور
ولا زالت الأفلاك طوعا بكل ما
يريد على رغم العدو تدور

قال الراوى : وفى هذه السنة نقلتنى الصدقات السلطانية إلى إمرة الطبلخانات فهى من نعم الله التى أجراها على يديه وتصدق بها من جهته رحمة الله عليه ، فأنا أحدث بها ما دمت حياً ، وأثبتها فى المهارق (١) التى تنشر إذا طوتنى الأيام طياً . وكيف أهمل ذكرها وأترك شكرها وهى باقية على من السلف ، نامية لدى من الخلف ، فأنا كما قيل : شعر

أقر جلدى بها على فما أقدر حتى الممات أجحدها

(١) جمع مهرق ، أى الصحيفة .

ودخلت سنة أربع وثمانين وستمائة :

فيها أشرق / كوكب السعود وبزغ هلال أضاء بإبداره الوجود، وبشر ٤٧/ب
السلطان بأسعد ولد وأعظم مولود ، وهو مولانا السلطان الملك الناصر الذى شيد قواعد ذكره وشد وثائق أزره ، فلما بشر به ارتاح فرحاً واختال مرحاً وسماه محمداً . فما أسعده ولداً ، وكان طالعه حاكماً بالسعادة ووراءه السيادة وحسن الإعادة على أجمل عادة : شعر

فلله مولود به استبشر الــورى ... وكان بحفظ الملك فينــا مبشرا
قضى الله أن يعطيه نصراً ممكناً ... يعود به للملك عــوداً مكــرراً
فكان اسمه العواد من قبل خلقه ... وتكوينــه لا شك أمراً مقرراً
وفاتح بغداد الذى ذخــرت له ... بفرسانه لا ريب فيه ولا مرا
فلا زالت الأقدار تجرى كقصده ... ولا زال منشور اللوا شامخ الذرى

وفيها سار السلطان إلى الشام المحروس وتوجه لقصد المرقب لما كان فى نفسه من عدوان أهله . فأجلب إليه بخيله ورجله ، وأحاط به العسكر المنصور من حزنه [1] وسهله ، وجدوا فى الحصار واستمروا فى رمى الحجار والنقوب فى الليل والنهار من غير ونية ولا تقصير ، ولا رخصة ولا تأخير فلما تمكنت مسارب النقوب ضعفت من أهله القلوب ورأوا المصلحة لهم فى طلب الأمان قبل تمكن الحرمان ، فسألوا السلطان أن يتصدق به عليهم ويتسلم الحصن منهم ويمكنهم من التوجه إلى مأمنهم فأجاب سؤالهم وأمن جمعا منهم

---

(١) الحزن وجمعه حزون أو حزن ، ماهو غليظ من الأرض ، وقلما يكون إلا مرتفعا. والحزنة وجمعها الحزن ، هى الجبل الغليظ .

وتسلم الحصن [1] ، وعلته السناجق المنصورة خافقه على شرفاته والأعلام
٤٨ أ / / الشريفة ترفرف بأجنحة العذبات فى جنباته ، ونقل إليه الرجال والآلات والعدد والزردخانات ، وصار فى جملة الممالك الإسلامية والفتوحات المنصورية وهو من الحصون المنيعة والمعاقل الرفيعة موضوعاً على جبل مطلا على البحر المالح ، مستصعب المسالك والطرقات من جميع الأنحاء والجهات . ولما سلمه أهله برغم الأنوف وخرجوا عنه بحكم السيوف ، سألوا أن يتوجهوا إلى طرابلس ، فتوجهوا إليها ولم يعارضهم أحد ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وستمائه ، فكان هذا الفتح بيمن الطلعة السعيدة المولوية السلطانية الملكية الناصرية التى أوضحت دلائل سعده وهو بعد فى مهده . وكان السلطان قد أرسل إلى سنقر الأشقر ليحضر المنازلة إذ هو قريب من المنزلة ، فأظهر التوقف وأبدى التخلف . ولما تكررت إليه المكاتبات ، أرسل ابنه معتذراً إلى السلطان عذراً لم يصادف قبولا ولا أغنى كثيراً ولا قليلا ، فمنعه من العود إلى أبيه حنقاً لتأبيه ، وعاد السلطان إلى الديار المصرية .

(١) أورد القلقشندى ، المرجع السابق ، ٨/٣٩٤ ، نسخة مكاتبة فى البشارة بفتح هذا الحصن .

ودخلت سنة خمس وثمانين وستمائة :

فيها جرد السلطان عسكرا صحبة الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى نائب السلطنة إلى الكرك ، فسار إليها ونزل عليها بالمجانيق وآلات الحصار وحاصرها وقطع المسيرة عنها وخلط الترهيب بشيء من الترغيب / والشطاء[1] بشيء من العطاء ، فال إليه أهلها ورجالها وقرب منه ٤٨/ب منالها وتسللت إليه جماعة منهم فبذل لهم النوال وأذاقهم حلاوة طعم المال فكلهم إليه مال ورأى المسعود نجم الدين خضر وأخوه سلامش أنهما قد بقيا وحدهما ولم يبق أحد عندهما ، فجنحا إلى السلم والإذعان ، وسألا أمانا فضمن لهم الأمير حسام الدين الأمان والإحسان ، وكاتب الأبواب الشريفة بذلك وسأل إرسال أحد من خاصة السلطان ليحضر إليهما خاتم الأمان . قال الراوى : فندبنى فى إعادة الجواب وإنالة الطلاب ، فوصلت إليهما وأعدت رسالته عليهما ، فوثقت آمالهما ونزلا من وقتهما واجتمعا بالأمير حسام الدين . وسلما الكرك إليه ، فرتب فيها الأمير عز الدين أيبك الموصلى فى نيابة السلطنة وكان نائباً بالشوبك ، وقد حضر عند منازلته الكرك . وأصبح المشار إليه فخلع على مقدمى الكرك ورجالها ومن حضر من أمراء العربان الذين بها ، ورتب أمرها ورحل عائداً إلى الديار المصرية وولدا الملك الظاهر معهم مكرمين غاية الإكرام ، محترمين نهاية الاحترام . ولما وصل بهما إلى الديار المصرية ، ركب السلطان فى موكب كبير وتلقاهم عندما قاربوا القلعة وأقبل على المذكورين إقبالا جميلا وأحسن إليهما إحساناً جزيلا ، ووصلهما بأجزل

(١) بمعنى القهر ، ويقال شطأ فلانا أى قهره .

الصلات ، وعين لهما الإقطاعات والطبلخانات ، وأسكنهما فى القلعة
٤٩ أ / / وأجرهما بحذى أولاده ، وصارا يركبان معه فى مواكبه ومكثا كذلك حتى بلغه عنهما أمور أنكرها ، فأمر بالقبض عليهما حسما لمادة القيل والقال ، وأودعا الاعتقال ، وبقيا إلى أيام السلطان الملك الأشرف ، فسيرهما إلى القسطنطينية فى مركب من ثغر الاسكندرية . فجوزى الملك الظاهر فى ذريته بما فعله بابن المعز ، فإنه سيره إلى هناك ، ولما أفضى الأمر إلى مولانا السلطان الملك الناصر أحضر نجم الدين خضر إلى الديار المصرية ومات سلامش أخوه بأرض القسطنطينية ، فأحضرته أمه مصراً لما حضرت . وفيها خرج السلطان إلى الشام المحروسة وخيم بغزة ونزل العساكر عليها وتوجه إلى الكرك جريدة ونظر فى أحوالها ررتب أمورها وأمرنى بالإقامة فيها ، فأقمت امتثالا لأوامره الشريفة ، قدس الله روحه ونور بالرحمة ضريحه .

ودخلت سنة ست وثمانين وستمائة :

فيها جرد السلطان الأمير حسام الدين طرنطاى نائبه إلى صهيون لينازلها جزاء بما ظهر من شمس الدين سنقر الأشقر من التأخير نوبة المرقب عن الإجابة وعدم المبالاة والمهابة ، وبما أنه كان أيضاً يشن الغارات على ما حوله من البلاد ، ويعتمد اعتماداً دالا على العناد ، وخرج عن مقتضى الاتفاق ، وأبدى طرفا من الشقاق ، فجرد السلطان إليه جيشاً صحبة المذكور ، فصار إلى صهيون ونازلها بعزم أمضى من اسمه ورأى أصوب من سهمه ، / وأرسل إلى ٤٩/ب الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بما بينه وبين السلطان من الخشتاشية والمودة ، وما تقرر الحال عليه من المواثيق القديمة والمستجدة ، ويعرفه أن هذه المحاصرة ليست للمضاجرة وإنما قصدا فى الاجتماع به واتصال سبب السلطان بسببه ، وأنه إن أجاب إلى ذلك فله الوفاء بكل ما يقصده من الصدقات السلطانية ، ويكون عنده فى أعلى محل الخشتاشية ، وإن أبى ، فليس إلا الحصار والمنازلة والمراماة والمطاولة إلى أن يحصل التمكن منه ويعجز كل من عنده عن المدافعة عنه ، فيسلم حينئذ وليس له منة تظهر ولا مودة تشكر ، ولما أعذر إذ أنذر ، أخذ فى الحزم والجد والعزم ، وأخذت المجانيق أعمالها وشدت العساكر نزالها فرأى أمراً هاله وشغل باله وتيقن العجز عن المصابرة وعن المحاصرة ، وعلم أنه متى فتح الحصن عنوة ، طال به العنا ولم ينل منه منى ، فأرسل يطلب الأمان ويلتمس تأكيده له بالأيمان ، فأجابه الأمير حسام الدين لوقته وحلف له على ما رام وضمن له عن السلطان مضاعفة الإكرام ، وأنه أمن منه على نفسه وحشده وأهله وولده وعصابته وجماعته . فلما اطمأن إلى وعوده وسكن إلى

عهوده ، نزل إليه وسلم صهيون ، فقرت العيون وهان الأمر الذى لم يسبق إلى الظنون أنه يهون ، وذلك فى شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائه ،
٥٠ أ / ورتب أحوالها / ورحل هو والمشار إليه إلى الديار المصرية . ولما وصلا ركب السلطان لتلقيهما بموكب جميع العساكر والأمراء والأكابر والخشتاشية والبحرية الصالحية . ولما اقترب بعضهما من بعض ترجل السلطان عن فرسه وعانقه وكارشه [١] وأطلعه القلعة وأسكنه فيها وحمل إليه من الخلع وتعابى [٢] القماش وحوايص الذهب ما ملأ قلبه فرحاً ويده منحا ، وقاد إليه الخيل المسوّمة بالعدد المعلمة واتخذه جليساً فى الحضر وأنيساً فى السفر وسميرا فى المقام ومشيراً فى المهام ، ولم يزل معه على هذا الحال مدة حياة السلطان ولم يذكر له شيئاً من ذنوبه ولا حقد عليه سالف تقلبه ووثوبه بل عفا عما مضى وأراه وجه الرضى . وكان هذا دأبه معه إلى أن قضى . فلما قدر الله تعالى بانتقال السلطان إلى جوار ربه وأفضى الأمر إلى الملك الأشرف ، غير الله عليه ضمير قلبه ، فاعتقله وكان آخر العهد به . وفى هذه السنة نزل تدان منكوا ملك التتار ببلاد الشمال عن المملكة وتملكها تلا بغا بن أخى بركه . وفيها جرد السلطان عسكراً من الأجناد والعربان صحبة الأمير علم الدين سنجر المسرورى الخياط والأمير عز الدين أيدمر السيفى والى قوص لغزو النوبة ، فساروا إلى دنقلة وأغاروا عليها وعلى بلادها وسبوا منهم خلقاً كثيراً ، وعادوا إلى الديار المصرية .

---

(١) أى احتضنه وجعل كرشه على كرشه ، والتكريش عادة من عادات المماليك عند تبادل التحية الحارة .

(٢) أى قطع القماش .

ودخلت سنة سبع وثمانين وستمائة :

/ فيها عزل السلطان الأمير علم الدين سنجر المنصوري المعروف بالشجاعي عن الوزارة ونقم عليه حيفه على الرعية والدواوين وامتلاء سجونه من المصادرين وتناسيه إياهم شهوراً وسنين ، فعزله وأدبه وصادره ونكبه وقلد الأمير بدر الدين بيدرا الوزارة وكان يباشر أستاذية الدار بعد أن كان أمير مجلس وكان لطيف الطباع ، جيد الكتابة ، وأمره بالإفراج عن المسجونين والتنفيس عن المضيقين ، وندب الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة الشريفة لعرض كل من كان الشجاعي سجنه وإطلاق سبيله ، فتضاعفت الأدعية الصالحة لدولته واجتمعت القلوب على محبته وطابت الخواطر بما أظهر بيدرا من لين عريكته وسهولته فى وزارته . هذا والشجاعي مستمر على إمرته . /٥٠ب

وفيها اتفق وفاة السلطان الملك الصالح علاء الدين على ولد السلطان الشهيد وبكره ، بمرض الدوسنطاريا ، فحزن لفقده حزناً عظيماً ، ووجد لرزئه ألماً أليماً ، لأنه كان محبباً للقلوب ، سالكاً من الأخلاق الملوكية خير أسلوب ، وخلف ولداً واحداً ذكراً وهو الأمير مظفر الدين موسى . وفيها أيضاً توفيت الست غازية خاتون ابنة السلطان التى كانت زوجة الملك السعيد .

ودخلت سنة ثمان وثمانين وستمائة :

فيها توجه السلطان إلى الشام المحروس لقصد طرابلس ، وذلك أن أهلها
٥١ أ / / نقضوا الصلح بما أحدثوا من الفساد والتعرض إلى المسلمين الذين فى تلك البلاد . فسار العساكر من الديار المصرية واستدعى الجيوش من الممالك الشامية وجمع الأمداد ورجال الجهاد ونازلها نزالا شديداً ، ودافع أهلها فلم يغن الدفاع ومانعوا فلم يجد الامتناع ، وصوبت إليهم المجانيق صواعقها وأبدت لهم القواضب بوارقها وأمكنت منهم الحوادث بوائقها[2] وصابت عليهم حوادث السهام كصوب الغمام ، وأخذ النقابون النقوب وانسربوا إليها فى السروب ، وحم حماتها وكمد كماتها وشج شجعانها وفر فرسانها ، وتسورتها العساكر من أسوارها وأبراجها ، ودخلت أفواجها من جميع فجاجها ، وطلعت السناجق المنصورة على شرفاتها وتمكنت من جهاتها ، ووضعت فى أهلها السيوف وحكمت فيهم الحتوف ، وأخذوا فى السبى والنهب ، فسبوا كثيراً من النسوان والبنات والولدان ، وأسروا الرجال والفرسان ، وغنموا كثيراً من الأمتعة والأموال والأثاث ، وأبادوا من كان فيها من أهل الثبات ، وأمر السلطان بإخرابها فخربت وقوضت أسوارها وهدمت وعفيت آثارها وطمست ، وذلك فى الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وستمائه ، واستراح المسلمون من أذيتها واكتفوا شر مضرتها وحصل
٥١ب/ الاستبشار بهذا الفتح المشكور المتاح للسلطان الملك المنصور ومدحه / الشعراء :

---

(١) مفردها بائقة وهى الشر .

أدركت بالجد أقصى غاية الطلب
[وحزت] بالجد أعلى منتهى الرتب
أبا المظفر لا زالت مظفرة
منك الجيوش على الأعداء بالرعب
أحرزت ما فات قدماً من طرابلس
جمع الملوك ذوى الإرعاب والرهب
من كل قطرٍ أحاطوا محدقين بها
كما أحاط على الأحداق بالهدب
غادرتها بمجانيق نصبت لها
ورفع أبراجها خفض بمنتصب
أجريت فيها بحاراً من نجيعهم
فكل سابحة سبحاً إلى اللبب
أذقتهم بعد عز مرَّ ذلهم
وبعد أمنٍ كؤوس الخوف والوصب
جزاك ربك عنه كل صالحة
وزاد عزك تمكيناً على الحقب
ودمت ترجى وتخشى ذا ندىً وسطاً
مبلغاً كل ما حاولت من طلب

ورحل السلطان إلى الديار المصرية واختطت بالقرب منها (١) مدينة قبالتها مما يلى الجبل وسميت باسمها وسكنها الناس واستقرت مبناها على حالها وسكنها نائب السلطان بالفتوحات ومن معه من الجيش. وفيها اتفقت وفاة قبلاى قان ابن طلوا أخى هلاوون وهو صاحب التخت، وملك بعده ولده شرمون بن قبلاى.

(١) أى طرابلس الشام.

ودخلت سنة تسع وثمانين وستمائة :

فيها عزم السلطان على غزو عكا لما بلغه عن أهلها من أذية تجار المسلمين ومضرة الواردين منهم والصادرين . ومن ذلك أن تجاراً وافوا بمماليك للسلطان ، فلما صاروا عندهم احتاطوا عليهم وقتلوهم وأخذوا
٥٢ أ / ما كان معهم . فاتصل / ذلك بالسلطان ، فحرك منه ساكناً وأثار أمراً كان في نفسه منهم كامناً ، فأمر العساكر المنصورة بالخروج وخيم بمسجد التبن [١] وأقام في الدهليز بقدر ما يتكمل التجهيز ويستتم العسكر التبريز ، واستخلف بالقلعة الملك الأشرف ولده ، وذلك في العشر الأخير من شوال ، فأحس بالتوعك في جسده ، فأقام بالمنزلة المذكورة واشتد به المرض وعجز عن الحركة واستحكم الداء فلم يفد الدواء وأدركه المحتوم ، فقضى نحبه ولقى ربه . وكان انتقاله في السادس من ذى القعدة بالخيام ، ولبى داعى الحمام ، ولم تفده كتائبه وجنوده ولا أغنت عدده وعديده ، بل تحرقت عليه القلوب أسفاً ، وتقطعت الأكباد لهفاً ، وعمت رزيته البلاد والعباد والحواضر والبواد لأنه كان حليماً رؤوفاً عفيفاً عطوفاً ومضى حميداً ومات على نية الغزاة شهيداً . قال الله عز وجل في كتابه العزيز :

(ومن يخرج من بيتـــه مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت ، فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيماً) [٢] .

---

(١) أى مسجد تبر .

(٢) سورة النساء ، الآية ١٠٠ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تكفل الله لمن يخرج فى سبيل الله لا يخرجه إلا جهاد فى سبيلى والإيمان بى وتصديقاً لرسلى أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجـــر أو غنيمة [1] » فعظم الله أجره وأبقى ما بقى الدهر ذكره . وكانت مدة مملكته أحد عشر سنة / وخلف من الأولاد الملك الأشرف صلاح الدين خليل الجالس بعده ، /٥٢ب
والملك الناصر ناصر الدين محمد . وقال بعض الشعراء أبياتاً تشتمل بعضها على التعزية وبعضها على التهنئة ، منها :

إن أوجع الدهر القلـــوب وأحزنا
فلقـــد تدارك بالمسرة والهنـــــا

خطب عظـــيم جاءنا من بعـــده
فـــرح أزال صباحـــه ترح عنـــا

بمنيـــة المنصـــور شاهدنا الـــردى
لكن شهدنا فى ابنـــه كل المنى

فلئن أســـاء الدهر فيـــه فإنـــه
بالأشرف المـــلك المـــؤيد أحسنا

يا راحلا أبكى العيـــون تركت من
مـــلأ القلـــوب مســـرة والأعينـــا

أنت الذى خضت الفـــرات مبادرا
فسقيت جيش المغـــل كاسات الفنا

وبمـــرج حمص أنت جاعل جميعهم
فرقا وما خانـــوا لـــواش مطعنـــا

وفجعت عبـــاد المسيح بمـــرقب
تخـــذوه من ريب الزمان تحصنـــا

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه فى بيان أن الجهاد من الإيمان ، وذلك على النحو التالى : « انتدب الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا إيمان بى وتصديق برسلى ، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة » . وانتدب الله أى تكفل الله .

وعلى طرابلس نزلت فأصبحت
خبرا يقول نزيلها كانت هنا
وغزوت دنقلة بأيسر جحفل
فأتى بجيشهم ذليلا مذعنا
وعمرت مدرسة ومارستان فى
عامٍ فأعجز ذاك قبلك من بنى
وكشفت بالعلماء والحكماء عن
نهج الورى كرب الضلالة والضنى
فأخو السقام بدا صحيحاً سالماً
وأخو الضلال غدا فقيها دَيِّنا
وبرزت تطلب عكة فى عسكر
لو رام خوض البحر أصبح هينا
فأتاك من رب العباد قضاؤه
حتماً فغيب وجهك البادى السنا
ودت نفوس العالمين بأسرها
تفديك من حكم القضا لو أمكنا
٥٣ أ / / حجبوك حينا عن ضريحك غيرةً
أن ينظروا بطن الثرى لك موطنا
حتى تبين أن قبرك روضة
من جنة الفردوس دانية الجنى
يا سيف دين الله إن فلتك عن
بعض المراد كؤوس حين تُجتنى
أبشر فقد خلفت بعدك صارما
ما انفل عن نيل المراد ولا انثنى
وانعم بمقعدك الكريم مهنئاً
فيه بما قدمت من حسن الثنا

ووقف الأمير حسام الدين طرنطاى نائب السلطنة ومن معه من الأمراء المنصورية والمماليك السلطانية حتى نقل السلطان إلى القلعة ونقلوا ما كان فى الوطاق (١) من الخزائن والبيوتات بسرعة والنظام مضبوط والملك بالسياسة محوط وأصبح الملك الأشرف جالساً فى دست السلطنة ما اختلف فيه اثنان ولا فاه لأحد لسان . وكان جلوسه فى السابع من [ذى] القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة ، وتسلم الممالك الإسلامية بالديار المصرية والشامية . ومما قيل فى ذلك :

نـداك يا عـادل يا منصف — أهمى من الغيث الـذى يوصف
أغن عبـاد الله عن نيلهم — فجودك البحـر الذى يعـرف
أطاعك النـاس اختيـاراً وما — أذلهـم رمـح ولا مرهـف
كم ملكت مصـر ملوك وكم — جادوا وما جـادوا ولا أسرفوا
حتى أتى المنصور أنسى الورى — بفعلـه سائر ما أسلفـوا
ما قدموا مثـل بقـاه ولا — مثـل الذى خلفه خلفـوا
فـيته على الأمـلاك فخـراً بما — نلت فأنت الملك الأشـرف

/ ولما استقر فى السلطنة أياماً قلائل وجد على الأمير حسام الدين طرنطاى ٥٣/ب
فقبض عليه وكان آخر العهد به . ووقعت الحوطات على أدُره وأمواله وذخائره وحواصله وخيوله ومغلاته ، فأخرج منها الجمل العظيمة وأخذ منها نقود وأعيان لها قيمة ، وأخذت مماليكه وحشمه وفوضت نيابة السلطنة إلى الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى واستوزر شخصاً يسمى شمس الدين محمد بن السلعوس (٢) ، شاميا تاجراً ، فبسط يده ولسانه وأطلق فى ميـدان الأمر والنهى عنانه .

---

(١) أى الخيمة .

(٢) انظر ابن الصقاعى ، تالى وفيات الأعيان ، الترجمة رقم ٢٤٨ .

ودخلت سنة تسعين وستمائة :

فيها عزم السلطان على منازلة عكا إتماماً لما شرعه والده الشهيد من قصدها ، فرسم بخروج عساكر مصر جميعاً وتقدم إلى النواب بالشام بسوق عساكرها سريعاً وأن تحمل إليها آلات الحصار وبستكثر منها ما أمكن الاستكثار ، فبادر النواب بالمدائن والحصون إلى امتثال الأوامر ، وجاءت العساكر على كل ضخم وضامر وتواترت الحشود وتبادرت الجنود ، فنزل عليها السلطان وقد طبقت الأرض عساكره وامتلأت الرجال بكل بطل يظافره على النزال ويناظره . وكان فيمن حضر صاحب حماة ونائب دمشق وهو يومئذ الأمير حسام الدين لاجين المنصورى وأمراء الشام ونائب صفد
٥٤ أ / ونواب الفتوحات وغيرهم من الأمراء والمقدمين / والعساكر أجمعين . واستدعى السلطان من الكرك الآلات التى يحتاج إليها والمجانيق التى تنصب عليها والحجارين والنجارين ، فسألته أن أسير بهم إلى المخيم المنصور وأحضر بذلك الموقف المبرور . فسرت إلى بابه وتشرفت بلثم ترابه وجددت عهداً بمشاهدته وقررت عينا برؤيته فى دست سلطنته . وكان أهل عكا لما أحاط بهم عساكر المسلمين شاهدوا عسكراً جما وأمما عرباً وعجماً ، وأرسلوا إلى كبار ملوكهم يلتمسون الإنجاد بالأنجاد ويسألون الإمداد بالأمداد ، واجتمعت فيها جموع كبيرة من الاسبتار والديوية وسائر الفرنجية وحصنوا أبرجتهم وأخذوا أهبتهم وعدوا عدتهم وأعجبهم كثرتهم ، فما أغلقوا شيئاً من الأبواب لمـــا تداخلهم بأنفسهم من الإعجاب . فنصبت المجانيق قبالة أسوارها وجدّوا المسلمون فى حصارها ، وأهلها يناوشون القتال من الأبواب بالخيل والرجال ، ويهاجمون الخيام ويدهمون القيام تارة والنيام . واستشهد عليها من أمراء الإسلام علاء الدين

كشتغدى الشمسى وبدر الدين بيليك المسعودى وشرف الدين قبران السكرى.
والقتال من كل الفريقين يشتد والعسكر المنصور للجهاد يعتد والنوب التركية مستمرة نهاراً وليلا ، والمعاول فى الثقوب تنهج سبيلا فسبيلا . وأرشدت بمعونة الله من الجهة / التى كنت إليها والبدنة التى كنت أدانيها إلى مرمة /٥٤ب عملتها وستارة من اللبد لفقتها ورفعتها على صاريتين نصبتهما وبكرتين أعددتهما فصارت سترة بيننا وبين البرج التى هناك ، فحصل التمكن من ردم الخندق والتوصل إلى العبور والتوغل إلى السور . وبلغ السلطان هذا الأمر فأعجبه وركب بنفسه وضربت الكوسات وضجت البوقات وعلت الأصوات وزحفت الأبطال والكماة ، وقاتلوا الإفرنج قتالا شديد الكفاح وعدلوا عن الرماح إلى الصفاح، وتكاثروا على الأسوار ، فتسوروها وحملوا السناجق ورفعوها ، وذعروا القوم ذعراً شديداً وأخذتهم السيوف أخذاً مبيداً ، وأثخن المسلمون فيهم إثخاناً عنيداً وقتلوا منهم عديداً وسبوا نسوانهم وشبانهم ونهبوا أموالهم وأعيانهم وخربوا أوطانهم ومنازلهم وعصت الأبراج الكبار وهى الداوية والأمن والاسبتار ، هيهات، وقد شملهم الصغار وحاق بهم البوار وعدموا النصر والأنصار لكن دعاهم إلى ذلك الذعر الشامل وخيفة الموت العاجل، ولم يكن لهم سبيل إلى الفرار ولا وجه للقرار ، فغلقوا أبواب البروج وتربصوا عن الخروج ، ثم إنهم استأمنوا ،فأخذوا وأخرجوا وفرقوا على الأمراء، فقتلوا . وكان هذا الفتح العظيم فى يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الآخرة وخربت عكا وغودرت / دكا ، وجعل الله فتحها أولا وأخيراً لصلاح الدين / ٥٥أ مذخوراً ، فإنها أولا فتحت على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب وأخيراً فتحت على يد صلاح الدين خليل بن المنصور ، فابتهج حينئذ المسلمون وفرح يومئذ بنصر الله المؤمنون، وضربت البشائر فى المدن الإسلامية والحصون .
ولما فتحت هذه المدينة وكانت أم البلاد الساحلية وحمرة المدن الفرنجية، وقذف الله الرعب فى قلوب أهل البلاد المجاورة لها ، فذلت رقابهم لسطوات السلطان وبذلوا الإذعان وأرسلوا يسألون الأمان ، فأجيبوا إليه وسلموا حصونهم وخرجوا منها وتخلوا بحكم العجز عنها ، فتسلمها السلطان بلا تعب ، ونصب سناجقه عليها بلا نصب ، وأغنته سعادة جده عن إتعاب جنده وإقبال دهره

عن إعمال بيضه وسمره ، وهى صور وصيدا وعثليث وبيروت وحيفـا ، وخلا الساحل من فارسهم والراجل وأصبح كل مقيم به وهو راحل . كل ذلك فى أمد يسير وزمن قصير لطفاً من عزيز خبير قدير ، وقال بعض الشعراء أبياتاً يصف فيها هذا الفتح ويذكر هذا المنح وهى :

بلغت فى الملك أقصى غاية الأمـل
وفُتَّ شأو ملـوك الأعصـر الأول
ونلت بالحـول دون النـاس كلهم
ما لم ينلـه ملوك الأرض بالحيـل
فأنت للدين والدنيـا صـلاحهمـا
وفيهمـا حمـل ضيم غير محتمـل
لقد فتحت حصوناً طالمـا رجعت
للناس عنها الملوك الصيـد فى خجـل
٥٥ب/ / أنت الذى لم تدع للكفـر من بلد
يأوى إليـه ولا للدين من أمـل
أحرزت من فتح عكا كلَّ ما عجزت
عنـه الملوك بعـزم غير منبتـل
عقيلة المـدن أمست من حصانتها
وصونها من ليـالى الدهر فى عقـل
كم قد دعتها ملـوك الأرض راغبـة
فلم تجب أحداً منهم ولم تصـل
حتى دعوت فلبت وهى طائعـة
بعـد الأناء لأمـر منك ممتثـل
ما زال غـيرك فيهـا طامعاً وعلى
يديك قـد كان هـذا الفتح فى الأزل
قصدتها فأصبيت بعـد ما فجعت
فى أهلها من أسود الغيـل بالغيـل

صدمتها بجيوش لو صدمت بها
شم الجبال أزالتها ولم تزل
فأصبحت بعد عز الملك خاضعة
لذلة الملك طول الدهر فى سمل
أمست خراباً وأضحى أهلها رمما
وسطرتها يد الأيام فى المثل
هدمت ما شيدوا فرقت ما جمعوا
نقضت ما أبرموه غير محتفل
وعندما أصبحت قفرا منازلهم
من السواحل بعد الأهل فى عطل
رحلت عنها ولكن قد أقمت بها
من خوف بأسك جيشاً غير مرتحل

ورحل السلطان إلى دمشق فعزل عنها الأمير حسام الدين لاجين وولاها علم الدين الشجاعى ، وسار منها إلى الديار المصرية وعبر إلى القاهرة المحروسة وهى مزينة زينة تذهل الأبصار ومواكبه محفوفة بالجحفل الجرار والأسرى بين يديه فى خلق الأسار . وطلع القلعة مسروراً بما أوتى من التمكين والفتح المبين والفرح بذلك قد عم الناس أجمعين . وفى هذه السنة هلك أرغون [1]
٥٦ أ / ابن أبغا ملك التتار / وقام كيخاتوا أخوه مقامه وخاف أرغون من الأولاد المذكور : قزان [2] وخربندا [3] . وفيها أيضاً قتل تلابغا ملك التتار ببيت بركة وملك تقتغا بن منكوتمر عوضاً عنه . وفيها سير السلطان نجم الدين خضر وبدر الدين سلامش إلى بلد الروم لأمور بلغته عنهما ، فأراد إبعادهما ، وأرسل نسوانهما معهما . وانقضت هذه السنة وهو ممتع بسلطانه ، قرير العين فى أوطانه .

(١) راجع كيف هلك ارغون فى ابن الصقاعى ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٣١٢ ؛ وبلوشيه ، المرجع السابق ، ص ٥٠ .
(٢) أورده أبو الفدا فى المختصر ٤/٢٧ ، على أنه « قازان » .
(٢) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٩٧٠ . وجاء هذا الاسم فى النجوم الزاهرة ، باعتبار فتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح الباء الموحدة وسكون النون . وانظر كذلك بلوشيه ، المرجع السابق ، ص ٥١ .

ودخلت سنة إحدى وتسعين وستمائة :

فيها أمر بالإفراج عن الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصورى من الاعتقال ، وكان قد أمسكه فى السنة الخالية وهو نازل على عكا وأرسله إلى القلعة المحروسة فسجنه بها ، وذلك أنه لما عزله عن دمشق أوجس فى نفسه خيفة وحصل من أوهم السلطان منه ونفره عنه وأوهمه هو أيضاً فى نفسه وخوفه أن السلطان قد عزم على حبسه ، فسولت له نفسه الهرب من الوطاق واختَرق الآفاق وحمله الخوف على أنه ركب ذات ليلة وخرج من الخيام ، فأشار عليه بعض أصحابه ونصحائه بالرجوع عن فساد رأيه ، فرجع إلى خيمته فى ليلته فسعى الواشى إلى السلطان بقضيته ، فأحضره بين يديه وقبض عليه . ولما زال غيظه وحنقه ذكره وأطلقه وأعطاه إمرة بمائة فارس ، ورد مماليكه إليه . ولما استكمل ربيع الحيول وانجلى عن وجه الشام كلف الثلج
٥٦ب/ و (. . . . .) والسيول / ، وبرز النوار وظهرت الأزهار وصدحت الأطيار والتحفت ببرود حبرها الأغصان والأشجار ، أزمع السلطان المسير إلى الشام ، فسار وخرجت العساكر التى تملأ الأقطار . وكان ذلك فى جمادى الأولى فوصل دمشق فى أثنائه ، فأفاض الأموال من عطائه وأنفق فى العساكر المصرية والشامية وخرج طالباً قلعة الروم لينال من فتوحها ما يروم ، إذ لم يبق فى أطراف مملكته شىء خارج عن يده سواها ، وكانت مغيرة على المسلمين المجاورين لها وعابرى السبيل المترددين من تحتها ، وهى من أحصن القلاع وأشهرها بالامتناع لأنها مرتفعة غاية الارتفاع ، موضوعة على جبال صعبة المسالك ممتنعة عن السالك ، لا يتخلص إليها الراجل إلا بعد التعب الشديد والجهد الأكيد ، وليس حولها فسحة لنزول العساكر وبحر الفرات

بمر من تحتها ملاحفا ولمن يحاولها مزاحفاً . فسرنا إليها ونزلنا عليها قوماً على قوم من شدة الزحام وضنك المقام وتراكم الخيام وشرعنا الحصار وإطلاق الحجار وجعلنا الوكد [1] فى النقوب لأنها أبلغ فى التمكن من المطلوب ولم يبق حجار إلا حضر إليها ولا نقاب إلا وهو يعمل عليها ونوب العساكر تتناوب فى النضال ورمى النبال وإظهار الاجتهاد وابتدار الجهاد ومداومة

الاستعداد ، والعزائم مجردة الصوارم / والاهتمام مستمر الدوام ، وأهلها / ٥٧ أ

يكابدون العنا ، ويقضون ساعاتهم بالمنى . وكان النزول عليها فى أوائل شهر جمادى الآخرة ، فاستظهر الجيش استظهاراً طاب به العيش . ولما كان العاشر من شهر رجب الفرد حصل القصد ، وطلعت عليه السناجق المنصورة وأصبحت فوق أبراجها منشورة ، ولم تحتم ربض ولا باشورة ، وارتقتها العساكر المنصورة ، وقتلوا من كان بها من المقاتلين ، وسبوا الحريم والبنات والبنين . وأمر السلطان أن يمحى عندها سمة الرومية وتسمى قلعة المسلمين الأشرفية ، ورتب علم الدين سنجر الشجاعى لعمارتها وإتقان موجبات حصانتها وصيانتها ، ورحل عنها عائداً . ومما اتفق ونحن نازلون فى اشتداد الأمر واعتداد الحصر ، أن أشرفت من البر الشرقى طائفة من التتار ، فأمر السلطان بتجريد من يكشف الخبر ، فجرد الأمير بدر الدين أمير سلاح وجماعته من الأمراء ، وأنا فيهم ، فسرنا جرائد مجدين يوماً وليلة ، فلم ندرك لهم أثراً ولا عرفنا عنهم خبرا . فعدنا إلى مواقفنا وأقمنا للحصار فى مواضعنا ، ثم دارت الأيام ومرت الأعوام وورد إلى الديار المصرية فى الدولة الناصرية بدر الدين جنكلى ابن البابا ، فحدثنى أنه كان ذلك اليوم فى أولئك القوم وكانت عدتهم زهاء عشرة آلاف فارس ، صحبة مقدم يسمى بيتمش ، بلغهم

اجتماع العسكر هناك ، فحضروا / يطلبون فرصة ويلتمسون غفلة ، فلما /٥٧ب

شارفوا الجيوش الإسلامية مجتمعة على تلك الحال ، وقد ملأت السهول والجبال ، بادروا الفرار وولوا الأدبار . ولما وصل السلطان دمشق أقام بها شهر الصيام وعيد عيد الفطر . وفى ليلة العيد ، عاود لاجين عائد من

---

(١) الوكد هو الإقامة ، ويقال وكد فلان أى أقام .

الوسواس والتبس عليه صوابه أى التباس ، فهرب من منزله وآوى إلى أقوام من العرب كانوا يصحبونه ، فوشوا به ، فأرسل السلطان من أحضره وقيده وأمسك حماه طقصوا معه وأرسلهما إلى قلعة الجبل ، فسجنا ، وكان آخر العهد بطقصوا . ورتب السلطان الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب السلطنة المعظمة بدمشق عوضاً عن الشجاعى ، وسيف الدين بلبان الطباخى بحلب عوضاً عن شمس الدين قراسنقر ، وأحضره معه إلى الديار المصرية ، وجعله مقدماً على المماليك السلطانية . ولما عاد إلى القلعة ، قبض على شمس الدين سنقر الأشقر ، فمات فى محبسه . وقبض على جرملك الناصرى ، فمات كذلك .

ودخلت سنة اثنتين وتسعين وستمائة :

فيها أفرج السلطان عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، وكان له فى السجن ثلاث عشرة سنة وأعطاه إمرة بمائة فارس ، وأقطعه منية بنى خصيب دربستا [1] ، وأنس بدعابته وانبسط إلى فكاهته . وتوجه السلطان إلى الصعيد متصيداً ومتفرجاً وصحبته الأمراء والخاصكية والمماليك / السلطانية / ٥٨ أ فتفرج أياماً وتصيد شيئاً كثيراً من الطير والكركى ، ووصل إلى قوص وعاد إلى القلعة المحروسة فأقام برهة وخرج بالعساكر إلى الشام فترك الأطلاب سائرة على الجادة وتوجه إلى الكرك على الهجن فى نفر قليل من خاصته وسار إلى حمص وقبض على مهنا بن عيسى وإخوته لأمور كانت قد أغاظته منهم وضرب فى سفرته حلقة الصيد ، فاقتنص من الغزال ومن حمار الوحش شيئاً كثيراً ، وأفاض الهبات وأعطى الخلع والصلات ووهب الصافنات [2] وتفرج أنواع الفرج واللذات ، وتنزه فى تلك الجهات ملتذا برونق ملكه وانسلاك الخلائق فى سلكه . ولما قضى الأوطار ورتب أحوال تلك الأقطار ، رجع إلى جهة الديار المصرية بعد أن جرد عسكر الإقامة بالبلاد الحلبية لحفظ الثغور الإسلامية احترازاً من هجوم العدو على الأطراف وتأميناً للرعايا لكيلا تفرق من مفاجأته ولا تخاف . وكان المجردين الأمير بدر الدين أمير سلاح ومضافوه وأنا يومئذ فى جملتهم والأمير شمس الدين اقسنقر كرتاى المنصورى وإلفه والأمير سيف الدين بلبان الحلبى وتقدمته ، هؤلاء المقدمون الثلاثة أقاموا على حمص ثلاثة أشهر اتفق فيها من الخطوب ما يزعج القلوب ونحن

---

(١) أى البلد بأجمعه ، أو البلاد المقطعة لا يستثنى منها شيئا .

(٢) أى الخيل ، ومفردها صافن .

٥٨ب/ بمعزل عنه ولله الحمد . ولما عاد السلطان إلى القلعة المحروسة / شفع إليه بدر الدين بيدرا فى حسام الدين لاجين ، فأفرج عنه وأعطاه مائة فارس ووهبه لبيدرا . وقال له — لما أخرج من السجن وجىء به ليقبل الأرض بين يديه — أن بيدرا شفع فيك وقد وهبتك له حقاً وصرت له رقاً . وفى ذى الحجة من هذه السنة ترقب السلطان تجديد مولود يولد له قريباً وأمل أن يكون ذكراً نجيباً وأزمع الاهتمام لمولوده بما يليق بمثله وإظهار الفرح الملوكى بزيه وشكله وفعل ما جرت عادة أمثاله بفعله من لعب القبق المعهود واجتماع العساكر والجنود ، وإضافة منائح الجود فى الوجود . فأمر بأن تتأهب العساكر كافة لتجهيز العدد الثمينة وتزيينها بأحسن الزينة وتكميل الآلات من الجواشن والبركصطوانات [1] ليعرضوا أطلاباً على جارى العادات ويبرز المبارزون فى أجمل الهيئات ، فأقام الناس أياماً يتجهزون ويتأهبون ويستعدون ويبتاعون العدد بأنفس الأثمان ويتغالون فى السر والإعلان وأنفقوا أموالا تستغرق الإحصاء وتكاثر عدد الحصاء واشتروا ما قيمته درهم بعشرة ، وتجمل من كان ذا يسرة وتكلف ذو العسرة لعلمه أنه إن قصر فلا معذرة ، وشرع فى نصب القبق قبل يوم المهم بثلاثة أيام وأمر أن تستدعى الأغنام والفواكه من
٥٩ أ/ كل مكان وأن يتناهى فى / الخوان يوم الخوان حتى يكون أعظم كثرة مما عمل فى المهمات الظاهرية والأيام المنصورية ، ولا يكون له نظير فى الهمم الملوكية التى عملت بالديار المصرية. فامتثل الوزراء والنواب أمرهم واعتمدوا عليه وأعدوا كل ما يحتاج إليه . واستمر لعب القبق يومين متواليين ، وكل ما أصاب المرمى وأنشب فى الغرض سهما ، خلع عليه بالخلع المعلمة وأعطى التشاريف الملائمة . ولما كان فى اليوم الثالث وهو ينظر التمام والبشارة بالغلام وضعت عقيلته أنثى . فلما بلغه الخبر خامره الغيظ العظيم ، فظل كما قال الله « وهو كظيم » [2] ، ومد ذلك الخوان فى الميدان فهبت رياح عواصف لم ير أكثر منها عجاجاً ولا أكثر إزعاجاً ، فاسود الفضاء وأضن النهار كأنه ما أضاء

---

(١) انظر القلقشندى ، المرجع السابق ، ٤/٥٨ — ٦٢ و ٥/٩٧ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٥٨ ، وهى « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » . صدق الله العظيم .

وخرج السلطان عن حالة الرضى وأضرب حينئذ معرضاً بعد أن كان قد أقبل غاية الإقبال واحتفل غاية الاحتفال . وبرزت الأمراء والعساكر فى عـــدد تلمع أشعتها وتخطف الأبصار رؤيتها وخيول قد أتقنت من البركصطوانات والمراواة والسروج والوجوه زينتها وخرج الناس بأسرهم ليتفرجوا ويتنزهوا ويبصروا ما لم يروا مثله ، فاعترضهم ما يكدر الخواطر وتفرقوا وليس فيهم من قر له ناظر وحصل التطير له بذلك وأعقبه / المساءة لفقده . /٥٩ب

ودخلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة :

فتجهز للصيد وعدى إلى الجيزة ورحل منزلة فمنزلة إلى تروجه فخيم بها وقد تقدمه الوزير إلى الإسكندرية ليجهز ما ينبغي من الأموال والأمتعة والاستعمالات التي يحتاج إليها برسم التشاريف والتعابي ، فكاتبه بما أوغر صدره على بيدرا . فاستدعاه وأغلظ عليه وأهانه وتهدده وهم بالإيقاع به فخرج من بين يديه وهو لا يرجو السلامة ولا يظن إلا أن قد قامت عليه القيامة ، فاجتمع بخشداشيته وأعاد عليهم قصته . وعند بعضهم كامن الحقود وباعث من الغدر الذي يسوق إلى الهلكة ويقود ، فوسوس الشيطان في الصدور وأضرم بنزغاته نيران الشرور ، فركبوا لقصد السلطان متسلحين ووثبوا عليه هاجمين . وكان من استشهاده ما كان وجُدّل على المكان . ورجع بيدرا ومن معه إلى الوطاق وقد ركب فرس البغي والنفاق ، فخطر بباله أن يكون هو المشار إليه ووافقه المجتمعون عليه ، فلقب نفسه القاهر وهو المقهور وغره بالله الغرور . وناهيك بعاقبة المغرور . وركب بمن معه عائدين إلى القلعة ليملكوا بها المنعة ، وركبت الجماعة الذين لم يطابقوهم على رأيهم ولم يوافقوهم على بغيهم . وكان فيهم الحسام لاجين الرومي [(١)] أستاذ الدار ،
٦٠ أ/ وزين الدين كتبغا المنصوري [(٢)] وبدر الدين بكتوت / العلائي [(٣)] وجماعة من المماليك السلطانية الذين كانوا بالوطاق ، وجدّوا السير لأحد أمرين : إما أن يلحقوهم فيناجزوهم وإما أن يسبقوهم إلى القلعة فيمنعوهم عنها ويعجزوهم ، وأما بيدرا ومن معه من الأمراء فإنهم مسكوا الأمير سيف الدين بيسرى الشمسي وسيف الدين بكتمر السلاحدار وربطوهما وأرادوا أن

(١) ابن الصقاعي ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٢١١ .
(٢) ابن الصقاعي ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٢٠٨ .
(٣) أبو المحاسن ، المرجع السابق ، الترجمة رقم ٦٨٠ .

يقتلوهما وسحبوهما حتى أهلكوهما ، وباتوا ليلتهم سارين فى الخاجر ، وإذا هم مدبرون وهم يظنون أنهم مقبلون ، وكان ذلك دليلاً على إدبارهم وتعجيل دمارهم ، فإن دليلهم تاه بهم تلك الليلة ، وإذا لم يكن حول من الله تعالى فما تغنى الحيلة ، فأسفر صباحهم وظنوا أنهم قطعوا المسافة وأمنوا المخافة .فوجدوا الطرّانة قبالتهم فزادت حيرتهم وعميت أبصارهم وبصيرتهم وبينما هم على ذلك ظهر لهم سواد القوم مع بياض اليوم ، فلم يبق لهم فسحة فى المسير ولا وجه للتدبير ، وأدركهم الطالبون بالثأر المطالبون بالأوتار ، فوقفوا للقتال وتقدموا للنزال . فجاءهم أولئك بقلوب قريحة وأكباد بالحنق جريحة ،فحملوا عليهم وحكموا الصوارم فيهم . وكان بيدرا لما عاينهم أطلق بيسرى وبكتمر السلاحدار من الوثاق وأعطاهم صهوات العتاق ليتكثر بهما ويتقوى بمساعدتهما فانحازا إلى الفئة الأخرى ، ورأيا أنها بالمناصرة أحق وأحرى . / فلما صدموا بيدرا وجماعتهم كسروهم كسرة صادعة وحطموهم حطمة راجعة رادعة ، فتمزقوا وتبددوا وتفرقوا وتشردوا ، وقتل بيدرا فى المعركة وعجل الله له المهلكة قبل المملكة ، وقطع رأسه وحمل إلى القاهرة وطيف به فى الأسواق نكالا من الله بما اجترمه من كفران الصنيع وارتكبه من الأمر الفظيع . وتفرق الأمراء الذين معه كل واحد إلى جهة لا يعرفون كيف يتوجهون ولا إلى أى ملجأ يلجؤون ، فمنهم من ذهب إلى بعض الضياع ومنها أخذ وغالته يد الضياع ، ومنهم من استرق الزروع وألجأه الجوع إلى الرجوع ، ومنهم من دخل القاهرة متنكراً وبقى فى أمره متحيراً . ولم يبق لجمعهم أثر ولا أحد يخبر عنه بخبر . وأما الأمراء المنتصرون ، وهم زين الدين كتبغا ومن معه ، فإنهم جدوا السير وخفوا خفوق الطير حتى جاءوا الجيزة . وكان علم الدين الشجاعى مقيماً فى القلعة تركه السلطان بها نائباً فى هذه الدفعة ، فلما أتاه الخبر الأول ، جمع الشخاتير [1] والمراكب ومنعها التعدية بالناس ، فأرسلوا إليه يعرفونه الحال ويخبرونه بما نال أولئك المتعدين من النكال ، فأرسل إليهم المعادى لوقته ، فعبروها وطلعوا القلعة فى السادس عشر من ٦٠/ب

(١) مفردها شختور أو شختورة ، أى المركب الكبير ، انظر Dozy, Suppl. I/733.

المحرم ، واجتمعوا بها واتفقت الآراء على أن تكون السلطنة لمولانا السلطان
٦١ أ/ / الملك الناصر ناصر الدنيا والدين، أعز الله أنصاره ، فإنه وارثها عن أبيه وأخيه ، والشرع والعقل لا يختلفان فيه . واتفق فى أثناء ذلك انقضاء مدة التجريد من البلاد الشامية وعودنا إلى الديار المصرية ، واتصلت بنا هذه الخطوب ونحن بالصالحية ، فأسرعنا بالحضور ، فوجدنا الحال قد انتقل من شدة الحزن إلى غاية السرور لطفاً ممن بيده تصريف الدهور . ولما كان فى العشر الأوسط من المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة ، سلمت السلطنة إلى وارثها ، وقررت المملكة لثالثها وتقرر أن يكون الأمير زين كتبغا المنصورى نائباً والأمير علم الدين الشجاعى وزيراً ، والعبد الفقير إلى الله لتلقى البردية[1] الواردين والصادرين عن الأبواب السلطانية وتنفيذ المهمات المتعلقة بالرسائل والمكاتبات ، وعلاء الدين كشتغدى المنصورى أستاذ الدار ، فكنا أنا والمذكور ملازمين لخدمته متشرفين برؤيته . وعند جلوسه حصل لى ارتفاع المنزلة وزيادة العدة وإمرة المائة وعم بر دولته جميع الخشداشية ، وأفيضت على العساكر النفقات ، فابتهجوا بهذه الصدقات ، واتسعت أحوالهم وانبسطت آمالهم وحلفوا بقلوب مسرورة ، ونيات بالإخلاص معمورة ، وطلب الأمراء
٦١ب/ الذين كانوا مع بيدرا ، فأحضروا واحداً بعد واحد ، / لم ينجهم الفرار ولم يستقر بهم القرار وجازتهم ببغيهم الأقدار .

قضى الله أن البغى يصرع أهله
وأن على الباغى تدور الدوائر

وكان أول من وقع منهم بهادر رأس النوبة وأقوش الموصلى الحاجب ، فضربت رقابهما وأحرقت جثتهما ووقع بعدهما طرنطاى الساقى وأناق السلاحدار ونوغاى وأروس ومحمد خواجا والطنبغا الجمدار واقسنقر الحسامى ، فاعتقلوا بخزانة البنود[2] أياماً وعوقبوا حتى أقروا بما اجترموا من الجريمة وكيف كان إقدامهم على الحادثة العظيمة ، فلما اعترفوا ، ألزمهم القصاص

(١) أو رجال البريد .
(٢) أى الرايات والأعلام ، انظر المقريزى ، خطط ، ٢/٤٢٣ .

وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا وطيف بهم على الجمال ، وتشوهت وجوههم بعد الجمال وسلبوا بسائر الأعمال ، وما كان لهم من العز والجـاه والمال ، وصاروا شهرة فى الأمصار وعبرة لأولى الأبصار . ووقع بعدهم قجقرا أمير مجلس ، فشنق فى سوق الخيل ، وأمسك شمس الدين محمد ابن السلعوس الوزير وصودر واستصفى ما ظهر من أمواله وعوقب أشد العقاب حتى مات تحت الضرب والاضطراب جزاء بما أسلفه من السعايات والنمائم ، ونفث السمائم [1] فى الرمى بين السلطان والملك الأشرف وبين نائبه ، فتمكن الفساد وتفاقم الشر وزاد . ولله القائل موصيا لبنيه وصية النبيل النبيه : شعر

واعصوا الذى يزجى النمائم بينكم   متنصحاً ذاك السمام المنقــع
/ يزجى عقاربه ليبعث بينكم   حرباً كما بعث العروق الأخدع   / ٦٢ أ

وقيل إنه لما استدعى للوزارة وهى المنصب الذى كان الشجاعى يليه ، أرسل يستدعى أقاربه وألزامه من دمشق ، فكتب إليه واحد منهم هذين البيتين وهما [2] :

تنبــه يا وزير الأرض واعلــم   بأنك قــد وطئت على الأفاعى
وكـــن بالله معتصمـــاً فإنى   أخاف عليك من نهش الشجاعى

فحق القول فيه ونهشه الشجاعى نهشاً لم يستطع تلافيه . وأما الشجاعى فإنه بسط يده ولسانه واتخذ جماعة ليكونوا أعوانه . فلما كان يوم من الأيام فى شهر صفر من هذه السنة خرج الأمراء من بيوتهم إلى باب القلعة على العادة فى الخدمة ، بينما يفتح باب القلعة ، فيركبون للتسيير مع النائب ، فلم يشعروا إلا وقد خرج رسالة باستدعاء أمراء معينين بأسمائهم كان السلطان قد طلبهم ، فدخلوا مع أمير جندار وقام الأمراء فنزلوا للركوب ولم يعلموا المطلوب ، فأمسك أولئك الذين دخلوا فى الساعة التى حصلوا فيها ، فلما سير الأمراء

---

(١) ومفردها السموم .
(٢) أبو الفدا ، المختصر ٣٢/٤ ، وابن الوردى ، المرجع السابق ، ٣٤١/٢ .

الراكبون فى سوق الخيل ووقفوا ، جاءهم اثنان من بطانة الشجاعى وألزامه وهما قنغر وجاورشى ابنه وأخبراهم بأن الأمراء الذين طلبوا إلى داخـــل قد قبض عليهم جميعاً وهم : قفجاق وعبد الله وقبلاى وعمر أخو تمر وكرجى
٦٢ب/ وطرقشى ، وأن الشجاعى قد دبر الحيلة عليكم وقرر أن تمسكوا / إذا طلعتم وهو متفق على ذلك مع بعض الذين معكم ، فتوقف زين الدين كتبغا ومن معه عن الطلوع إلى القلعة وحصل التوهم من بيبرس الجاشنكير وبرلغى فأمسكا فى موقفهما ذلك وملكا واحداً من البرجية اسمه سنجر البندقدارى ، فقتل هنالك وخرج الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء بمماليكهم ، وقد استدعوا أجنادهم ومماليكهم وألزامهم ملبسين ، وتسامع العسكر فخرجوا مسرعين واستجمعوا برا بباب البرقية ، وأرسلوا إلى السلطان يقولون له : إن هذا سنجر الشجاعى قد قبض على الأمراء برأيه وبلغنا عنـــه ما أنكرناه ونختار إرساله إلينا لنسأله عن هذه الأسباب ونسمع من لفظه الجواب . فأرسل السلطان : إننى لا أعلم شيئاً من هذه الأمور . وامتنع الشجاعى عن الحضور ولبس آلة الحرب وجمع جماعته وهم لابسون وجلس ببـــاب القلعة ثم ركب ونزل نحـــو الثغرة وأخذ يناوش القتال ويرامى بالنبال ، واضطربت الأحوال ، فأظهر السلطان نفسه للأمراء وطلع فوق البرج الأحمر ليعلموا أنه سليم من الأغراض ، فقبل الأمراء الأرض بين يديه وهم فى مواقفهم وأرسلوا يقولون له : نحن مماليك السلطان لم نخلع يداً عن طاعة ولا سعينا فى تفريق جماعة ، وليس لنا قصد إلا حفظ دولته ونظام مملكته وجمع القلوب على طاعته ، وهذا الشخص قد استبد برأيه وآراء بطانته ،
٦٣أ/ وقد / أحدث حدثاً يفرق الكلمة ويخرق الحرمة ويهتك ستر الحرمة والحشمة ، ولابد لنا منه . فلما علم السلطان الحال أمسك عن المقال واستمر الشجاعى على الإصرار ، فعاملوه بالحصار وأقاموا سبعة أيام ، فتلاشى أمره وتفلل جمعه وتسللوا إلى أسفل قوماً بعد قوم وانحازوا إلى كتبغا وعلموا أن الشجاعى بغى. فلما رأى مآله آل إلى التلاف وعاين حقاً من كان معه من الألاف ، وأنه لا قبل لواحد بآلاف ، خرج من القلعة متحاملا وكر على القوم حاملا وخاب مما كان آملا ، فتحير فى أمره وجال بفكره ، فبادر إلى القلعة وقال : إن

كنت كما قالوا المطلوب ، وإلىّ نسبت الذنوب ، فأنا أصير إلى السجن طوعاً وإنما ألجأه إلى ذلك [ما كابده] من الويل وما شاهده من رباط الخيل . فلما مضى ليذهب إلى الحبس على زعمه وقد خلع لأمة حربه وحل سيفه عن حقوه وثب عليه بعض المماليك الأمراء الذين كانوا معه فقتلوه ضرباً بالسيف واحتزّوا رأسه وأرسلوه إلى الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء ، وكان معه بدر الدين بيسرى وبدر الدين أمير سلاح ، وعلم الدين طردج وسيف الدين يكتمر السلاحدار وشمس بن اقسنقر كرناى السلاحدار وجماعة من الأمراء الكبار . ولما جرى الحال على ذلك ، انقطع النزاع والتأم الاجتماع وتجددت المواثيق والعهود ، وأحكم (. . . . .) السلطان العقود وطلع الأمراء إلى القلعة وفرق المماليك السلطانية الذين كانوا / مجتمعين فى الطباق والأبراج ، /٦٣ب ونسب إليهم حدوث هذا الانزعاج ، فبعضا نقلوهم إلى الميدان وبعضا أسكنوهم بمنظرة الكبش وبعضاً أنزلوهم بدار الوزارة ، واتهمت منهم جماعة بإنشاء الشقاق وافتراء دواعى الافتراق ، فأخذوا وقرروا فأقروا بما دبروا ، فأودعوا السجن حسما للمواد واستئصالا لشأفة الفساد ، وسكن الثائر أحسن السكون وقرت باستقرار الحال العيون . وكانت هذه الحالة المستشنعة والواقعة المستبشعة أول التجارب وبداية الوقائع التى مرت بالسلطان على صغر سنه وهو فيها ثابت الجنان ثباتاً يعيي شجعان الكهول وكهول الشجعان مما أحقه إذ ذاك القائل أن يقول :

بلغت لعشر مضت من سنيـ ـك ما بلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور وهم لداتك أن يلعبوا

وأنا أقول إن الله تعالى منذ جعل سمة السلطنة عليه وساقها إليه ، تابع له التجارب من الصغر وبصره بما أمره عليه من العبر ليزداد فى السياسة تبصرة ويكون له من البداية تذكرة . وبعد هذه الأمور ببرهة يسيرة سئل فى الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى والأمير حسام الدين لاجين السلاحدار أن يعفو عنهما ويصفح عن ذنبهما ، فعفا وأصلح ، فظهرا من الاستتار وبرزا من السرار وأنعم عليهما بالإمرة ، فما أحسن العفو عند المقدرة .

ودخلت سنة أربع وتسعين وستمائة :

٦٤ أ / فيها وردت الأخبار / بأن البحر الملح قد اشتعل وضرم العدو فيه قد اشتعل وخيف على الثغور من تطرق طارق أو تهجم مارق أو تجرم سارق ، فندبت إلى ثغر الإسكندرية مجرداً لحفظه . فتوجهت إليه وخيمت عليه . وفى شهر المحرم منها نزغ نزغ من الشيطان بالجماعة الذين فرقوا من مماليك السلطان وحصل الاهتمام بالشوانى والاجتهاد فى حفظ السواحل والموانى . واتفق تواتر الأخبار بأن على ظهر البحر فظائع فرنجية من متحرمة الجنوية [1] يتخطفون المراكب الإسلامية ، فأذكينا عَيْناً لتعين الأرصاد وبقينا لهما بالمرصاد ، فلم يفجأنا إلا طروق غراب [2] يسابق بسيره كل سحاب ، فأخرجنا إليه الشوانى لعله يقارب أو يدانى ، فنفر كل النفار وطار فى لجج البحار ثم عاود الميناء يرصد الاغترار ، فأعلمت الحيلة عليه وبينت الرماة بالقسى فى مراكب من الجوز الذى يأتى إليه . فأعان الله على أخذه قهراً والتمكن ممن كان فيه من الفرنج قتلا وأسرا ، وكان ممن قتل مانويل [3] ريس الغراب ، ورئيس تلك الأحزاب ، وكان على التجار المسلمين والفرنج منه أعظم المضرة ، فسروا بإهلاكه غاية المسرة وأرسلت الأسارى إلى الباب العزيز وعدتهم دون المائة نفس ، ومنهم محتشم قرابة كبير من كبار جنوة اسمه بندت زكريا [4] . وفى شهر المحرم نزغ نزغ من الشيطان بالجماعة

---

(١) أى من أهالى مدينة جنوة فى ايطاليا .

(٢) والجمع أغربة ، وهى السفينة الشراعية الحربية .

(٣) وهو باللاتينية Manuel ، قائد السفينة .

(٤) وهو Bendetto Zaccaria ، صاحب Phocée ومن كبار ملاك السفن فى جنوة . انظر .

Runciman, op. cit, T III, p. 404 et suivantes.

الذين فرقوا من مماليك / السلطان ، فعزموا على فتنة يثيرونها ويوقدون نارها /٦٤ب
ويسعرونها بسبب ما ترتب فى نفوسهم من تفريقهم وإبعادهم وتناقض أحوالهم ، وقرر بعضهم مع بعض أنهم يركبون بالليل ويحتاطون على ما فى الاسطبلات من الخيل ، ويثورون على العساكر ثورة يقضون بها أوطارهم ويأخذون ثأرهم . فنهض الذين فى الكبش والميدان وركبوا ودخلوا المدينة وأرسلوا إلى أصحابهم الذين هم بدار الوزارة ، فأبوا أن يأتوهم ، فهجموا خزانة البنود وأخرجوا خشداشيتهم المسجونين فيها ونهبوا من الاسطبلات الخيل التى قدروا عليها . وأدركهم الصباح وهتف داعى الفلاح وركب الأمراء من القلعة ، فسارت المماليك إليهم وتقاتلوا معهم ثم لحقهم الأمير سيف الدين بهادر الحاج فى جماعة من العسكر ، فهزموهم بالكثرة وكانت عليهم الكسرة وأخذت عامتهم من الشوارع وأمسكوا من الأزقة والقوارع وخابت أطماعهم وإنما تضرب رقاب الرجال المطامع وأوقدوا نار الفتنة وكانوا وقودها ، وأضرموها فلما شبت أعجزهم خمودها ، وتمثل :

لا تنبش الشـر فتبلى به قليـل من يسـلم من نبشه
إذا طغى الكبش بشحم الكلا أدرج رأس الكبش فى كرشه

وكان أكثرهم شراً وأعظمهم مكراً على ما ذكر اثنان يعتقدان أنهما
من كبارهم وذوى أخطارهم ، أحدهما اسمه / كتبغا والآخر ساطلمش ، فلما /٦٥أ
أخذوا سكنت الثوائر ودارت عليهم الدوائر ، ولم أكن يومئذ حاضراً مع من هو حاضر لأن الله تعالى بى ألطافاً تبعدنى عن هذه الوقائع وتخرجنى من هذه المجامع ، فإنما الأعمال بالنيات والله تعالى مطلع على ما تجنه الطويات ، وإنما بلغنى هذا الخبر الذى أوردته فى هذه السيرة ممن كان له فيه مشاركة . فلما انقضت هذه الواقعة كانت من الأسباب التى أوجبت حركة كتبغا وركوبه فى السلطنة التى لم ينل منها مراماً ولا أحكم فيها وقد نقضها الدهر إبراماً ، حسنوا له أن يجلس فى الدست ويستقل بالأمر لرغبتهم فى الانتقال إلى الإقطاعات والارتقاء فى الدرجات ، فغلبوا على رأيه وحملوه على تعديه وافترائه ، وكان أكثرهم على ذلك مثابرة وأسرعهم إليـه مبادرة بتخاص وبكتوت

الأزرق وخشتاشيتهما ، فتاقت نفوسهم لأمر لم يحمدوا عواقبه ولم تصف لهم مشاربه . وكان الذى حضروه فيما اتفق عليه واجتمعوا فى هذه المشورة لديه الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى والأمير سيف الدين بهادر الحاج والأمير شمس الدين كرتاى والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير سيف الدين قفجاق والأمير شمس الدين قراسنقر والأمير سيف الدين كرد وقنغر وجاورشى
٦٥ب/ فلما أحكموا هذا التدبير وقرروا هذا التقرير ، / أجلسوه بزعمهم على السرير فى التاسع من المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة . وظن أن الملك بالجلوس على التخت ولم يعلم أنه بمواتاة الحظ وموافاة البخت . ولما جلس لقب بالعادل . وكان هذا الجلوس فى طالع منحوس وابتلى الناس بالبؤس ومنوا بالعكوس ، ولم تطب بأمره النفوس . وأظهر من التخلف أن حجب السلطان ومنعه من التصرف وبدأ بمماليكه فأمرهم وخولهم وكبرهم وسير بتخاص أستاذ دار وأعطى بكتوت الأزرق أجل الإقطاعات الكبار فبسطا أيديهما فى الدولة وصالا على الناس أعظم صولة وأخذا فى الاحتجان والاحتجاز وفعلا فعل من حاد عن القصد وجار ، وعاملا حسام الدين لاجين بالمضايقة والإضجار . واتفق فى السنة المذكورة تقصير النيل وتوقفه ، ووجلت بسببه قلوب المسلمين وضعفت لأجله نفوس العالمين ، ولم يوف ماء السلطان بالتعليق ولا حصل للناس ما عهدوه من التخليق وكسر الخليج الحاكمى قبل الوفاء ، فازداد الناس ضيقاً على ضيق ، فتطير الجمهور بجلوس المذكور ، وقالوا بكعبه المشوم ووجهه المحذور ، توالت علينا هذه الشرور وغلت الغلات والأسعار وارتفعت الأقوات وأيقنت النفس بالتلاف وأكثروا الاستصراخ والإرجاف واستسقوا فلم يسقوا . وتبع ذلك وباء شامل وفناء عاجل وطاعون جارف وحتف جائف
٦٦ أ/ فهلك الناس وغلب اليأس ، ومات من الخلائق / ذوات لا تحصى ولا تحصر . فكانت الأنفس على هذه الأمور تتحسر ولم يبق فى القاهرة ومصر شارع إلا وفيه جماعة مرضى مدنفين أو موتى مطرحين لعجز الأحياء عن دفن الأموات واشتغال الناس بأنفسهم عمن مات . وكانت الكلاب تنهش لحومهم وتفرى أديمهم ويطرحون فى الحفائر قوماً على قوم وتبلغ عدتهم فوق الألف كل يوم ، وأخلفت أنواء السماء وعم غم هذه الفتنة الصماء فلم تصب أرض برقة

مطر ولا همل القطر بتلك الأقطار ولا قطر ، فخلا أهلها عنها وخرجوا منها منتعجين الديار المصرية ومنحازين إلى جهة الإسكندرية ، ففرقوا على أهلياء الثغر وكذلك عمل القاهرة ومصر . ولما توالى هذا البلاء وتتابع هذا الفناء والغلاء ، منى العالمون بالطامة وتساوى فى السر الخاصة والعامة وبلغ سعر الغلة القمح كل إردب مائة وستون درهماً والشعير والفول وغيرهما من الحبوب مائة درهم ، وأكل الناس الميتات وعدموا الأقوات وخلت نواحى من السكان واستولى الموتان [١] على الإنسان والحيوان ولطف الله تعالى بأهل الإسكندرية بأن ساق إليهم جلب الغلال من البلاد الفرنجية ، فوصل منها شيء عظيم أكثره من جزيرة صقلية حتى كان ما جلب منها يناهز مائتى ألف إردب ، وانقضت مدة الفتنة الشهباء والناس فى مكابدة العناء . وكان مما تجدد ببلاد التتار مقتل كيخاتوا ابن أبغا ، ومملكة بيدوا بن طرغاى ابن هولاكوا مدة / لطيفة ثم قتل ، وملك قازان ابن أرغون ابن أبغا . واتفقت /٦٦ب فيها وفاة الملك المظفر صاحب اليمن وهو شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول واستقر ولده الملك الأشرف نجم الدين عمر مدة ثم ولى بعده المؤيد هزبر الدين فإن المظفر خلف من الأولاد الأشرف والمؤيد والواثق والمسعود والمنصور .

(١) أى الموت ، وانظر عدد الموتى فى Zetterstéen, Beitrage, p. 38

ودخلت سنة خمس وتسعين وستمائة :

فى أوائلها وفدت طوائف الأويراتية [1] من البلاد المشرقية إلى الممالك الشامية صحبة مقدميهم طرغاى وككتاى . وكان السبب فى انتزاحهم عن بلادهم أن طرغاى هذا كان متفقاً مع بيدوا على قتل كيخاتوا ، فلما صار الملك إلى قازان خافه على نفسه أن يأخذه بثأر عمه فيسفك دمه ، وكان مقيماً بثمانة بين بغداد والموصل . واتفق أن قازان أرسل مقدما يسمى قطغوا فى دون مائة فارس ليحفظ الطرقات عليه ريثما يصل الذين ندبهم إليه ، فاتفق طرغاى ومن معه وقتلوا قطغوا وجماعته وعبروا الفرات وسار بولاى فى آثارهم ، فاتقعوا معه وكسروه ونجوا إلى الشام فى هذه الأيام ، فأنزلوا فى الساحل وأوفد إلى القلعة من أعيانهم زهاء عن مائتى فارس ومقدميهم الثلاثة وهم : طرغاى وككتاى والوحى ، فمال إليهم كتبغا بكليته وحسن إليهم بطبعه وجنسيته وأفرط لهم فى الصلات والإنزال والإقامات وأمر أكابرهم بالطبلخانات قبل دخولهم فى الإيمان الدخول المستقيم وتدريجهم على عادة
٦٧ أ / الملوك / ونهجهم القويم . فصاروا يجلسون بباب القلة [2] فى مراتب الأمراء الكبار وهم بكثافة التتار وجلافة الكفار ، لم يعرفوا أوضاع الآداب ولا اهتدوا إلى سبيل الصواب ، فأثر ذلك فى الخواطر وأنكأ الأكابر والأصاغر وحكم مماليكه عليه وصار الأمر إليهم لا إليه ، فتأكدت البغضاء له فى الصدور ونفرت عنه القلوب لهذه الأمور وانضافت هذه الأفاعيل إلى ما نزل بالجمهور ، فتشاءموا بوجهه وطلعته وأشرفوا على الغرر بغرته وحزنوا على زمن الناصر وأيامه التى كانت تقر النواظر . كما قيل :

كنت لنا رحمة وقد هلك البد و لبخل الأنواء والحضر
ورحمة الله من دلائلها فى الأرض عدل السلطان والمطر

(١) نسبة إلى لفظ أويرات ، وهو اسم جنس يطلق على عدة قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من حوض نهر ينيسى بأواسط آسيا . انظر EI[1], article monghol

(٢) القلقشندى ، المرجع السابق ، ٤/٢٣ ، وتاريخ ابن الفرات ص ٢٠٥ .

ودخلت سنة ست وتسعين وستمائة :

فيها سار زين الدين كتبغا الملقب بالعادل إلى الشام وصحبته العساكر كافة ، فلما وصل دمشق عزل عز الدين أيبك الحموى النائب بها ونكبه وصادره ونهبه واستصفى فضته وأذهب ذهبه ، ورتب غرلو مملوكه نائباً بها وتوجه منها إلى حمص متصيداً وعاد منها وقلوب الجماعة نافرة من جهته وخواطرهم كارهة لسلطنته . وكان مماليكه قد سعوا عنده فى الأمير حسام الدين لاجين وأوهموه منه وحملوه ليقبض عليه ، فإن بطخاص كان يختار الحديث فى النيابة ويضايق حسام الدين فى جلوسه وحكمه ، وكانوا يكررون الطعن فى / حقه وينقلون عنه نقلا فاسداً ، فلا يشك مخدومهم فى صدقه . واتفق /٦٧ب
معه بعض الأمراء لكراهتهم فى مماليكه وجمعه وامتعاضهم من بخله ومنعه ، فتواطأوا جميعاً على خلعه . فلما وصلوا إلى ماء العوجاء عائداً إلى الديار المصرية ونزل به ، ركبت الجماعة المتفقة على هذا الأمر وأظهروا ما كان فى السر إلى الجهر ، وكان ركوبهم وقت الظهر بمن انضم إليهم من المماليك السلطانية وهم كرجى وخشتاشيته ، وساقوا إلى نحو الدهليز طلباً واحداً وحركوا أنقاراتهم حربياً . فلما أحس كتبغا بالضجة وضوضاء تلك الرجة ، سأل ما الخبر ، فقيل له إن جماعة من الأويراتية قد ركبوا وعزموا على أن يتسحبوا . فركب حسام الدين لاجين ليردهم ، ثم ما لبثوا أن تقدموا إليه وهجموا عليه ، فأيقن أنهم قاصدوه لا محالة فركب للوقت فى تلك الحالة ، وركب معه نفر من مماليكه وعبر الأمراء على مخيم بكتوت الأزرق فأعدموه فى خيمته وقتلوه على مكانته ، وركب بتخاص فقتل حال ركوبه ووثبوا عليه قبل وثوبه ، فولى كتبغا طريداً وذهب شريداً وتفرق جمعه بديداً ومر يركض طرفه ركضاً شديداً ، فقصر القوم عن طرده وأمسكوا عن قصده . ولو راموا إلحاقه

لأدركوه أو أرادوا إهلاكه بمشيئة الله لأهلكوه ، لكنهم رعوا له قديم الصحبة ولم يمكنوا منه تلك العصبة . وانتهى به السير إلى دمشق المحروسة فوصلها فى
٦٨ أ / شهر المحرم وكان النائب بها يومئذ / سيف الدين اغرلوا مملوكه ، فآوى إليه ولم يتبعه ممن كان يعتمد عليه إلا جمدان بن صلغية ونفر يسير من مماليكه وأعيت خيلهم لشدة الركض ، فتخطفوا ما وجدوا من خيل فى الطرقات ، وكان ذلك من جملة الموبقات . ولما وصل المذكور زين الدين كتبغا إلى دمشق حاول أن يوافقه أحد من الأمراء الذين فيها فما وجد منهم إقبالا ولا نال لديهم منالا ، فكان كما قيل :

إذا المرء لم يحتـــل وقد جد جـــده
أضاع وقاسى أمـــره وهو مـــدبر
ولـكن أخو الحزم الذى ليس نازلا
به الخطب إلا وهو للفضـــل مبصر
فـــذاك قريع الدهر ما عاش حُوَّل
إذا سُـــدّ منـــه منخر جاش منخر

فكتب إلى الأمير حسام الدين لاجين يسأله مكاناً يأويه ولم يكن له قصد أن يناويه ولا رأى فى أن يؤذيه ، فسمح له أن يتوجه إلى صرخد ويقيم فيها إذ ذاك إليها . وتوجه الأمير حســـام الدين لاجين إلى الديار المصرية وصحبته العساكر الإسلامية والخزائن السلطانية وقد استوثق أمره وانشرح صدره وحلف له الأمراء وحلفوه ، واشترطوا عليه شروطاً فوافقهم على ما شرطوه . وطلع القلعة المحروسة وبها نائباً الأمير شمس الدين اقسنقر كرتيه فطابقه ووافقه وعاقده على أمره وواثقه . فجلس فى أواخر المحرم ولقب بالملك المنصور ، وكان فى التماسه هذا الأمر كالمغرور ، ورتب الأمير شمس الدين قراسنقر فى نيابة السلطنة وأقر الحاج بهادر فى الحجبة وقرر سيف الدين
٦٨ ب/ / سلار أستاذ الدار وجعل سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جاندار ، واستمر بالصاحب فخر الدين ابن الخلى فى الوزارة برهة ثم عزله وولى الأمير شمس الدين الأعسر الوزارة وقلد الأمير سيف الدين قفجاق نيابة السلطنة

بدمشق وسيره إليها لأنه كان قد وعده بها . واهتم بعمارة جامع ابن طولون وزيادة أمواله وصلاح أحواله ، وفسح للإمام الحاكم بأمر الله الخليفة فى الخروج والدخول والركوب والنزول ، وأسكنه مناظر الكبش وأجرى عليه أنزالا كافية ووصله صلات وافية . ثم إنه كره أن يكون مولانا السلطان ممنوعاً من لذته ، محصوراً عن حركته ، واقتضت الأقدار الإلهية والإرادة الربانية توجهه إلى الكرك ، فتوجه به إليها الأمير سيف الدين سلار ، فكان فى خروجه من بيته وفراقه لعصبته شبيهاً بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتفق خروجه من المدينة ونزل فى حقه قوله تعالى :

﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ (١) .

إلى قوله :

﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ (٢) .

وكان كذلك على ما سنذكره بعد . وأفرج عن ركن الدين الجاشنكير وأمره بطبلخاناه فى الديار المصرية ، وعن برلغى وأمره بطبلخاناه دمشق وتوجه إليها وأقام فيها مدة ، وأمر منكوتمر / مملوكه وعلاء / ٦٩ أ
الدين ايدغدى شقير وسيف الدين بهادر المعزى وسيف الدين جاغان وبهادر الجوكندار وغيرهم من الأمراء . وفيها عاد نجم الدين خضر بن الظاهر وأمه وأخوه سلامش من القسطنطينية إلى الديار المصرية . وسأل الحج ، فتوجه إلى الحجاز هو والخليفة الحاكم . وفيها نشبت البغضة فى نفس لاجين من شمس الدين قراسنقر بسعاية منكوتمر ووشايته وعمله على انتزاع إقطاعه ونيابته ، فتغير عن مودته ونسى سالف صحبته . فقبض عليه وعلى بدر الدين بيسرى

---

(١) سورة الأنفال ، الآيتان ٥ ، ٦ .

(٢) سورة الأنفال ، الجزء الأخير من الآية ٧ و الآية ٨ .

وعز الدين الحموى والحاج بهادر وسنقر جاه الظاهرى، واستقل منكوتمر بالنيابة وأظهر العظمة والمهابة مع دمامة شكله وقباحة فعله ، فكان كما قيل أنفه فى السحاب وعجزه فى التراب ، تمثل :

حجاب وإعجاب وفرط تصلف ومدّ يدُ نحـو العلى بتكلف
ولو كان هـذا من وراء كفاية لهـان ولكن من وراء تخلف

وسلم إليه أستاذه القياد وبسط يده فى البلاد والعباد، فاحتجن الهـدايا والتحف والتقادم واللطف ، وأسرف غاية السرف وأفرط فى العجب والصلف فمقتته النفوس وكرهت منه إفراط التشدد والعبوس وأخذ فى تشتيت الأمراء الكبار وتجريدهم قصداً منه فى تبديدهم . فجرد الأمير بدر الدين أمير سلاح والأمير سيف الدين بكتمر السلحدار والأمير شمس الدين اقسنقر كرتاى وسيف الدين بزلار وسيف الدين عزاز ، وكتب إلى سيف الدين قفجاق أن يسير معهم
٦٩ب/ بجماعة عينها من دمشق ، / وإلى فارس الدين البكى الظاهرى أن تسير أيضاً صحبتهم من صفد وأن يتوجهوا جميعاً للإغارة على سيس ، فساروا إليها وأغاروا عليها وعادوا إلى حلب . فما استقر بهم القرار حتى وافى جمدان بن صلغيه يوماً وهم فى الموكب وعلى يده كتاب من لاجين إلى سيف الدين بلبان الطباخى نائب السلطنة بها ، بأن يقبض على جماعة منهم سماهم بأسمائهم وكان قد طار إليهم الخبر . فلما انفض الموكب واستدعاهم الطباخى ليحضروا خوانه ، فأبوا أن يحضروا الخوان وتحققوا كيد منكوتمر الخوان وركبوا من منزلتهم وجاءوا إلى حمص . وكان سيف الدين قفجاق نازلا عليها بعسكر دمشق ، فأعلموه بالأخبار وما جرى من الغدار واتفقوا على الفرار وأنشدهم لسان الحال :

إذا ما خفت فى أرض فدعهـا وحث اليعملات على وجاهـا
ونفسك فز بها إن خفت ضيما وخلّ الدار تنـدب من بناها
فإنك واجـد أرضاً بأرض ونفسك لن تجد نفساً سـواها

وساروا ومن فورهم وهم سيف الدين قفجاق وسيف الدين بكتمر السلاح دار وفارس الدين البكى وسيف الدين بزلار وسيف الدين عزاز خشتاش

سلار . وتعرض اقطوان العلمي وهو يومئذ نائب بحمص إلى قبجاق ليمنعه ، فربطه وساقه معه إلى القريتين فأطلقه وعبروا الفرات إلا أنهم لم يقطعوه حتى أخذ الله حقهم وسلط على لاجين ومنكوتمر من قتلهما ، واتصل بهم الخبر فلم يصدقوه وكان من أمرهم ما سنذكره / مفصلا فى سنيه وأوقاته ونشرحه / ٧٠ أ
بوقائعه ومتجدداته . وفى هذه السنة لما خف البلاء وقل الغلاء وتناقصت الأسعار ، أرسل على الزرع الفار فانتشر غاية الانتشار وأهلك الزروع وأبادها ، وكان يسبق الحصادين فى حصادها ويسرح على البيادر فيرعاها والأنادر فيغشاها ، ولطف الله بإزالته وعامل العباد برحمته . وفيها وفد سلامش ابن أفاك ابن ينجوا من بلاد التتار وأخوه قطقطوا ومن معهما إلى الباب العزيز هارباً من قازان لأنه (. . . .) الروم مقدم ثمان وبلغه عزمه على إتلافه ، فلم يجد إلا الفرار والمهاجرة إلى هذه الديار ، فأكرم مثواه وأبلغ مناه ، وسأل أن يجرد معه من يعينه على إحضار عياله واستخراج أطفاله ، فجرد معه من عسكر حلب العدة التى أرادها ، وتوجه مشرقاً ، فلما صار ببلد سيس اطلع عليه الأرمن والتتار المجردون فيها ، فأخذوا عليه المضائق ورتبوا له العوائق وأدركوه فى الدروب ، فلم يكن له إلا الهروب ، وقتل الذين كانوا معه من عسكر حلب ، وفر منهزماً إلى بعض القلاع ، فأحضره قازان بين يديه وقتله وبقى أخوه قطقطوا فى الديار المصرية لأنه تركه فيها كالرهينة واستمر مقيماً بالمدينة .

ودخلت سنة سبع وتسعين وستمائة :

فيها أزمع حسام الدين لاجين روك [1] الديار المصرية، وتغيير الإقطاعات وترتيب المعاملات لأن النواصي آلت إلى الخراب والفلاحين عجزوا عن
٧٠ب/ / الخراج، وصارت الأراضي تبور لضعف المزارعين وتفرق آراء المقطعين، والشكاوى من الفريقين دائمة فى كل وقت وحين وكان الحديث فى أول الروك قد تقدم قبل هذه الأيام وصرف إليه الاهتمام ولم يتهيأ له التمام، فجمع الكتاب والحساب وجماعة المستوفين وأرباب الدواوين وعمل الروك ورتب الإقطاعات وجمعت النواحي والمعاملات وكتبت المثالات وجعل (. . .) واحتجن منكوتمر لنفسه من البلاد العامرة والقرى القريبة والجهات الناضة شيئاً كثيراً زائداً، فأصبح كل له حاسداً ولو قنع لكانت السلامة أقرب إليه والقلوب أقل موجدة عليه، ولقد أحسن القائل محرضاً على القناعة : شعر

اقنع تعز ولا تطمع تذل ولا تكثر تقــل ولا تغتر بالأمــل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الأنصــار والخول

واتفق فى هذه السنة من الوقائع ببلاد التتار اختلاف تقطاء ونوغيه ووقوع الحرب بينهما وكانت الكسرة على طقطاء، وسبي من عساكره ورعيته وأهل طائفته خلق لا يحصى عدداً واشترى أكثرهم التجار وجلبوهم إلى الأقطار وباعوهم فى الأمصار .

---

(١) وهو الروك الحسامى، راجع المقريزى، خطط، ١/٨٧ .

ودخلت سنة ثمان وتسعين وستمائة :

فيها قتل حسام الدين لاجين الملقب بالمنصور ونائبه منكوتمر مملوكه ، وذلك أنه أبرز أنيابه فعقر جميع خشتاشيته وأصحابه ، فتغيرت القلوب عليه ونسبت الذنوب إليه :

/ ومن يربط الكلب العقور ببابه فعقر جميع الناس من رابط الكلب / ٧١ أ

وكان لا يقطع دونه أمراً ولا يبرم بغير رأيه حكماً ، وما لا يصدر عن رأيه يعطله وكل مرسوم يخرج من مخدومه بغير إشارته يبطله وهو راض منه بهذه الأمور وغير معترض عليه فى شىء من التدبير : شعر

فإلا تكن أنت المسىء بعينه فإنك ندمان المسىء وصاحبه

وكان المحرك لهذه الحادثة أن شخصاً من المماليك السلطانية الذين أعانوا حسام الدين لاجين فى مقاصده اسمه كرجى كان قد قربه وقدمه على المماليك السلطانية ليستميل خواطرهم إليه ويعطف قلوبهم عليه ، فكان يلازمه ليلا ونهاراً ويفاوضه سراً وجهاراً ، فكره منكوتمر مداناته وأزمع مناواته ، ثم عينه للنيابة بقلاع سيس التى افتتحها العسكر المجرد متقدماً وهى تل حمدون وقلعة نجم وحميمصة ، فقلق كرجى وارتاع وتحرق والتاع ، وشكا إلى طغجى وغيره ما اتفق له وسأل لاجين الإعفاء فأجابه . وقد حصل فى نفسه ونفوس أصحابه من منكوتمر ما حصل . ثم بعد برهة يسيرة اتفق بين شخص آخر من الخاصكية طغاى يلوذ بطغجى وبين منكوتمر مفاوضة ، فأغلظ له فى الخطاب وأسمعه أفظ الجواب ، فجاء إلى طغجى باكياً واستصرخ به شاكياً ،

فاجتمعوا فيما بينهم وتشاكوا إساءات منكوتمر إليهم وتحكمه عليهم وأفشوا
٧١ب/ ما بقلوبهم من الضغائن وأبدوا ما بنفوسهم من الإحن والدفائن / . شعر

وإن الضغن بعد الضغن يفشو ... عليك ويخرج الـداء الدفينـا

فقالوا وكيف السبيل إلى الراحة من شره ومكانته من أستاذه مكينة وأسبابه عنده متينة ، وإن كلم عنه لم يسمع وإن شكى عنه إليه لم ينجع وكلما طالت مدته قويت شكوته وعجزنا عن مرامه وأصمانا بسهامه . وتشاوروا على إعدامه ثم تذاكروا أنه لا سبيل إلى بلوغ القصد منه إلا بإعدام مخدومه ، وأبرموا الأمر بينهم ، فلما كانت ليلة الجمعة الحادى عشر من ربيع الآخر ، هجموا عليه وهو جالس يلعب بالشطرنج ، فأرووا السيوف من دمائه وقطعوه تقطيعاً وغادروه مصروعاً . وخرجوا إلى دار منكوتمر واستدعوه لينزل إليهم ، فأحس بالأمر ، واستشعر الشر ، فنزل إلى طغجى مستجيراً به من القتل ، فأجاره وأمرهم ليذهبوا به إلى السجن ، فمضوا به ودلوه فى أسفل الجب ، فاستدرك طغجى الفارط فيه وقال : نحن قتلنا أستاذه وما أساء إلينا ولا أجنف علينا ، وإنما قتلناه لأجل هذا الشيطان وما أنشأه من الشنآن ، فلا سبيل إلى تركه ولابد من هلكه ، فأطلعه من الجب وذبحه من قفاه ولىّ ما قدمت يداه : شعر

ومن يحتفر فى الشر بئراً لغيره ... يبت وهو فيها لا محالة واقع

وأصبح طغجى وكرجى يظنان أن الحكم صار إليهما والزمام فى يديهما فجلس طغجى فى شباك النيابة والأمراء عنده وديوان الجيش بين يديه وسمت
٧٢أ / نفسه إلى المنصب الأعلى وتطاول إلى ما هو قاصر عنه خرقاً / وجهلا . واتفق وصول الأمراء المجردين من الشام وهم بدر الدين أمير سلاح وشمس الدين كرتيه وشمس الدين سنقر جاه المنصورى ، فخرج الأمراء لتلقيهم وألزموا طغجى بالخروج إليهم ، فخرج هو وكرجى ، ولما تلاقوا وسلم بعضهم على بعض جرى الحديث بينهم فيما أحدثه هؤلاء . وانتهى الحال إلى أن قتل طغجى ففر حينئذ كرجى فلم ينجه الفرار وقتل بحد الصارم البتار . واجتمعت الآراء واتفقت الأمراء على إعادة مولانا السلطان إلى محله ، فأرسل إليه علم الدين

الجاولى أستاذ دار وسيف الدين للملك الجوكندار ، فحضر من الكرك مسؤولا مخطوباً ، ووصل إلى قلعته محبواً محبوباً، وكان وصوله يوم السبت رابع عشر جمادى الأولى وجلس فى الدست الذى هو أحق به وأولى ، وقد أغنته سعادته عن الحيل وبلغته غاية الأمل ، وجلس بين يديه الأمراء الأكابر وأرباب المشاور .

قال الراوى : وكنت فيمن أبعده منكوتمر وجرده ، فحضرت من بلاد الأشمونين وصادفت يوم جلوسه وتلقانى الدهر بطلاقته بعد عبوسه ، فحمدت الله إذ أبعدنى عن الضراء وأدنانى من السراء . فجلست يومئذ ومن حضر من الأمراء ، وكان يوماً عم سروره الوجود وملأت أفراحه التهائم والنجود ، وأنشد لسان السعود يقول :

قد رجع الحق إلى نصـــابه وأنت من دون الورى أوْلى به
ما كان إلا السيف سلته يد ثُم أعادته إلى قـــرابـــــه

/ وتقرر أن يكون سيف الدين سلار نائب السلطنة المعظمة ، وركن ‎/٧٢ب
الدين بيبرس الجاشنكير أستاذ دار العالية ، والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جاندار . وكان مما ذكر فى شأن مولانا السلطان ، خلد الله ملكه ، من الأشعار قول من قال :

يا أيها الملك العالى المنـــار إذا أهل الفخار سموا للمجد والجود
شيدت بيت قلاوون فعشت له فى ظل ملك على الآفاق ممدود
أعدت للدولة الغراء بهجتهـــا فالملك كملك سليمان بن داوود
أشرقت كالشمس فى أبراج رفعتها وكان عودك فى الأيام كالعيد

ودخلت سنة تسع وتسعين وستمائة :

فيها تحركت التتار وتواترت الأخبار بحركتهم ، فلما تحقق مسير قازان ، خرج السلطان وهجر الأوطان وسار بالجيوش المنصورة وله يومئذ من العمر خمس عشرة سنة . فما أحقه بقول القائل :

قاد الجيوش لخمس عشرة حجة ولداته عن ذاك فى أشغال
قعدت بهم هماتهم وسمت به هم الملوك وسورة الأبطال

ولما نزل على تل العجول نزول المتثبت لا العجول ، اتفق قوم من التتر الأويراتية ، الذى ذكرنا ورودهم إلى الديار المصرية ، مع أحد المماليك السلطانية يسمى برلطاى على أن يعيدوا كتبغا لما [أسدى] إليهم من الإحسان الذى كان معدوداً من ذنوبه مذكوراً فى جملة عيوبه ، فنهضوا لقصدهم وقد
٧٣ أ / قضى الله بإتعاس جدهم . / وبينما الأمراء فى الموكب والسلطان فى دهليزه ، شهر برلطاى سيفه واخترق الصفوف ، فسار إليه الواثقون بالسيوف ، فانثنى إلى جهة الدهليز وقد حضر الأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار وفحصوا عنه وحاققوا هذا الواثب واقتصوا منه . وجمع من ثم من مماليك السلطان وتيقظوا لهذه الحادثة ، فأمسكوا برلطاى ، وللوقت أرسله السلطان إلى الأمراء وقال لهم : حققوا هذا الواقع وافحصوا عنه وافعلوا فيه الواجب . وكان سلار فى الحالة الراهنة قد تحير فى فتنته ، والجاشنكير قد وقف جانباً بجماعته وأهل صحبته . ثم انحاز سلار إليه فى ساعته ، فكان الأمير سيف الدين بكتمر عوناً للسلطان من قديم الزمان ، ونصيحاً له فى السر والإعلان من ذلك الأوان فقتل برلطاى وأمسك الأويراتيه وشنقوا على غرة . وجدد الأمراء أيماناً ومواثيق . وارتحل السلطان إلى دمشق يطوى الطريق . فلما دخلها أنفق فى

العساكر فى العشر الأوسط من ربيع الأول ، والأخبار تتواتر والجفال تتقاطر . ثم رحل السلطان من دمشق وسار إلى حمص ، فتحقق أن التتار نزلوا وادى الخزندار ، فأسرعت العساكر إليهم قصداً فى الهجوم عليهم ، وجدوا فى سيرهم ، فما وصلوا مجمع المروج إلا وقد أعيت الخيول من الركض الشديد وثقل الحديد والمدى البعيد ، فركبت أطلاب التتار من ساعتهم وقازان فى حملتهم والأمراء المقفزون معهم / وهم قفجاق وبكتمر السلاحدار والبكى الساقى . فلما التقى الجمعان واصطدم الجيشان حملت الميسرة المنصورة على ميمنة التتار فكشفتها ولولا قليل لهزمتها وتكردست ميمنتهم على القلب ، فتضايق مجال الحرب ، ولم يتمكن الجيش هنالك من الطعن والضرب ، فإن التتار من قدامهم ازدحموا والغلمان من ورائهم التحموا ، وجاءهم نوابل السهام كوابل الغمام فثنوا الأعنة وطرحوا الأسنة ولفظوا كل درع وجنة فكانت حينئذ الهزيمة وفلت ساعتئذ العزيمة ، فرأى السلطان العود أحمد والرجوع بالنفع أعود وأجود . فضرب عنان جواده على غير مراده منقاداً إلى حكم الضرورة محكوماً عليه بها من أرباب المشورة ، فاستظهر العدو بانصرافه ووجدوا السبيل عند انحرافه ، فانهزمت الجيوش أطلاباً وتفرقت الجنود أحزاباً . وقتل فى الصدمة الأولى من الأمراء سيف الدين كرد وناصر الدين ابن الحلى وسيف الدين بلبان التقوى وبيبرس العلمى والأمير صارم الدين أزبك الطغربلى نائب بلاطنس ، وأصابت الأمير سيف الدين نوكيه السلحدار جراحة فكان موته بها لما وصل إلى جسر يعقوب ، والأمير جمال الدين أقوش الكرجى الحاجب ونفر قلائل ، وذلك فى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة تسع وتسعين وستمائه . وهذا اليوم ذكر / المفسرون فى تأويل قوله تعالى ﴿ فى يوم نحس مستمر ﴾ [1] أنه يوم الأربعاء ، فإنه كان يتوقع منه الشر ولا سيما إذا اتفق أواخر الشهر . ولما وصل البريد بهذا الخبر إلى القلعة وأنا بها يومئذ فى النيابة ، أخفيت أمره وأظهرت ضده ، وتقدمت بضرب الطبلخاناة وتحريك الكوسات ، فزالت الأوهام وسكنت غوغاء العوام ووصل السلطان إلى الديار المصرية وهى آمنة وأحوالها ساكنة ، وأما قازان فإنه تسلم

/٧٣ب

/ ٧٤ آ

(١) سورة القمر ، الآية ١٩ .

حمص وجاء نحو دمشق فنزل فى المرج وكثر عند ذلك الهرج والمرج ، وعاث العدو فى جبل الصالحية وخربوا مساجده وزواياه ومشاهده ، وحاصروا قلعة دمشق وبها علم الدين أرجواش المنصورى نائباً ، فصبر وصابر وحفظ القلعة وأظهر المنعة وأعانه قفجاق وبكتمر السلحدار بتخذيل التتار وتخفيف الحصار فصانها الله تعالى إلى أن انكشفت التتار عن البلاد ولم ينالوا منها شيئاً من المراد . ولما كان قازان بالشام كتب إلى الحصون والجهات الكتب والفرمانات يرهب فيها ويرغب . فلم يأذن الله له بالتمكن من شيء من الحصون ولا استباح حماها المصون . وجرد هؤلاء إلى الأغوار ومعه تومان من تولينه وجموع من شياطينه فعاثوا وعبثوا وأفسدوا مدة ما لبثوا . وأما بقية العساكر المنصورة فمنهم من سبق الخبر ومنهم من جاء على الأثر ومنهم من لاذ بالقلاع رجاء الامتناع وتجردت الصالحية لحفظ الطرقات واستطلاع المستجدات وإظهار
٧٤ب/ / ضبط التجريد وإشاعة الاهتمام للقريب والبعيد . وتواترت العساكر أولا فأولا إذ ليس لهم إلا مصر والقاهرة موئلا . فأول من وصل الأمير سيف الدين الطباخى نائب حلب ومن معه من العساكر الحلبية وسلكوا الساحل فى طريقهم وخرج عليهم الجبلية لما حصلوا فى مضيقهم وتخطفوا من استفردوه وقتلوا من وجدوه ونهبوا ما بقى معهم من صيانة القماش والعدة ، فكانوا فى تمام الشدة . ووصل بعده نائب دمشق الأمير جمال الدين ومن معه من عسكر الشام . ثم وصل الأمير سيف الدين كراء المنصورى نائب صفد . ووصل بعد ذلك زين الدين كتبغا من صلخد على طريق الكرك وترك أولاده بها . واجتمع هؤلاء جميعاً بالأبواب السلطانية وجاءت التراكمين [1] وغيرهم من أهل البلاد إلى الديار المصرية ، فشحنت بالأمم وامتلأت بالعرب والعجم ، ووسعتهم المراحم الآلهية والبركة السمائية والصدقات السلطانية ، وفرغت الخزائن السلطانية وأخرجت الذخائر وحملت الأموال إلى الأمراء والعساكر وشملتهم النفقات وغمرتهم الصلات . فجددوا العدد الجميلة والثياب النفيسة والخيول المسوّمة ، وكملوا ما نقص من حالهم وعادوا كأحسن ما كانوا من أهبتهم

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعل المقصود « التركمان » .

وجمالهم وخيلهم وجمالهم وعاد لهم رونق الحسن فى أقرب وقت وأسرع زمن .
واتصل ذلك بالنواب الذين فى الحصون ، فتماسكوا وتجلدوا وتثبتوا وتأيدوا .
واقتضى الحال عود قازان فى السابع / عشر من جمادى الآخرة ولم يتسلم /٧٥ أ
حصناً واحداً ولا نال ما كان قاصداً . فولى عائداً . ولما تحقق هؤلاء ذلك
انتزح عن الأغوار ولم يلبث أن سار ومر ببقاع بعلبك فأغار عليها وعبر الفرات
وكان توجهه فى الثامن من شهر رجب . ولما كان فى العشر الأول من الشهر
المذكور ، تجهز السلطان وخرج من القلعة المحروسة فأقام بالصالحية ، وتقدم
سيف الدين سلار وركن الدين أستاذ الدار بالعسكر إلى الشام وتوجهت نواب
الممالك وعساكرها ليعود كل منهم إلى مكانه وتعيد إلى كل إقليم من نزح من
سكانه . فلما صار بمنزلة سكرير راسلوا قفجاق وبكتمر السلحدار فى المهاجرة
إلى الطاعة والانتظام مع الجماعة . فأرسلوا ثقاتهما مستوثقين وحضرا إلى
الخدمة طائعين . ووصلا إلى أبواب الدهليز السلطانى بالصالحية هما وفارس
الدين البكى ، فلقيهم بإكرام وتحية وخلع عليهم الخلع الجميلة ووصلهم بالصلات
الجزيلة ، وعين الأمير سيف الدين قفجاق نيابة الشوبك ولسيف الدين بكتمر
إمرة بمائة فارس بالديار المصرية ولفارس الدين البكى طبلخاناة بدمشق ،
ورتب زين الدين كتبغا بحماة والأمير شمس الدين قراسنقر بحلب . وعادت
الأحوال إلى أوضاعها واتصلت الآمال بعد انقطاعها . وفى هذه السنة التقى
طقطا ونوغيه ببلاد الشمال ، فكانت الكسرة على نوغيه وقتل فى موقفه ، وأسر
من عسكره خلق كثير ونهب منهم / الجم الغفير ، وجلب التجار منهم إلى هذه /٧٥ب
الديار مماليك لا تحصى كثرة وجوار فى ذلك الوقت ، ودخلوا فى دين
الإسلام بمحبة واجتهاد ، وصاروا أنصاراً فى الغزاة وأعواناً فى الجهاد . فجعل
الله شتاتهم من الأوطان سبباً لدخولهم إلى الإيمان وخروجهم من ظلمة الكفر
والطغيان ، تدبيراً لا تدركه الأوهام ولا تسبر غوره الأفهام .

ودخلت سنة سبع مائة :

فيها اختلف عربان البحيرة جابر ومرديش [1] (..........)
فاستظهرت مرديش على جابر وكسرتهم كسرة ما لها من جابر ، فندب من الباب العزيز جماعة من الأمراء لإخماد ثوائرهم وتوطين عشائرهم . فتقرر الحال بينهم . واتفق تواتر الأخبار من جهة النواب بأن التتار قد تحركت لقصد الشام والرجوع إلى بلاد الإسلام ، فقامت على أهله القيامة ولم يبق لهم به إقامة وجاءت الجفول قفولا بعد قفول ، وتبادر الناس أفواجاً وازدادوا انزعاجاً لما نالهم فى السنة الخالية من الأهوال وفساد الأحوال . وعزم مولانا السلطان على المسير وإفضاء الحال استجباء شىء من المال للإعانة على النفقات مما تدعو إليه الضرورات . وسار السلطان بالعساكر فى شهر صفر ونزل على ماءالعوجاء بمنزلة بدّعرش وعبروا التتار الفرات ووصلوا بلد حلب فصابرهم عسكرها أياماً . ولم يمكن السلطان التقدم لكثرة الأمطار وامتناع الأسفار وانقطعت لذلك
٧٦ أ / الأجلاب وتعذر سلوك الدواب وتضايق الحال لكثرة / الأمطار والأوحال . فألجأهم ذلك إلى الترحال . فرحل السلطان عائداً إلى الديار المصرية . ولما سقط الثلج بالشام رجع التتار من البلاد الحلبية آيبين ومما قصدوا خائبين وكفى الله المؤمنين القتال وتراجع إلى البلاد من فارقها من الجفّال [2] وشرعوا فى تحضير الضياع واستقبلوا أوان الازدراع . ووقع فى ديار مصر

(١) كذا فى الأصل . ولعل الصواب هو مرداس ، راجع القلقشندى ، نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب ، ص ٤١٨ .

(٢) أى من الهاربين .

فناء فى الأبقار حتى كادت تعدم وبلغ ثمن الرأس البقر ألف درهم . وفيها كان إلزام الذمة بتغيير زيهم وغلق كنائسهم بإشارة بيبرس الجاشنكير . وفيها وصلت رسل قازان إلى الباب العزيز وهما الأمير ناصر الدين على خواجه والقاضى كمال الدين ابن يونس قاضى الموصل بكتاب من جهته ومشافهة منقولة عن إشارته . فسمع السلطان الرسالة وجهز الجواب على يد الأمير حسام الدين المجيرى والقاضى عماد الدين السكرى ، فلما وصلا إليه أمر بتعويقهما عن السفر .

ودخلت سنة إحدى وسبعمائة :

فيها توفى الخليفة الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بمنظرة الكبش ، فحمل إلى مشهد السيدة نفيسة وصلى عليه الشيخ كريم الدين عبد الكريم العجمى شيخ الخانكاه ، ودفن إلى جانب المشهد . وكانت مدته مذ بويع له فى الدولة الظاهرية ووقع اسم الخلافة عليه ، أربعين سنة . وهو أول خليفة دفن بمصر من العباسين . وخلف أولاداً أكبرهم يسمى سليمان فاستخلف ولقب المستكفى
٧٦ب/ بالله وكنيته أبو الربيع ، وذلك فى ثامن عشر جمادى الأولى / من هذه السنة . وأجرى عليه ما كان لوالده من الرواتب ، وصار يركب مع السلطان ويلعب معه الكرة فى الميدان ، وضاعف له الإكرام والإحسان . وفيها كثر الفساد من عربان الصعيد واحتاجوا إلى التمهيد ، فتوجه سيف الدين سلار وركن الدين الجاشنكير ومعهما جماعة من الأمراء والعسكر المنصور وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا ونهبا وسبياً حتى استأصلوا منهم الشأفة ، ولم تأخذهم بهم رأفة . وفيها توفى أمير مكة الشريف أبو نمى محمد بن سعد بن على بن قتادة الحسنى . واختلف أولاده من بعده وهم رميثة وحميضة وعطيفة وأبو الغيث ، فاقتضى إحضار رميثة وحميضة إلى الباب السلطانى تأديباً لهما ، وترتيب أخويهما فى الإمرة مكان والدهما . .

ودخلت سنة اثنتين وسبعمائة :

فيها سفر جيش البحر فى الشوانى المنصورة إلى جزيرة أرواد صحبة كهرداش [1] مقدم الزراقين [2] ، فأقلعوا إليها ونزلوا عليها وأخذوها وقتلوا من أهلها بعضاً وأسروا بعضاً وأحضروا الأسارى إلى الباب الشريف . وكانت هذه الجزيرة مضرة على أهل انطرطوس وما حولها . وفيها جاءت رسل من عند قازان ولم يعد معهم رسول للسلطان . وأعقب وصولهم توارد الأخبار بحركة التتار وأن قطلوشاه أتابك الجيش قد تقدم مغرباً إلى جهة الفرات وأرسل كتاباً مشتملا على الخبث والمكيدة يقول فيه إن التتار قد أمحلت بلادهم وقلت / مراعيهم ، وأنهم قاصدون التوسع إلى ما يلى الفرات فى ارتياد / ٧٧ أ
المراعى ، فلا يرتاع المسلمون إذا سمعوا بهم . ثم قوى الإرجاف بوصولهم إلى الأطراف ، فجاءت فرقة من طريق الرحبة حتى وصلت إلى دير بسير ، وجاءت طائفة على مرعش فخلعت الرعية من البلاد الحلبية ، وحصل الاهتمام بالاستخدام ورسم الأمراء بمصر والشام أن يستخدم كل منهم أجناداً مستجدة نظير الربع من العدة ويضيفوهم إلى أجنادهم تكثيراً لأعدادهم . ووظف على أملياء البلاد عدة أحوالهم من الأجناد وتقرر الحال أن تتقدم مقدمة العساكر إلى الشام تقوية لعسكره ومدداً له إلى أن تتضح الحال وينجلى الإشكال . فجرد فيها من الأمراء ركن الدين الجاشنكير وحسام الدين أستاذ دار وطغريل الإيغانى وكراى المنصورى وسنقر جاه المنصورى وبيبرس الدوادار ناقل هذه الأخبار ومضافوهم من الأمراء والحلقة وغيرهم .

(١) هو الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصورى ، أنظر المقريزى ، السلوك ، ج ١ — ٣ ص ٩٢٨ وص ٩٤٤ .

(٢) جمع زراق ، وهم رجال البحرية ، راجع Dozy, Suppl. I/588

قال الراوى : فلما وصلنا قاقون صحت الأخبار بوصول التتار وجاء قازان إلى الرحبة ففصل منازلتها ورام محاولتها وبها نائب اسمه علم الدين سنجر الغتمى ، فأرسل إليه الإقامات وقدم له الضيافات وقال له إن الملك الآن سائر إلى الشام وقدامه المدن العظام ، وهذا بلد حقير ومرامه يسير وإذا أخذت
٧٧ب/ البلاد فأنا طوع القياد . فاستوقفه بهذا ومثله عما /كان عازماً على فعله وما لبث قازان أن عاد إلى مقامه ولم تمتد مدة مقامه . وجرد قطلوشاه نائبه ومعه العساكر ومقدمو القانات لقصد هذه الجهات ، فتقدموا إلى الشام وساروا يسابقون الأيام . فلما تحقق السلطان وصولهم ، خرج من القلعة واستصحب سائر العساكر والجند المستجدين والعربان وجمع الرجال من البلدان وأخرج معه الخليفة المستكفى وسار يطوى الفيافى ويسابق ذات الخوافى . وأما نحن ، فإنا صرنا إلى دمشق وتأخرت العساكر الحلبية والحموية والحمصية وعساكر الفتوحات الإسلامية لتجتمع الجيوش جميعاً ويصير جانبهم إذ ذاك منيعاً . فوصلت مقدمة التتار مغيرة إلى القريتين [١] فى خمسة آلاف فارس وقد اجتمع فيها خلق كثير من التركمان ببيوتهم وأهلهم وماشيتهم ، فوقعوا عليهم واستولوا على ما فى أيديهم وحصلوا نسوانهم سبايا ورجالهم أسارى . فجاء الصريخ إلى الأمراء المذكورين وهم شمس الدين قراسنقر وزين الدين كتبغا وسيف الدين اسندمر ومن كان قد جرد إليهم من دمشق ، فركبوا لوقتهم وجردوا سيف الدين اسندمر وسيف بهادر راص وسيف الدين أنص وسيف الدين تمر الساقى وشجاع الدين اعزكوا الزينى وناصر الدين محمد بن الأمير شمس الدين قراسنقر فى ألف وخمسمائة فارس إلى نحو هؤلاء التتار ليدركوهم
٧٨أ/ ويستنقذوا التركمان / من أيديهم، فساقوا إلى مكان يسمى عرض، فوجدوهم قد حووا الغنائم والسبايا ونزلوا واطمأنوا، فلما رأوا العسكر ظنوه منهم ولم يتبينوه حتى أحاط بهم وتفرق عليهم أربع فرق ، فكلما اشتغلوا بفرقة ، حملت عليهم الأخرى بلا فرق فدهكوهم بهذا التدبير وغلب الجيش القليل بجمعهم الكثير ، فهزموهم فاستنقذوا الأسرى وخلصوهم واقتلعوا الأموال والأغنام . فكان هذا

(١) هى بلدة كبيرة من أعمال حمص ، وتدعى حوارين ، انظر ياقوت ، المرجع السابق ، ٣/٧٨ .

أسعد فأل وكانت هذه المقدمة سبباً لنتائج الظفر وإيجاب النصر المنتظر ، ولم يصب فى هذه الوقعة سوى الأمير سيف الدين أنص الجمدار وناصر الدين محمد ابن باشترد الناصرى وبعدها اجتمع التتار وقالوا إن السلطان لم يخرج من مصر وما قدّامنا أحد إلا عسكر الشام وبعض أمراء مصر ، واتفقوا على المهاجمة والتعجيل بالمصادمة . فساروا مجثين وجاءوا مسرعين ، ونحن قد خرجنا من دمشق إلى القطيفة ، فلم نلبث بها أن جاءنا الخبر بأن العدو قد أقبل . فرأى الأمراء أن يتأخروا مقداراً يسيراً ، فلما ثنوا الأعنة كادت تكون الهزيمة ، فاضطرب الناس اضطراباً شديداً ورمى قوم من العسكر أحمالهم وقوم تركوا أثقالهم وجمالهم ، ولم يتهيأ ردهم ، ولا تأتى صدهم ، .

ومن يرد طريق العارض الهطل

وعبروا على دمشق ، فصرخ أهلها بالشتائم وانتقضت منهم العزائم

٧٨/ب / واستصرخوا وضجوا وتضوروا وعجوا وأيقنوا بالهلكة ، فجلوا . فما كان إلا كلمح الناظر حتى أقبل السلطان بالعساكر تحفه الكتائب وتقدمه المواكب وهو بينهم كالبدر بين الكواكب ، فقوى جأش الجيش وسكن ما خامره من الطيش . فقيل : شعر

فإذا نظرت إلى السهول رأيتها	تحت العجاج فوارساً وجنائبا
وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها	فوق السهول عواملا وقواضبـــا
فكأنما كسى النهار بها دُجى	ليلٍ وأطلعت الرماح كواكبـــا
أسد فرائسها الأسود يقـــودها	أسد تصير له الأسود ثعالبا

وفى الساعة التى أقبلت فيها الجيوش الإسلامية وطلعت الأعلام السلطانية أقبل جيش التتار يعلوه القتار ، وذلك يوم السبت ثانى يوم من شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وسبعمائة . ووقف السلطان فى القلب متوكلا على الرب وقد بايعه على نصر ملته ونوى المصابرة لخلوص نيته ، والخليفة إلى جانبه وبين يديه من الأمراء سيف الدين سلار والدكز أستاذ الدار وعز الدين الخزندار وسيف الدين أمير جندار وجمال الدين آقوش نائب الشام والعسكر الشامى ، وفى الميمنة حسام الدين أستاذ الدار وجمال الدين الموصلى قتال السبع وبهاء

الدين يعقوبا الشهرزورى ومبارز الدين أوليا بن قرمان ،وفى جناحها سيف الدين قفجاق وعسكر حماة والعربان ، وفى الميسرة بدر الدين أمير ســـلاح
٧٩ أ / وشمس الدين قراسنقر وبيبرس / الدوادار وسيف الدين بتخاص نائب صفد وسيف الدين طغريل الايغانى وسيف الدين بكتمر السلاح دار ومن معهم من الأمراء الطبلخانات وأصحاب العشرات ومفاردة الجيش ورجال الحلقة المنصورة وأقبلت كراديس التتر كقطع الليل لا يتبين فيها الرجل من الخيل ، قد مد النقع عليهم رواقه فلا يعلم المقدم من الساقة وفيهم من المقدمين المشاهير قطلوشاه وسوتاى واقطاجى وجوبان بن تداون ومولاى وقرمشى ابن أناق وطوغان وصبا وشى ابن قطلوشاه وطغريل ابن اجاى وأبشقا وأولا جغان والكان وطيطق فى مائة ألف من المغل والكرج والأرمن وغيرهم من الجيوش الملفقة والطوائف التى ليست إلا على الفساد متفقة . ولما تعدوا الكسوة ، طلبوا تحت كتف المصرى وحملوا على الميمنة حملة واحدة ، فثبتت للقتال واصطلت جمرات السيوف والنبال وقاتلت قتال الأبطال . فلما عاين الذين فى القلب ما أصاب الذين فيها من شدة الطعن والضرب ردفوها وأزروا إليها ، وأكبت الميسرة أيضاً عليها ، وكان من لطف الله العميم وفضله العظيم أن الميسرة عند انعطافها وميلها إلى الميمنة لإردافها ، كان بين يديها فى ذلك المرج وُحول تعز عن ساوكها الوعول فما ظنك بالخيول مثقلة بفرسانها الكماة ملبسة أنواع البركصطوانات ، فسلكت فى ذلك الوحل كأنها تمشى على الجلامد أو تسير على الصخـــر الجامد لم يتوقف منها فرس ولا بغل ، ولا سقط من حمولها حمل تيسيراً وتسهيلا ولطفاً من الله جميلا ، وحجز الليل بظلامه وأغمد كل من الفريقين حد حسامه والتجأت التتار إلى جبل غباغب بين طام وساغب ولاغٍ من الويل ولاغب ، فباتوا يضرمون نارهم وإنها لنار الحباحب ، وباتت العساكر محيطة بهم إحاطة الأغلال بالأعناق والأصفاد بالأسواق ، فتسلل بعضهم بالليل فَرَقاً وتفرقت آراؤهم فِرَقاً . فلما تبلج الصباح وتنادى الندامى للوغى وطاب الاصطباح ، ترتبت العساكر الإسلامية حول القوم ترتيباً وطلبوا حوائلهم تطلبياً تسطع الأنوار عليهم وتبدو المهانة لعين من يرنو إليهم

بوجوه تعشى السيوف ضياء وسيوف تغشى الشموس وقودا
فى مقام تخر فى ضنكه البيـ ـض على البيض ركعاً وسجودا

وشاهد جميع التتار هذه الحال فحاروا ولبثوا ريثما تضحى النهار لا يستطيعون الفرار ولا يجدون سبيلا إلى المطار . فعند ذلك فرجت لهم العساكر فرجة فيما بينهم من رأس الميسرة ، فتهافتوا تهافت الفراش إلى النار وتسللوا منها يولون الأدبار ، فنزلت منهم فرقة مقدمها جوبان فى زهاء ثلاثين ألفاً وتلاهم قطلواشاه بفرقة ثانية نحواً من ذلك وتبعتهم الفرقة الثالثة مع طيطق . فلما صاروا بين يدينا ركبنا أكتافهم وفرقنا آلافهم وأخذت العساكر تعلوهم بالسيوف وتقتل ألوفاً بعد ألوف ، وطربت المسامع لوقع الحسام وتفصلت عن عراها الهام ، وبقوا كذلك سحابة ذلك اليوم ، فلم ينج أحد من القوم إلا شريد / نجا به برذونه هالكاً من الظماء ومتسربلا رداء الظلماء . : / ٨٠ أ

مضوا تتسابق الأعضاء فيهم لأرؤسهم بأرجلهم عثـار
إذا فات السيوف تناولتهم بأسياف من العطش القفـار
تولوا حين لم يجدوا قراراً فلاذوا بالفـرار وما الفرار
بمنجيهم من الأسياف يوماً ولكن فيه نالهم الدمـار

وتمت النصرة وحقت على الأعداء الكسرة وكان الذين استشهدوا فى هذه الوقعة من أمراء الميمنة الذين صبروا للصدمة الأولى وصاروا إلى جنة الرضوان وهم بها أولى وهم : حسام الدين أستاذ دار والمبارز بن قرمان وعلاء الدين بن الجاكى وسنقر الكافرى وأيدمر الشمسى وجمال الدين أقوش الشمسى الحاجب وعز الدين أيدمر الرفا وسيف الدين بلبان الدكاجوكى وعز الدين أيدمر النقيب وعلاء الدين ابن دزا والحسام بن باخل ، ونحوا من ألف فارس من أجناد الأمراء وغيرهم ، وبات المسلمون ليلتهم الثانية مستبشرين بالنصر المتاح حتى هتف داعى الصباح . فلما كان صبيحة الاثنين الرابع من شهر الصيام ، جهز السلطان خيل الطلب وراء العدو ونظفت من وجدت منهم فبادوا قتلى وأسرى وأخذوا فى كل أوب قسرا وصاروا حديثاً فى الأمصار

وعبرة لأولى الأبصار ، وتلا عليهم لسان السيف ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ﴾[1]
وتطهرت ديار الإسلام من الأدناس وتلا سلطاننا الناصر ذلك من فضل الله
٨٠ب/ علينا وعلى الناس . / وأمست الوحوش فى أشلائهم تحوش ، والطيور فى
أجسادهم تمور . ثم رحل السلطان يوم الاثنين الرابع من شهر رمضان المعظم
من مكان النصر إلى الكسوة وبقاعه تثنى على مواقفه وتعرف بعرف عوارفه ،
ودمشق قد أخذت زخرفها وازينت ومحاسنها للنواظر قد تبينت وجدرها تكاد
تسعى إلى خدمة سلطانها لتشكر ما أولاها من صيانة أوطانها ، فدخلها يوم
الثلاثاء خامس الشهر والملائكة تحييه بإكرام وتتلو عليه وعلى أنصار الإسلام :
﴿ ادخلوها بسلام ﴾[2] فى موكب يزهو على المواكب ونظام يسمو على
الكواكب وقد تاهت الدنيا عجبا وشغفت الخلائق به حباً وأعجبوا بنضارة
ملكه الذى ﴿ لقاهم نضرة وسروراً ﴾[3] وأباد أعداءهم الذين وعدهم الشيطان
غروراً وعادت مآتمهم أعراساً وبدلت وحشتهم إيناساً والأشجار تمايل كالغيد
والأطيار تتراسل بالتغريد ، والعالم يقولون إن هذا الشهر سعيد جاء فى أوله
عيد وفى آخره العيد . ووصل الميدان الأخضر فى اليوم الأبيض يخفق على
رأسه اللواء الأصفر ، فطلع القصر الأبلق وقد حكم الموت الأحمر فى العدو
الأزرق . وسارت البرد إلى الآفاق وخفقت أجنحة أطيار البشائر آمنة من
الإخفاق وتضاعف الشكر لله على إتمام هذه النعمة وكشف تلك الغمة وعاد
بالأمن إلى الأجفان طيب الوسن وقال المسلمون ﴿ الحمد لله الذى أذهب عنا
٨١أ/ الحزن ﴾[4] . وأقام السلطان بدمشق / إلى أن انقضى صيامه المقبول وعيد
عيد الفطر فى بشر مسفر ونصر موصول وأسبغ من عطاياه ما أربى على عدد
أمواج البحر وتضاعفت له المسرات فى هذا الشهر واجتمع فيه ما لم يسمح
بمثله الدهر ، فآخره عيد الفطر وأوله عيد النحر . ورحل عنها فى يوم الثلاثاء
الثالث من شوال ، وبالرغم منها أن تفارقه أو يبعد عنها محياه الذى أنار مغارب

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ١٦ .
(٢) سورة الحجر ، الآية ٤٦ .
(٣) سورة الإنسان ، الآية ١١ .
(٤) سورة فاطر ، الآية ٣٤ .

الملك ومشارفه . فسار وأغصان الرياض تحسد سناجقه وأوراق الدوح تغبط خوافقه وزهر الحدائق يتمنى لو كان لجياده جلالا ليكتسب نضرة وجلالا والقصر يود لو كان بدل الخيام ليكون مقاماً لتشريف المقام ، ومصر قد بعثت إليه مع النسيم رسائل وبذلت فى تعجيل عوده إليها جعائل وكرسيه بها لو أمكنه السعي لسعى من شوقه إليه وشافه مهنئاً بالنعمة التى أتمها الله عليه فلباها إذ دعت وأعمل جياده إليها فأسرعت وسار إليها سير القمر فى منازل سعده وأقبل إليها بعساكره وجنده فوصلها وقد زفت عروساً فى أبهى الحلل وزينت زينة فاقت فى التفصيل والجمل وأمست روضة ثمارها الدرر وفلكا فى كل ناحية من وجهها قمر ونزل بظاهرها ليلة الاثنين الثالث والعشرين من شوال ثم ركب صبيحة النهار المذكور فى موكب حف به الظفر وأضحى حديثاً طيبـــاً للبشر ودخـل المدينـة المحروسة والرعايا قد أصبحو له مبتهلين والبرايا (١) أضحوا بإيالته مطمئنين وألسنة النصر تتلو / عليه ﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ (٢) ، وقد أظلته سماء أديمها الحرير ونجومها الذهب وبسطت له أرض من استبرق منظره عجب ، فشاهد من زينتها جنات دانية القطوف وقصوراً دون بهجتها قصر كل قصر موصوف ، وبروجاً تتمنى النجوم أن تضاهيها سناء وسنا ، وقبابا شيدت وزينت بناء حسناً ، وأواوين دونها إيوان كسرى ، وعقوداً إذا شاهدتها العيون رجعت وهى حسرى ، وأشجاراً ناظرة لم يسقها صوب الغمام ، وأزهاراً يانعة ما برزت من الأكمام وأطياراً مخلقة ليست من نوع الحمام ، وسفنا مرفوعة نحو السماء . ومن عادة السفائن كونها فى الماء ، وأشكالا موضوعة كهيئة العدو المخذول تظن مزاجها حقيقة يلعب بالعقول وفرساناً ملبسة الجياد إلا أنها من الجماد وأنواعاً من الطرائف ينفد الوصف وما لها من نفاد . والأسارى من التتار وطوائف الكفار يحملون أعلامهم على أعناقهم ويساقون بين يديه إلى سياقهم ويعاينون ما يدهش الأبصار ويشاهدون من هذه الغرائب مالا رأوا مثله فى سائر الأمصار وهو يسير الهوينا وينظر هذا السرور الذى أقر له وللإسلام عينا ووصـــل ٨١/ب

(١) جمع برية ، وهم الخلق .

(٢) سورة يوسف ، الآية ٩٩ .

تربة والده الشهيد قدس الله روحه ، فدخلها وزار ضريحه وصلى عنده وقص عنده أحسن القصص وأسهم له من بركة جهاده أوفر الحصص ، فلو استطاع رحمه الله أن ينطق لقال : هذا الولد البار والملك الذى خلفنى بالمجد والسؤدد
٨٢ أ / والفخار / وكسر عن الإسلام شوكة التتار وأخذ الثأر حقاً وكشف العار . وطلع إلى قلعته ظافراً بما نال من القصد مستغنياً بسعادة طالع طلعته عن الرصد وخدمته المداح بأنواع من القصائد يذكرون هذا الثناء ويعلنون بهذا الهناء . وها أنا أورد منها شيئاً هنا مما يستحسن إيراده ويستعذب إنشاده : شعر [١]

لقد تمت النعمى وضوعفت البشرى
وأظهر هذا الفتح فى الأوجه البشرا
هناء هناء أيها الناس فالهدى
علا الشرك والإيمان قد غلب الكفرا
ولما غزا غازان عقر ديارنا
وأعطاه من يعطى ومن يمنع النصرا
تمرد طغياناً وتاه تجبرا
ولم يستبن نصحاً ولم يستفق سكرا
وعاودنا بغيا وللبغى مصرع
فشاهد من إقدامنا الآية الكبرى
وأنصفت الأيام فى الحكم بيننا
فكانت له الأولى وكانت لنا الأخرى
وجاءت جيوش المغل كالرمل كثرة
وقد ملأت سهل البسيطة والوعرا
وأقبل سلطان الزمان محمد
يقود القباق الجرد والعسكر المجرا
وكان نهار السبت بالنصر شاهداً
صدوقاً وكان الوقت قد أرحم العصرا

(١) انظر هذه القصيدة فى Zetterstéen, op. cit, p. 123.

فكرت وكـر المسلمون فلا تسـل
لدى الروع عن بحر عن بحر غدا صارماً بحرا
ومد سواد النقع ليـلا فأطلعت
ذبال القنى فى كل داجيـة فجـرا
فلله در الترك كم سفكت دمـا
وكم فلقت رأساً وكم طعنت نحـرا
وكم طعنت بالسمر حتى تقصـفت
وكم ضاربت بالبيض حتى انثنت حسرى
أمالـوا عروش الـكافرين وكافحـوا
عن الدين يرجون المثـابة والأجـرا
/ فذلت وكان العـز ملء رؤوسهـا /ب٨٢
وقـد أوطأتها الترك من بأسها جمرا
وولت ولاذت بالجبـال تحصنـاً
ولـولا تخـاف القتل لاختارت الأسرا
فحمـداً لمـن أعلا منـار نبيـه
وشكراً لسلطان أباد العـدى قسـرا
أجـل الملوك الناصر بن قـلاوون
وأبركهم وجهـاً وأرحبهم صـدراً
لقـد خلف المنصور هدياً وهيبة
ومنقبـة طولى ومنقبـة بكـرا
ولا زالت الأقـدار طـوع مراده
ولا زال يعلـو فوق هام السهى قدرا

قال آخـر [١]

وافى على قدر ما تختـاره القـدر
وجاء عمـا جنـاه الدهـر يعتـذر

---

(١) Ibid, p. 121.

وإن آساءت لياليه التى سلفت
ظلماً فقد أحسنت أيامه الأخر
وبعد إدراكك الثارات منتصراً
فكل ذنب جناه قبل مغتفر
فتح على جبهة الأيام أسعده
بالجد والسعد والتأييد مستطر
ما شاهد الناس فتحاً مثله أبداً
إلا فتوحاً تولى أمرها عمر
إن البغاة بنى قاقان أقدمهم
على هلاكهم الطغيان والأشر
غرتهم فلتة فى الدهر عن غلط
منه فحلت بهم من بعدها الغير
وأملوا أنها مثل التى ذهبت
فغودروا ودماهم فى الفلا غدر
قابلتهم بجيوش ما لهم قبل
ببأسها فلقد قلوا وإن كثروا
يا وقعة المرج مرج الصفر افتخرت
بك الوقائع فى الآفاق والعصر
يوم تدارك جمع المسلمين به
من لم [يزل] فى يديه النفع والضرر
قرت به أعين الإسلام وابتهجت
به القلوب وكادت فيه تنفطر
٨٣ أ / بالسيد الناصر المنصور جحفله
زهت برونقها الآصال والبكر
هزت معاطفها الدنيا به فرحاً
فطاب بالأمن فى أيامه العمر

يا من به راقت الأيام وابتسمت
بعـــد العبوس فما فى صفوها كدر
لا زال ملكك ملـــكاً لانفـــاد لـــه
ما شق شقة جلبـــاب الدجى سحـــر

وفيها فى يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى الحجة حدثت زلزلة عظيمة بكرة النهار بغتة بالقاهرة ومصر والديار المصرية ، وكان أعظم تأثيرها بثغر الإسكندرية فإنها هدمت أربعين بدنة من أسواره وكثيراً من أبراجه وهاج البحر الملح الأجاج وتغطط بالأمواج وتساقطت أركان المنار وأيقن أهلها بالهلكة ذلك النهار وخرجوا من باب السدرة خيفة الدمار إلا أن الله تعالى قصر مدتها وخفف شدتها ولم تدم إلا بعض ساعة ، فلو بقيت أكثر من ذلك لم يبق لكثير من البنيات أثر ولهلك كثير من البشر . ومما قيل من الأبيات التى تتضمن وصف أحوالها وذكر أهوالها هذه الأبيات [1] :

ما بال أرضكم البسيطة ما لها — قد زلزلت عند الضحى زلزالها
أهوى لها بنيـــان كل مشيد — وارتاع ذعراً من رأى أهوالها
ولقـــد خرجنا هاربين من الردى — إذ قيل عنها أخرجت أثقالهـــا
ما ذاك إلا ربنـــا فيهـــا الذى — أمر الزواجر فى الورى أوحى لها
خشعت لغرته المساجد سجـــدا — وكذا المآذن للركوع أمالهـــا
وتصدعت أرض لعـــزة أمره — وغزا الرجيف جبالهـــا ورمالهـــا
/ لولا شفاعة أحمد خير الورى — فيها لقطع ربنـــا أوصـــالها /٨٣ب

قال الراوى : وبرزت المراسم الشريفة السلطانية بتوجهى إلى ثغر الإسكندرية لمباشرة أسواره وخنادقه وعمارة ما تساقط من مبانيه ومرافقه ، وكان الناس يستعظمون أمره ويقولون فى نفوسهم إنه ما يتهيأ عمارته عامين ولا يكفيه ألوف من العين . فيسر الله تعالى مرامه وعمر فى أقرب مـــدة بأيسر مؤونة وأقل نفقة بسعادة مولانا السلطان الذى سهل الله له العسير وأجرى بما يختاره المقادير .

(١) وردت نفس الأبيات فى ابن الوردى ، المرجع السابق ، ٢/٣٦٠ .

ودخلت سنة ثلاث وسبعمائة :

فيها هلك قازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار ، واستقر أخوه خربندا فى السلطنة بعده ، وكان سبب هلاكه مع انقضاء أجله ما جرى على عساكره من الكسرة التى عفت آثارهم وقطعت أعمارهم وأذاقتهم مرارة الإذلال وأنكت فيهم نكاية باقية بقاء الأيام والليال ، فازداد هما ومرض بحمى فكان الحمام بها محموماً مقروناً ولم تجد لها شفاء ولا منها سكونا ،وكانت فى الثالث عشر من شوال بعد الوقعة بأربعين يوماً . فلله درّها من نصـــرة تسلطت فيها السيوف وانبسطت بها فى الأعداء يد الحتوف وفعلت فعلها فيهم البواتر وأثرت آثارها فى الغائب منهم كما أثرت فى الحاضر ، فلم يسمع بوقعة ظهرت لها هذه الآثار ولا سطرت عنها هذه الأخبار . وفى هذه السنة ،
٨٤ أ / / أخرج الشريفان رميثة وحميضة ولدا أبى نمى من الاعتقال وأعيدا إلى مكة شرف الله قدرها وحضر أخواهما عطيفة وأبو الغيث إلى الباب . وفيها وقع ببلاد قاقون وأعمالها جراد طبق الأفق وقلق له الخلق ثم ذهب ولم يؤذ شيئاً من الزرع ولا من الغرق . وفيها شن عسكر حلب الغارة على بلاد الأرمن ثم جرد الأمير بدر الدين أمير سلاح والأمير علم الدين الصوابى والأمير شمس الدين سنقرشاه ومضافوهم إلى الشام ، فأقام الأمير بدر الدين أمير سلاح بحلب ودخل العسكر وبقية الأمراء إلى سيس فأغاروا وغنموا ما شاءوا ونهبوا ما أصابوا وعادوا سالمين . وفيها نقل ناصر الدين محمد الشيخى والى الجيزة إلى الوزارة عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك البغدادى ، فأحدث رسوماً جائرة وحوادث ظاهرة ، ولم يراقب الله فى خلائقه ولا خاف عواقب الظلم

وبوائقه وابتغى رضا الناس ، فأذاقه الله طعم البأس ، ولم يلبث إلا قليلا حتى نكب واتصلت نكبته بمنيته . ولله القائل : شعر

إذا ما وليت أمور العباد فكن ذاكراً هول يوم المعاد
فإن المظالم يوم المعاد لمن قد تزودها شر زاد

وفيها وفد إلى الأبواب الشريفة الأمير سيف الدين جنكلي بن البابا وهو من أمراء التتار إلا أنه عريق فى الإسلام ، فأحسن السلطان قبوله وبلغه سؤله وأمره بطبلخاناه وأعطاه مائة فارس وأجراه / على المعهود من إحسانه إلى /٨٤ب
الوفود لأبوابه . وفى هذا العام شملنى الإنعام ورشحتنى الصدقات العميمة بحمل الشتر [1] السلطانى فى المواكب الشريفة ، فشكرت نعمته التى أحلتنى هذا المحل ، وأيادى بره التى غمرتنى منه ومن أبيه من قبل . شعر

أياد تعيد العبد مالك نفسه على أنها قد صيرتنى لها عبداً
سأشكرها شكر الثرى وابل الندى وأذكرها تذكار أهل الحمى نجدا

وفيها كملت المدرسة الناصرية بين القصرين بالقاهرة المحروسة وأجريت وقوفها ورتب نظامها فى هذه السنة وجاءت من حسناته المستحسنة .

---

(١) أى « الجتر » .

ودخلت سنة أربع وسبعمائة :

فيها وصل رسل الأبواب الشريفة من عند خربندا ملك التتار وهما الأمير حسام الدين أزدمر المجيرى والقاضى عماد الدين ابن السكرى ، وقد ذكرنا أنهما كانا معوقين عند قازان منذ أرسلهما إليه السلطان ، فلما اتفق هلاكه وتملك أخوه خربندا مكانه ، أطلق سبيلهما وأحسن إليهما ، فقدما إلى الأبواب الشريفة السلطانية ووصل معهما رسول من جهته برسالة مشتملة على ذكر المصالحة وابتغاء المسالمة وتقرير المودة وإبداء المحبة ، فأكرم مثوى الرسول وأعيد عليه الجواب بالقبول وأصحب برسل من الأبواب الشريفة . وفيها أجدبت الأغوار وما يليها جدباً أجلى عنها ساكنها حتى يقال إن بعض الضياع
٨٥ أ / لم يوجد فيها ماء لمشرب أهلها ، فانتزحوا / عنها لشدة محلها . وفيها وصل رسول أبي يعقوب المريني صاحب الغرب بهدية إلى الباب الشريف ، ووصل معه ركب من المغاربة لقصد الحج ، فحجوا وعادوا ورجعوا آمنين كما أرادوا . وفيها وصل ملك دنقلة باذلا للطاعة وقائماً بالقطيعة [١] وسأل تجريد عسكر يفتح به البلاد على اسم السلطان وحرمته ، فأجيب إلى مسائلته وجرد معه عسكراً لإعانته رعاية لطاعته .

(١) أى الأتاوة المفروضة ، انظر Dozy, Suppl. II, p. 373.

ودخلت سنة خمس وسبعمائة :

فيها أعيد رسول الغرب بالإكرام وجزيل الإنعـــام وسفر إليه الأمير علاء الدين ايدغدى التليلي وعلاء الدين ايدغدى الخوارزمى وسير معهم ما يليق من الهدايا والتحف وخمسة عشر نفرا من أسارى التتار المأخوذين من وقعة مرج الصفر وخمسة مماليك تركا . وفيها جرد الأمير شمس الدين قراسنقر نائب السلطنة بحلب وعسكرا للإغارة على سيس لأن متملكها أخر المال المقرر عليه وسولت نفسه أن الأمر فيه إليه ، فأراد أن يقابله بما ينبهه من غفلاته ويحركه من سكناته ، وكان فى العسكر المجرد إليه جماعة منهم قشتمر الشمسى واقسنقر الفارسى وفتح الدين بن صبرة المهمندار وقشتمر النجيبى وقشتمر المظفرى ، فشنوا الغارة ، فعلموا بهم التتار الذين هناك ، فكمنوا لهم فى الطريق . فلما عادوا مطمئنين ببلوغ قصدهم نزلوا فى أثناء الطريق ، فخرج عليهم الكمين ، فقاتلوهم فقتل من المسلمين جماعة / من الخيالة والرجالة وأسر هؤلاء الأمراء الثلاثة /٨٥ب وأرسلوا إلى الأردوا . وعاد قشتمر مملوك قراسنقر ومن معه إلى حلب . ولما اتفقت هذه الواقعة أيقن صاحب سيس أنها لعمره قاطعة ، وعلم أنه مطلوب بهذه الجناية ومأخوذ بها فى البداية والنهاية . فراسل الأمير شمس الدين يسأله الرضى والعفو عما مضى وأن يحمل ما عليه من المال ويسوق ما جرت به العادة من الخيل والبغال . فوردت مطالعة إلى الأبواب الشريفة بذلك فلم يقنع منـــه بما بذل ولم يجب إلى ما سأل إلا بشرط مضاعفة الحمول وإطلاق أسارى المسلمين الذى عنده من الكبول [١] ، ورسم بتجريد طائفة من العساكر المنصورة لإرهابه وإرهاقه وتضييق خناقه ، فجرد الأمير بدر الدين أمير سلاح

(١) أى الأغلال .

وأنا معه متحدثاً فى التجريد مخاطباً للبريد والأمير جمال الدين الموصلى قتال السبع والأمير شمس الدين الدكز السلاحدار ، ومن أمراء الطلبخاناه وأصحاب العشرات والحلقة المنصورة زهاء من أربعة آلاف فارس ، فسرنا إلى غزة وأقمنا بها منتظرين ما يرسم لنا به وأرسل الأمير شمس الدين قراسنقر إليه يعلمه بأن الجيوش المنصورة قد جاءت لقصده وأقبلت لفل حده وأنه إن بادر بالإنابة وسارع بالقطيعة والإجابة فالسؤال يقع فى إعفائه من طريق الجيوش ببلاده واستلامها طارفه وتلاده ، وإن تأخر وتعذر فالجواب ما يراه لا ما
٨٦ أ/ يقرأه والخطاب بأسنة / السهام لا بلسان الأقلام . فبادر لوقته إلى الامتثال وعجل حمل المال ، فحصل الغناء عن العناء وعادت العساكر من غزة فوصلت أول ذى الحجة . وفيها استعفى الأمير بدر الدين أمير سلاح من الخدمة لكبر سنه وعجز قدرته ، فأعفى ولزم بيته ، فلم يلبث إلا شهوراً قلائل حتى دنا حمامه وانقضت أيامه . وفيها غيث الشام وجاده الغمام وتوالت الأمطار ورخصت الأسعار . وفيها وفد اثنان من إخوة سلار وهما جبا وداوود ، فأحسن السلطان إليهما وخلع عليهما وأعطاهما إمرة وجاءتهم السعادة مدة وحلت عيشتهما وكانت مرة . وفيها هلك قطلواشاه نائب قازان بجبال كيلان [(١)] لأنه جرد لقتالهم ، فقصدهم فى جبالهم ، فلقوه برجالهم وقاتلوه فسكروه وقتلوه وعلت كلمة التوحيد وتبدد الكفار شر تبديد . وفيها حصل الاهتمام بتمهيد الجبال من مفسدى الرجال ، وذلك أنهم كانوا فى نوبة قازان التى ذكرناها قد تعرضوا إلى فلال العساكر المنصورة ونهبوا جماعة منهم عند عبورهم عليهم ، فكانوا أشد نكاية من التتار ونال المسلمين منهم أبلغ الضرر ، فمنهم من استلبوا ماله وقماشه وتركوه ملقى عريان ، ومنهم من أخذوا مركوبه وزاده وصرفوه راجلا غرثان ، ومنهم من غالوا نفقته التى يرتفق بها وأهلكوه بالحرمان ، وربما آذوا أشخاصاً فى نفوسهم لما تمادى بهم الطغيان . فلما تفرغت لهم الخواطر جهزت إليهم العساكر من دمشق وحمص والحصون
٨٦ب/ / توجه إليهم جمال الدين أقوش الأفرم نائب دمشق وجماعة من الأمراء ،

---

(١) راجع أبو الفدا ، تقويم البلدان ، ص ٤٢٦ .

فأحاط بجبالهم من جميع الجوانب وضايقهم بمن معه من المقانب وزحف العسكر عليهم وارتقت الرجالة إليهم . فأخذوا بالنواصى واستنزلوا من الصياصى وقتل منهم جماعة وسبيت ذراريهم ونسوانهم . وخربت محاميهم وأوطانهم وصار أكابرهم من المعاقل إلى العقال ومن الجبال إلى الوبال جزاء بما قدمت أيديهم من الجرائم وارتكبوه مع العساكر من العظائم ورتب عوضاً عنهم أقوام من التركمان ، وشملت الصبابة [1] التى بقيت منهم الأمان .

(١) أى البقية اليسيرة .

ودخلت سنة ست وسبعمائة :

فيها وجد الركن الجاشنكير على علم الدين الجاولى أستاذ الدار موجدة عظيمة وسعى عنده به أهل النميمة ، فقلب له ظهر المجن وتنكر وتغير عليه وتكدر وأمر بعض الكتبة بمحاققته على ماكان من مباشرته ، فمشوا مع هواه وإشارته ولفقوا فصولا لا تتعلق بوظيفته ، فعزله عندها وطالبه بالجمول وأحمله كل الحمول واعتقله أياماً قلائل ، فكثرت فيه الوسائل ، فأقصر عن أذيته بشرط إخراجه من الديار المصرية بالعناية السلطانية ، فأخرج إلى الشام وبقى بها إلى أن عاد على أحسن نظام كما سنذكره . وفيها عزل سعد الدين ابن عطايا عن الوزارة واستوزر ضياء الدين النشائى . وفيها عادت رسل
٨٧ أ / الأبواب الشريفة من عند طقطا / ملك التتار وهما سيف الدين بلبان الحكيمى وفخر الدين اياز الشمسى ووصل معه رسول من جهته اسمه نامون ، فأكرم على عادة أمثاله ووفرت مادة إقاماته وإنزاله . وفى هذه السنة قتل أبو يعقوب المرينى صاحب مراكش وهو محاصر تلمسان ، واستقر ولده أبو سالم بعده شيئاً يسيراً ثم قتل واستقر ابن ابنه أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يعقوب المرينى .

ودخلت سنة سبع وسبعمائة :

فيها عرضت الوحشة بين السلطان وبين سيف الدين سلار والركن أستاذ الدار بأمور كانت توغر صدره وأفعال منهما ما زالت تشغل سره لأنهما استبدا بالأمور وحكما فى الشام والثغور واحتجنا لهما ولألزامهما الأموال والمتاجر ، والإقطاعات والعمائر والهدايا والذخائر . ولم يبق للسلطان نظام يعرف ولا حد عنده توقف ، والسلطان يقضى صابراً على القذى ويمضى فى احتماله للأذى . وكلما انتظر منهما رجوعاً إلى الصواب أو جنوحاً إلى منهج الآداب ازدادا تمادياً فى التحكم والإصرار على التهكم . فلما كان فى أول محرم من هذه السنة بلغه ماشوش عليه واتصل به أنهم يقصدون إبعاد ألزامه القريبين إليه . فقال إذا انتهى الحال إلى هذا الأمر فلم يبق على مثله صبر ، وامتنع عن العلائم غيظاً وحنقاً وأسلهما بالعتاب ضجراً وقلقاً . وكان السفير بينه وبينهما الأمير سيف الدين بكتمر / أمير جندار وهو لجانب السلطان ٨٧/ب حافظ وعلى مصلحته محافظ ، فتوهما منه ونفرا عنه وقصدا إبعاده عن السلطان فاقتضت شفقة السلطان عليه موافقتهما على بعده بظاهره وهو متأثر لفراقه بضمائره . ثم حملوا سوء الرأى البعيد من الرشاد بالسداد على أن أوعزوا إلى بعض الأمراء بالركوب تلك الليلة فى سوق الخيل ، زعموا لحفظ باب الإسطبل ومنع من يخرج من جهة السلطان ، فركبت جماعة منهم أخو سلار بالعدة والتراكيش [1] وربما حصل من أحد المذكورين رماية نشاب إلى صوب

---

(١) جمع تركاش ، وهو لفظ فارسى الأصل ومعناه الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب .

الإسطبل . فأصبح السلطان وقد تزايد به القلق وتمكن منه الحنق إلا أنه اتخذ جأشاً ربيطاً ووجهاً بسيطاً وحلماً لم يكن لأحد مثله من ملوك الزمان ولا رؤى شبهه من الأحنف وابن أبى سفيان ، هذا مع سورة الشباب وأنفة الملك وعز السلطان ، فلم يظهر اكتراثاً ولا أبدى انبعاثاً بل كظم الغيظ حلماً وصبراً واحتسى كأس تجشم العناء وإن كان صبراً . وتوجه الأمير سيف الدين أمير جندار إلى الشام من فوره وكان لله به فى هذه الحركة من خفى الألطاف مالا تنتهى إليه الأوصاف ، وما اكتفى المذكوران بذلك حتى طالبا السلطان بإخراج أقوام من أعز خاصكيته وأقربهم إليه ظنوا أنهم غيروا قلبه عليهم ، فوافقهم على مرادهم وما وافقهم فى إبعادهم فأخرجوهم من القلعة وسيروهم إلى القدس بسرعة .

٨٨ أ / / قال الراوى : ولم أكن شاهد هذا الخطب عند حدوثه ، فوصلت من بعض نواحى الوجه البحرى ، فوجدت الحال كما لا أرضى والأمر قد أفضى إلى ما أفضى ، فساءتنى هذه الحركات الذميمة وشقت على هذه الأحوال غير المستقيمة ، واجتمعت بالقوم غد ذلك اليوم وقلت لهم : ما هذه الأمور التى لا ترضى الصدور ولأى سبب تغضبون مولانا السلطان وقد عاملكم بجزيل الإحسان وأنتم فى أيامه المالكون للحل والنقض والمستأثرون من أمر الممالك بالسنة والفرض ، وهو قد قنع بالبعض فلا تنابذوه فى البعض . قالوا : فماذا ترى ؟ قلت : أرى أن تعيدوا مماليكه إليه وكل منهم قد خلع عليه ليزول ما حصل عنده من الغيظ والنكد وتمشى الحال على السدد . فأضربوا عن مقالى ورمقوه بعين القالى . فكنت كما قال :

أمرتهم أمرى بمنعــرج اللوى   فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ثم استمرا على الاستبداد والاستغراق فى الاحتشاد حتى آل أمرهما إلى الفساد . وفى هذه السنة هبت ريح سموم عاصفة قريب وقت الحصاد فأفسدت زروع البلاد ، فهافت الغلة ورجعت كثرتها إلى القلة وجف الزرع بكل مكان وخف الضرع من كل حيوان لخبث النيات وفساد الطويات . وقد كان الناس مستبشرين بإقبال سنتهم وامتداد نيلهم وخصب زراعتهم ، فلم يفجأهم

إلا همودها وتلافها وهيفها وجفافها ، فكانوا كما قال الله عز وجل / فى كتابه ‎/٨٨ب
العزيز ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها آتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾(١) . وغلت الغلات لذلك فانتهى سعر القمح إلى خمسين درهماً الإردب ثم انحط قليلا قليلا . وفيها عاد الأمير بدر الدين صبرة من بلاد التتار وقد كان أخذ من بلد سيس أسيراً فى الغارة التى ذكرناها متقدماً وحمل إلى الأردوا ، فيسر الله انفلاته من أيديهم وعودته إلى الأبواب السلطانية ، فأحسن السلطان إليه وأعاد إمرته عليه . وفيها قتل هشوم بن قسطنطين صاحب سيس ببلده ، قتله مقدم من مقدمى التتار يسمى برلغى ، كان مجرداً بتلك البلاد بمانه . واتفق وصول شخص من مماليك الأمير شمس قراسنقر نائب حلب رسولا إلى صاحب سيس مطالباً له بالقطيعة التى جرت عادته بها إلى الأبواب السلطانية ، فشعر به برلغى فوثب على صاحب سيس فقتله وأخاً له اسمه على ناق ، واحتمل ايدغدى الشهرزورى المذكور وسار إلى الاردوا ، فتبعه أخو صاحب سيس واسمه ليفون ، ونساء أخويه المقتولين معه إلى الأردوا ووقفوا لخربندا
وأطلعوه على الصورة ، فانتصف لهم من خصمهم وأمر بقتله جزاء / بما ‎/ ٨٩أ
اعتدى ، فسقى كأس الردى . وأقر ليفون مكان أخيه الهالك وأعاده إلى هنالك وفيها عزم سيف الدين سلار على المسير بجيش كثيف إلى اليمن وقام هذا الأمر فى باله وتصور فى وهمه وسولت له نفسه أنه ينهض بمناله ، وتقرر أن كل مقدم ألف من الأمراء الكبار يجمع من ماله ومال مضافيه شيئاً معلوماً ويعمر مركباً كبيراً وقارباً صغيراً لحمل الزاد فى البحر وأن العسكر تسير بالخيل والهجن فى البر ، فشرع الناس فى تجهيز هذه المراكب وعمل ما معها من القوارب وابتياع الأخشاب بأغلى الأثمان واستنجاز الصناع بأنفس الأجر . وعلمت أن هذا الأمر مضرته أضعاف منفعته وكلفته أمثال عائدته ، وأن فيه

(١) سورة يونس ، الآية ٢٤ .

فساداً ظاهراً وتكليفاً حاضراً، ولم يكن هناك باعث يوجبه ويقتضيه، ولا كبير أمر يلجىء إلى الدخول فيه ، وأن تخلو البلاد من أعيان العساكر ويستنفد جل ما فى الذخائر لأمر يغنى فيه الكتب عن الكتائب والرسائل عن الذوابل ، ويترك الوجه الشرفى الذى يقدم بضبطه الاهتمام وتبدى أمره كل المهام .
واتفق المثول بين يدى مولانا السلطان للمشورة ، وكان أعز الله نصـــره ، كمن سلم إلى سلار ورفيقه حالهما ليفعلا ما أرادا ولم يحتز لهما عناداً . فذكرت ما عندى فى هذا الأمر وأبديت ما رأيته من النصح ، وتردد الحال فى ذلك
٨٩ب/ أياماً والهمة إليه مصروفة / والفائدة به غير ظاهرة ولا معروفة ، والخواطر نافرة من سماعه والعساكر ناكصة عن اتباعه . وانقضت هذه السنة .

ودخلت سنة ثمان وسبعمائة :

فيها وصلت الأخبار بحركة التتار فرسم بتجريد جماعة من العسكر إلى الشام بطريقة الحزم وإظهار الضبط والعزم . فجرد اثنان من مقدمى الألوف وهما جمال الدين أقوش الموصلى وشمس الدين الدكز السلاحدار وجماعة من أمراء الطبلخاناة وأصحاب العشرات ، فتأهبوا للسفر وتجهزوا على الأثر فوصلت الأخبار الثانية بعدم حركة العدو ، فاستقر الناس فى الهدو وتأخر التجريد وسكن القريب والبعيد وتأخرت حركة اليمن التى لم يكن لها سبب ولا ترتب عليها إلا إضاعة أموال الناس فى الخشب . وفيها وصلت طائفة من التتار النازلين مشاريق الفرات مغيرة إلى بلد كركر فخرج إليهم المسلمون من رجال القلعة وغيرهم ، فأوقعوا بهم وكبسوا عليهم وأخذوا خيولهم وأسروا بعضهم .

فَصْـــل

ذكر عزم مولانا السلطان أعز الله أنصاره على مفارقة الديار المصرية .

وقد ذكرنا أن مولانا السلطان أعز الله نصره سئمت نفسه الشريفة تغلب أولئك المتغلبين وتعصب من كان معهم من المتعصبين وخروجهم عن وضع المتأدبين . فلما كان فى هذه السنة ، خطر بباله أن يوفر خاطره من الإنكاد / ويريح فكره من ملابسة الأضداد ويتزحزح لهم عن الرتبة ويخلى ‏/ ٩٠ أ
بينهما وبين تلك العصبة إذ لم تكن المملكة عنده تساوى نكد الخاطر يوماً من الأيام ، فكيف إذا كان مستمراً على الدوام . فلما كان وقت الصيد خرج من القلعة إلى بلاد الجيزية وغيرها متصيداً وبقى فى الصيد متلذذاً ومترددا إلى أن كان العاشر من شعبان المكرم ، عاد إلى القلعة وقد نوى بضميره أنه لابد مسيره . وكان ذلك من صواب تدبيره ولطف الله به فى أموره ، فأظهر قصد الحجاز الشريف لقضاء المفترض وجعله سبباً لبلوغ الغرض لكيما يكون توجهه بسكون ولا يضطرب بسببه المسلمون ، وأمر بإعداد الرواحل والأزواد وتجهيز الأهبة التى يتعين لها الإعداد ، وسأله الأمراء فى تأخير الحركة ، فلم يصغ لسؤالهم ، وكرروا عليه الأقوال ، فلم يعبأ بأقوالهم . شعر :

إذا هم لم يردع عزيمة همه ولم يأت ما يأتى من الأمر هائباً
ولم يستشر فى أمره غير نفسه ولم يرض إلا قائم السيف صاحبا

قال الراوى : ولما قوى عزم السلطان قولا جزما على السفر وأمراً حتماً اتفق أن اجتمعنا يوماً من الأيام عند سيف الدين سلار والركن أستاذ الدار فى إيوان النيابة وأجرينا حديث السفر . وقالا : ربما يعزم على الإقامة بالكرك ،

فكيف يكون التدبير إن هو أقام وبأى صورة ينتظم النظام . فقلت لهما : إن
٩٠ب/ كان / قد صمم على ذلك واطلعتما عليه من باطنه ، فما دمتما على طاعته وحفظ بيعته فهو السلطان كيف كان وحيث كان ما يضره صغر المكان ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً بمدينة يثرب فى أرض الحجاز والعالمون فى طاعته والأنصار والمهاجرون والمسلمون على متابعته ومن بعده الإمامان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما ، لم يبرحاها ولا اتخذا مقراً سواها وعمالها فى العراقين وخراسان ومصر والمغرب والشام يؤدون إليهم الطاعة والمخافة ويحملون إليهما الأفياء على بعد المسافة ولم يتعذر عليهما أمر من أمور الخلافة . فلو فرضنا ما ذكرتماه من تصميمه على إقامته بالكرك وأنتما معه على الأمر المتفق والرأى المشترك والمنابر مشرفة بخطبته والعساكر محافظة على طاعته ، لم يتغير النظام ولا انقسم الالتيام . وانقضى بيننا الخطاب فى هذا الباب . فلما كان فى شهر رمضان صمم السلطان على الحركة وكان مقروناً بالتأييد والبركة ، فجمع الأمراء فى الخامس عشر منه بين يديه وأوصاهم بالاتفاق وعدم الشقاق وملازمة الخدمة مدة الغيبة ، فأجبنا جميعاً بالامتثال والسمع والطاعة لما قال ، فلله دره من ملك أوتى الهدى والتوفيق وأعجز فكره كل هم دقيق . واهتم الأمراء بتقديم الهجن السابقة والنجائب الفائقة بالعدة الرائقة ، فجبر قلوبهم بقبولها وشرف نوابهم ومماليكهم جميعاً عند تقدمتها
٩١أ/ فمن قدم / هجيناً شرف تشريفاً ثميناً ، ولم يزل فى ضمن ذلك يحسن ويتلطف ويحنو ويتعطف ، ولا يذكر شيئاً غير قصد الحجاز ولا يتبين ذلك إلا أنه حقيقة لا مجاز ، وعين الأمراء الذين يسيرون فى صحبته ، فكل أخذ فى إعداد أهبته وهم الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى لأنه كان أستاذ الدار وعليه المـــدار فى الأسفار والأمير حسام الدين قرالاجين أمير مجلس والأمير سيف الدين الملك الجوكندار والأمير سيف الدين بلبان المحمدى أمير جندار والأمير عز الدين أيبك الرومى والأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى وسيف الدين طقطاى الساقى وعلم الدين سنجر الجمقدار وزين الدين مبارك أمـــيراخور وشمس الدين سنقر السعدى النقيب وبعض المماليك السلطانية والخدام والغلمان والحاشية والألزام واتفق هذا العزم والنفوس متألمة لفراقه والقلوب متصدعة

لانطلاقه . ولما كان سحر السبت المبارك الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ثمان وسبعمائة تقرر ركوبه من القلعة المحروسة ، فركبت الأمراء الأكابر وأعيان العساكر وخرج السلطان أعز الله نصره فى أقسام الساعة الأولة من النهار المذكور لابساً قباء من الصوف يروم تلك الصفوف ، فودعاه والعيون دانية الغروب والشجون نامية فى القلوب والأكباد متحرقة لتوديعه والأنفس متحسرة لمرارة فرقته وتشييعه ، وسار حتى نزل الصالحية ليلة عيد القطر ، فما استتم / أكل طعامه حتى أمر بتقويض خيامه وسار منها إلى الكرك /٩١ب
فى البرية على الطريق المعروفة بالبدرية ، فوصلها فى يوم الأحد العاشر من شوال سنة ثمان وسبعمائة وطلع القلعة فى يوم المذكور والناس يظنون أنه منها يسير إلى الحجاز ويعتقدون من حقيقة الحركة ما كان على طريقة المجاز ولم يعلموا ما اشتملت عليه ضمائره ولا أدركو ما انطوت عليه سرائره . فكان كل يخبط فى عشواء ويرجم الظنون والآراء وهو ، أعز الله نصره ، كاتم سره مالك أمره متئد فى تدبيره مهتد إلى الإصابة فى تقديره ، له من الله تعالى عناية مبصرة بالصواب ، معينة على ما يبرمه من أواخى الأسباب ، فهو كما قيل : شعر

خفى مدب الكيد لا يستشفه	لبيب ولا يفضى إليه مخادع
ولو سد عن علم المقادير كائن	لما درت الأقدار ما هو صانع
طلوب لغايات المكارم مجمع	على الهم ثبت الرأى يقظان جامع
يلاحظ أعقاب الأمور كأنما	بداأبهه دون الغيوب طلائع

واهتم الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب السلطنة بها اهتماماً يليق بذلك المقام وهيأ خواناً عظيماً من أفاخر أنواع الطعام وخرج للقاء مولانا ومخدومنا السلطان فرحاً وبادر إلى استقباله منشرحاً . فلما وصل إلى القلعة وسلك على الجسر الخشب الممتد فوق خندقها وقد ترجلت الأمراء والمماليك على / عادة الخدمة الشريفة ، ومشوا بين يديه ومن خلفه وإلى جانبه ، وإذا /٩٢أ
بالجسر المذكور قد خشعت أخشابه لقدم الزمان وخشعت هيبة لمواطىء السلطان ، فلما تقدمت يدا فرسه بحيث صارتا على السفح ورواحه بعد على حافة الجسر فى أقرب من اللمح ، انكسر تحت أرجل الجماعة وتردت عامتهم

فى تلكم الساعة ، فتساقطوا فى الخندق متهافتين وتهاووا مترادفين ولم يصل منهم سوى شخص واحد دنت منيته وانقضت مدته ، وآخر تصدعت أعضاؤه وتتعتعت أوصاله ، فبقى مدة بعد العود إلى المدينة ومات ، وسائر الساقطين سلموا وما تأثروا ولا ألموا ، وسلم الله تعالى مولانا السلطان سلامة عجيبة حتى كأن الملائكة احتملت جواده على أجنحتها أو يد القدرة الإلهية ضبطته بقدرتها وعصمته وما زال يعصمه من الزلل وصانه ، وما برح يصونه من الخلل ووقاه بعنايته ، وقايةً حقق بها سبحانه الأمل : شعر

لم يثبت الجسر لما مر صافنه	عليه بل خر إجلالا لهيبته
فجال فى الحال طرف الطرف مستبقاً	حتى النجاة به من بين عصبته
فصانه سعده واللطف حارسه	وقدر الله خيراً فى سلامته
فدام فى نعمة تبقى مؤيدة	وخلدت أبد الأيام دولته

إلا أنه ساءه ذلك التشويش الذى عرض ، فانزعج لحدوثه وانقبض . وحين
٩٢ب/ حصل فى القلعة لم يجلس للخوان بل أخذته الحاشية / والغلمان وأبدى إذ ذاك ذات نفسه ، وأظهر فى يومه ما كان مخفياً فى أمسه ، وقال للذين معه : إننى إنما أردت الراحة من الإتعاب والإقامة بحصن الغراب ، وقد انثنى العزم عن الحج فى هذا العام إلى وقت آخر . وأفاض على الأمير جمال الدين المشار إليه خلعه ، وأمره بالخروج من القلعة ، فخرج هو ومن كان بها من المذكورين والبحرية المجردين والرجالة أجمعين . واستقر فيها السلطان بمماليكه الأقربين ، وكان قد سفّر حريمه وأدره الكريمة مع الركب المصرى جمال الدين خضر بن نكيه ، فاستدعاهم من العقبة إلى الكرك ، فساروا إليهما واجتمعوا عنده جميعاً فيها وتقدم إلى الأمراء الذين توجهوا صحبته بالعود إلى الديار المصرية . فعادوا قوماً بعد قوم ، وكان أول من وصل منهم الملك الجوكندار وبيبرس الأحمدى ومبارك أمير أخور ، وصلوا فى الثالث والعشرين من شوال واجتمعوا بسلار والركن أستاذ الدار وأحضروا كتاباً ذكروا أنه من عند السلطان بالتنصل من السلطنة وابتعاده عن المملكة ، والاقتناع بالمكان الذى هو فيه . فركبنا (. . .) التسيير على العادة ، فقال المذكوران لبقية الأمراء :

إن هؤلاء الثلاثة قد جاءوا من عند السلطان وذكروا عنه أنه كره هـذه الأوطان وصمم الاستقرار بذلك المكان . فقلت لهما مجيباً : الواجب أن تراسلوه وتراجعوه وتستعطفوه / وتلاطفوه إلى أن يذعن الإجابة والعودة وتوجهوا / ٩٣ أ
إليه من كبراء الأمراء من يبلغه هذه الرسالة . فقالا : متى حصلت المراجعة والمفاوضة يخشى من عبث الجمهور والاضطراب فى الأمور ، ونحن نجتمع فى القلعة وقت الظهيرة وننظر فى هذه المشورة . فشممت الأنفاس التى سرت منهما وقطعت الجواب عنهما ، ورجع كل إلى منزله . فلما كان الوقت المقرر والساعة التى يجتمعون فيها لضرب المشور ، اجتمع الأمراء بدار النائب [حسب] طبقاتهم وجلسوا فى الإيوان على درجاتهم ، وجلس سلار وبيبرس وأجريا ذلك الكلام وقرىء كتاب ترجمته الأقلام بأن السلطان رغب إلى أن يتخذ فى الكرك المقام . وقالا لم يبق لنا بد ممن يقوم بأمر الملك حق القيام وتفاوضا فى ذلك وتقاولا ، وجعل كل منهما يلقى الأمر إلى صاحبه فيقول لا ويلخص الحال بينهما على أن يكون الركن هو المشار إليه وسلار نائب بين يديه ، ووقع من تلك الساعة اسم السلطان عليه ، فسر ذلك أصحابه وخشداشيته ووافق أعوانه وغاشيته ، وحلف له الأمراء الحاضرون وركب من دار النيابة عصر يوم السبت من شوال سنة ثمان وسبعمائة بشعار المملكة ودخل الإيوان فى ساعة مهلكة ، فكان حقيقاً أن نتمثل له بأبيات بكارة الهلالية فى معاوية وهى :

أترى ابن هند للخلافة مالكاً   هيهات ذاك وإن أراد بعيد
/ منتك نفسك فى الخلاء ضلالة   أغواك عمر للشقاء سعيد /٩٣ب

ولقب بالمظفر زورا ومينا وانقلبت الظاء عن قليل عينا ، واستدعى الخليفة المستكفى بالله أبا الربيع سليمان أمير المؤمنين فى هذا الأوان ، فبايعه بيعة السلطنة وقلده مقاليد المملكة . وجلس فى الدست جلوساً لم تسكن إليه القلوب ولا صح له فيه مطلوب . وكتب لمولانا السلطان تقليداً بالكرك ومنشوراً بالإقطاع . ثم ركب بشعار السلطنة . وانقضت هذه السنة .

ودخلت سنة تسع وسبعمائة :

فاتفق تناقص النيل كما اتفق فى أيام كتبغا ، فاجتمعت الخواطر على أن ذلك لغيبة الملك الناصر ، وقالوا كان خروجه الأول سبباً للفناء والغلاء والثانى موجباً للمحل والبلاء .وفيها وصل علاء الدين ايدغدى الشمسى المعروف بالتليلى وعلاء الدين ايدغدى الخوارزمى ، الرسولان السائران من الأبواب السلطانية إلى المرينى صاحب مراكش . وكانت مدة غيبتهما فى هذه الرسالة ثلاث سنين لأنهما توجّها فى أوائل سنة ست وسبعمائة وأخيراً أنهما أقاما فى الطريق حول ثلاثة أشهر واجتمعا بأبى يعقوب المرينى وهو نازل فى تلمسان المستجدة التى بناها لمحاصرة تلمسان العتيقة ، وأوصلا إليه الهدية والمماليك المسيرين من الأبواب السلطانية ، فتلقاهما بالإكرام وأوسع لهما العطاء والإنعام وأرسلهما إلى
٩٤ أ/ فاس وهى /كرسى مملكته ومدينة سلطنته ليتفرجا فيها إلى أن يأذن لهما وأجرى عليهما أنزالا وأجزل لهما نوالا ، وأقاما هناك ينتظران فراغه مما هو بصدده وعوده إلى بلده ، فإنه كان قد أشرف على أخذ تلمسان وطاولها مدة من الزمان حتى فنيت منها الأزواد وقتل من بها من رجال الجهاد ، ولم يبق عند ملكها وطائفته من القوت إلا قيام شهر . فبينما المرينى معتقد بلوغ المرام ناداه داعى الحمام ، فقتل على فرشه وحمل عن عرشه لنعشه . وحكى أنه إنما قتله خادم من خدامه وذلك أنه استشعر أمراً أنكره من بعض حرمه واتهم بالمواطأة عليه أحد خدمه ، فأمر به ليقتل . فذهبوا به كما أمر . فسأله من بالباب من الخدام عن شأنه ولِمَ يسحب مقرناً دون أقرانه ، فقال لهم إن السلطان اتهمنى وإياكم فى أهله وليس منكم ناج من قتله ، فانظروا لأنفسكم ، فوثب

أحدهم ودخل عليه وهو مضطجع يخضب ، فوجأه فى جوفه بخنجره فقتله وبادر للخروج من الدار . فلما فشا موته تخلى من كان من جماعته محاصراً لتلمسان عن حصارها وقام ابنه مقامه ، فلم يلبث إلا قليلا حتى خرج الأمر عنه وقام بعده أبو ثابت ابن أخيه وهو ابن ابن أبى يعقوب ، فوادعه صاحب تلمسان وهو محمد بن عثمان فجاءه الفرج عند استحكام الشدة والنجاة حين فراغ العدة من أعوانه والعدة ، ولله در القائل فى مثل شأنه :

/ لا تضق بالأمور ذرعا فقد تفـــ ـــرج غماؤها بغـير احتيال /٩٤ب
ربمـا ضاقت النفوس لأمـر ولـه فرجة كحل العقال

فحينئذ عزم الرسولان على المسير من أعمال مراكش وصحبتهما ركب كبير من أعيان المغاربة وتجارهم وذوى ثروتهم ويسارهم لقصد الحجاز الشريف . فلما وصلوا إلى مكان يقال له المدية حصلت لهم الأذية ، وخرج عليهم قوم من أعراب تلك البلاد يقال لهم بنو حصين [١] ، فنهبوا الرحال ووضعوا أيديهم فى النساء والرجال وقاتلوهم ما استطاعوا حتى خلت الجعاب من السهام وأدركهم إظلال الظلام وتمزق الركب قتلا ونهباً وخطفاً وسلباً وتركوهم فى الصحراء منبوذين بالعراء قد أشفوا من الظماء وعدم المعرفة بموارد الماء . فما بلغوا تونس إلا بعد العناء وجهد البلاء وتجهزوا منها إلى الديار المصرية ، ومثلوا بالأبواب السلطانية . وفيها وصل من صاحب سيس رسول بالقطيعة المقررة عليه ، فأكرم وأعيد إليه . وفيها دبت عقارب القوم إلى السلطان ، فأرسلوا يطلبون منه الخيل التى ركبها والهجن التى استصحبها ، فأرسلها إليهم ثم أرسلوا يطلبون منه مبلغاً زعموا أنه وجده حاصلا بخزانة الكرك عند وصوله إليها . فحمل ذلك منهم وحلم فيه عنهم . ولعمرى إنهم بالغوا فى العقوق وإضاعة الحقوق وتعدوا الحقوق الواجبة وتنكبوا الآراء الصائبة وأثاروا أسباب / الفتنة واقتدحوا زند الإحنة . فأرسل إليهم ما لاح قصداً منه فى /٩٥أ
الإصلاح ، فلم يرجعوا عن الإلحاح وعادوا يطلبون المماليك الذين عنده إظهاراً للمصارمة والمغادرة والمقاطعة والمعاندة ، وتمثل بيت من يقول :

---

(١) بنو حصين ، القلقشندى ، نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب .
MS. Paris, Fonds arabe N°. 2049, folio 882.

إن العناد يطاق غير مضاعف فإذا تضاعف كان غير مطاق

فحصل فى خاطره من هذه النكايات ما حصل ورأى أن الحال آل إلى ما آل ، ووصل إلى ما وصل ، فبلغ به الغيظ الغاية القصوى وهو مع ذلك لا يظهر ما أسره منه بالنجوى . واتفق أن جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية المقيمين بالديار المصرية لما رأوا ما عومل به السلطان من الإجحاف وعدم الإنصاف تحدثوا بذلك فيما بينهم وكرهوه ، فظهر عنهم ، فأراد القوم الإيقاع بهم . فجمعوا أمرهم على الذهاب إلى السلطان وركبوا جيادهم وتركوا عيالهم وأولادهم وساروا على حمية . وظهر أمرهم.فجرد جماعة من الأمراء والجند فى أثرهم ، فساروا خلفهم إلى غزة ، فلم يدركوا منهم أحداً . ووصل المذكورون إلى الكرك فى العشر الآخر من جمادى الآخرة ، فقبلهم ووهبهم ووصلهم ، وكانوا مائة ونيفا وثلاثين نفساً منهم من أمـــراء الطبلخانات انغاى قفجاق ومغلطاى القازانى . ولما لم يتهيأ للمجردين لحاقهم ، أقاموا بغزة يومات ورجعوا واستشاط الركن الجاشنكير على بقية المماليك
٩٥ب/ السلطانية ممن يتعلق بأولئك من الخشداشية وقبض على جماعة / منهم تناهز الثلاث مائة ، فأشرت بأن لا يعرض لهم بأذية وأن يتلافوا المجردين إلى البلاد الكركية بأن يعينوا لهم إقطاعات وجهات من تلك الأعمال والمعاملات يرتفقون ويخف مؤنتهم عن السلطان بسببها . فلم يرجعوا إلى هذه الإشارة ولا عبرت بأسماعهم هذه العبارة وظنوا النصيحة غشا وبادروا بالإيقاع بهم طيشاً وبطشاً، فأضرمت هذه الأسباب نيران الحرج وألجأت السلطان إلى أن تحرك وخرج ، ولسان الحال يخاطبهم قائلا :

أخرجتموه بكـــره عن سجيته والنار قد تقتضى من ناضر السلم
أوطأتموه على جمر العقوق ولولم يجرّح الليث لم يخرج من الأجم

وجاء الخبر بخروجه ، فازدادوا قلقاً وتنمراً وحنقاً وتأثراً . فقلت لهم إن كان قصد السلطان العود إلى مستقره والاستقلال بأمره ، فالبيت بيته وبيت أبيه ، والمحل محله دون من يليه . فكاتبوه بالطاعة وسكنوا خاطره بالاستكانة والضراعة . فكنت فى هذا الخطاب كمن ينادى الصخور الصلاب

وتنزل منهم منزلة الخطأ لا الصواب ، وعزموا على التجريد للارهاب والتفنيد فجردوا سيف الدين برلغى وثلاثة من مقدمى الألوف ، فخرجوا فى شهر رجب وخيموا بمسجد التبن . فأرسل أقوش الأفرم بأن السلطان إنما وصل إلى البرج الأبيض بالقرب من طفس [1] وعاد راجعاً ، فاطمأنوا حينئذ بعودته ولم يفهموا أغوار / حكمته . فأعادوا المجردين مسجد التبن وأرسلوا إلى السلطان رسالة لا تصدر عن ذى أرب ولا تنتج إلا الحرب والحرب على لسان مغلطاى آيت أغلى وقطلوبغا تتضمن إغلاظاً ووعيداً وإنكاراً وتهديداً من جملتها : إنك إن لم تنته وترجع فعلنا بك كما فعل بابن المعز وابناى الظاهر ، وأمثال هذا القول الذى يجرح الخواطر ، فحملته الحفيظة وهذه الرسالة الغليظة الصادرة إليه من عبيده وعبيد والده ، على أن كاتب الأمراء الذين بالشام يعلمهم بهذا الكلام ويقول إن هؤلاء القوم أساءوا معاملتى ، واعتمدوا مضاجرتى وضيقوا على وعلى مماليكى الطريق التام ، واحتملت المضض والإيلام طول الأيام وما أسمعتهم شيئاً من الملام ولا شوشت عليهم بالفعال ولا بالكلام ، وأخليت لهم المكان وخرجت من الأعوان والأعيان لأستريح من مناكدتهم وأبعد عن مكاونتهم وانزويت فى هذا المعقل اللطيف وقنعت من العيش بالطفيف . فجعلوا دأبهم أذيتى بالكتب والرسائل ونكايتى فى الغدوات والأصائل . وقد ضاق الأمر ونفد الصبر ولم يبق إلا الفرار إلى بلاد التتار وهو خير مما توعدونى به من النفى إلى بلاد الكفار . فغضبوا لغضبه وأعانوه على بلوغ أربه ، ويسر الله المقاصد وهيأ له الموارد وجمع على محبته جميع القلوب ، وهيأ له النجح فى كل مطلوب : شعر   / ٩٦ أ

/ إذا اشتملت على اليأس القلوب	وضاق لما به الصدر الرحيب /٩٦ب
أتاك على قنوط منك عون	يمن به اللطيف المستجيب
فكل الحادثات إذا تناهت	فقرون بها الفرج القريب

وأما الجاشنكير ، فإنه أنفق فى الجيش وخامره الطيش ، فعين للإمرة جماعة من مماليكه ليتخذهم أنصاراً ويزداد بهم استظهاراً . ولما أخذ العسكر النفقة

(١) من أعمال البلقاء .

دعوا لمولانا السلطان بألسنة متفقة وقالوا هذه النفقة منسوبة إلى إحسانه محسوبة من امتنانه لأنها لم تحصل إلا ببركته ولا سمح بها إلا بحركته ، فهو الذى يسرها وأطلقها وحركها وأنفقها ، فمن سحائبه هطلت وبسببه حصلت . وحصل الجاشنكير على الذم والحسرة والهم كقوله عز وجل ﴿ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ﴾ (١) . ولعمرى إنه كفر النعمة فحلت به النقمة . وأما الذين عينهم للإمرة فعاندتهم القدرة ، وأول ما اتفق لهم من التعكيس الدال على التنكيس أنهم نزلوا من القلعة ليلبسوا التشاريف فى المدرسة ، وقد اهتموا غاية الاهتمام واجتمع لهم أمم من العوام وجهزوا سماطا لمن ينزل معهم من الأمراء والنقباء والحجاب والخشتاشية والجمدارية والأصحاب ، و حملوا الخلع فى البقج ولم يبق إلا أن يلبسوا ويركبوا الركوب المبتهج . فقال أحـــد
٩٧ أ/ أرباب النجامة الذين فى الخدمة أن هذا الطالع غير مستقيم / وركوبهم اليوم غير قويم . فنزلت إليهم الرسالة من أستاذهم بالتأخير ، وكان ذلك من فعل المقادير . فلما عادوا إلى القلعة بغير تشاريف أفاض العالمون فى الأراجيف وركبوا بعد ذلك بثلاثة أيام فلم يكن عليهم طلاوة ولا لهم فى الأنفس حلاوة . وأظهر الجد فى الحركة ، فأخذ الناس فى إنفاق الذهب وإعداد الأهب . وقيل إن من المماليك السلطانية قوماً يقصدون التسلل ، فجردوا بعضاً إلى البحيرة وبعضاً إلى الصعيد الأعلى قصدا فى التفريق بينهم والتبعيد . وعند عود السلطان من قريب طفس إلى الكرك ليبرم أموره إبراماً ويزيد تدبيره إحكاماً ويجمع بين ثبات الرأى وثبات الشجاعة ويتصبر ريثما يقرر قواعده ومن الصواب صبر ساعة ، فلم يهتد الذين معه إلى ما اهتدى إليه ولا اطلعوا من الصواب على ما أطلعه الله عليه ، فمنهم من أظهر التبرم برجوعه ونسبه إلى تضجيعه وقالوا فيما بينهم أن عسكر مصر مجد فى قصدنا ، ومتى جاءوا لم يكن لهم دأب غير أخذنا ويصطلح السلطان على تسليمنا إليهم ، والخيرة لنا أن نحتال فى الخلاص قبل لات حين مناص . وبلغ السلطان ذلك عنهم وهم انغية والقازانى ومن معهما ، فأسره نجيا ولم يبده ، وكان ذلك حملهما بالصواب وعدم نظرهما فى الأسباب :

(١) سورة الأنفال ، الآية ٣٦ .

شعر

فاهوا بأشياء لم يدروا مغبتها ... وكان ذلك من مستحكم الضرر
/ غابت عواقبها عنهم وما علموا ... ما يعلم الله فى العقبى من الخير ٩٧/ب
حتى بدا عن قليل وجه حكمتها ... كما حكى الله عن موسى مع الخضر

وأرسل السلطان إلى الأمراء الذين يعلم منهم الحفظ والصيانة ويتحقق منهم الإخلاص وعدم الخيانة ، ملطفات ورسالات مذكرة بحقوقه المتعددة ومعلمة بهذه الأمور المتجددة . فصادفت موقعاً من النفوس فوضعوها إجلالا على الرءوس ومنهم من كتم أمرها وسترها ومنهم من استخفه الخوف فأظهرها ، ولما ظهر ذلك للجاشنكير نقب عن محضرى الرسائل ، فأحضرا إليه ، فضربهما ضرباً أليماً واستدعى الملطفات والتمس إحضار المكاتبات ، فأحضر إليه بعضها ، فالتبس عليه التدبير واستحوذ عليه التدمير . وكلما تهيأ لنا الاجتماع عنده قد أخذت فى التعريض بأن المصلحة تقتضى حفظ نظام الدين وحقن دماء المسلمين وإخماد الفتن بطلب المسالمة وإغماد الصوارم بعدم المصارمة ، وإذا فصلنا من عنده احتف به أعوانه وحضوه على القتال وحملوه على الأهوال ليقضى الله أمراً كان مفعولا . ولما ثبت السلطان رسائله إلى ثقاته وعلم انقيادهم إلى أبوابه وعتباته ركب من الكرك متوكلا على ربه بالنفر اليسير الذين هم إذ ذلك الحين من حزبه ، واثقاً بقوله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[1] فبلغ الله به أمره وشرح له صدره وهاجر إليه الأمير سيف الدين بكتمر أمير جندار من مماليكه وألزامه / الأنصار ، وهو الذى ما برح للناصر خير مناصر ٩٨/أ
وبعده الأمير سيف الدين قطلوبك والأمير سيف بهادر الحاج والأمير ركن الدين بيبرس الشرفى الملقب بالمجنون والأمير ركن الدين بيبرس العلمى وجماعة من عسكر الشام . وكان بعض الأمراء مجرداً لحفظ الطرقات ، نازلا على البرج الأبيض وهو الأمير بدر الدين بيليك الجاشنكير وصحبته أمراء طلبخاناه وأمراء عشراوات لحفظ الطريق ، فقادهما التوفيق وانحازا إلى فئة السلطان ، هما ومن معهما وقويت النفوس وزالت العكوس وكثرت الأنصار وحق الانتصار وتتابع المهاجرون إلى أبواب الدهليز وأزمع السلطان المسير إلى دمشق

(١) سورة الطلاق ، الآية ٣ .

قولا جزماً وأمراً بتقدير الله تعالى حتماً ، فسار إليهما وكان حزماً ، وأقبل إليه الناس من كل مكان وجاءه الأمير سيف الدين اسندمر الكرجي نائب السلطنة بطرابلس بأعيان وأعوان ودخل دمشق في يوم الثلثاء السابع عشر من شعبان المكرم ، وتكاثرت الوفود وتبادرت الجنود ، فشرع في إنفاق الأموال وبذل النوال . وأما نائب دمشق فإنه قبل دخول السلطان إليها ، فر منها هارباً ولاذ بجبال الشقيف هائباً : شعر

وما الفرار إلى الأجبـال من أسد   يمسى النعامَ به فى معرض الوعل
إن كنت ترضى بأن تعطى الجزا بدلا
منهـا رضاك ومن للغور بالحول

/٩٨ب فأرسل إليه السلطان ليدمر الزردكاش وجوبان بالأمان / والإيمان ، فحضر واثقاً بما شمله من الإحسان . وأما الجاشنكير فإنه لم يزل هو وبطانته على تصميمهم وتجهيزهم وإظهار العزم والاجتهاد وأنه لابد من الاستعداد ، وأنا أعرض له بأن فى السلم السلامة وفيما سواه ندامة وأتمثل فى نفسى بقول أبى أسامة : شعر

فيابن أسيد لا تسام ابن حاتم   فتقرع إن ساميته كف نادم
هو البحر إن كلفت نفسك خوضه   تهالكت فى آذيه المتـلاطم

ويأتى إلى التشديد والاهتمام بالتجريد ، فكان أول من جرده فى مقدمته سيف الدين برلغى وجماعة من الأمراء ليحفظوا الطرقات ويمنعوا من يتسلل من العسكر فى هذه الأوقات ، فأرسل أقوش الرومى الحسامى إلى جهة العباسة ، وبابان الطغريلى إلى جهة المحرس والخصوص ، والصارم الجرمكى إلى جهة أخرى . فلما كان فى ليلة الجمعة ثانى عشر شهر رمضان ، اجتمع من مماليك السلطان جماعة يسكنون تحت القلعة وخرجوا برجل واحدة على الخيـل والهجن ، فاتصل بالجاشنكير خروجهم ، فجرد جماعة من الأمراء لردهم بمراكع موسى وقد صدروا عن الماء ، فاتقعوا معهم ، فاستظهر عليهم المماليك السلطانية وجرحوا منهم جماعة جراحاً مثخنة . وكان ممن أثخن بالجراح وصوفح بحد الصفاح الصارم الجرمكى الحاجب وسموك أخو النائب .

فتوجهوا خائبين وتوجهت أنصار الناصر منصورين لأن الله تعالى جعل النصر قريناً لمولانا السلطان وأعوانه وضرب على الذين يناوئونه سرادق إذلاله وخذلانه / فما أبرموا أمراً إلا انتقض ولا حاولوا قصداً إلا حال دونه المقدار / ٩٩ أ
فاعترض ، فالشيعة الناصرية مقبلة إلى التقدم والفرقة الأخرى مدبرة فى التقسم والتندم (بيت مفرد) :

إذا لم يكن عون من الله للفتى   تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

ولما اتفق هذا الاضطراب الذى ذكرناه والقلق الذى وصفناه . وثب مماليك أقوش الرومى المقدم ذكره عليه فقتلوه لأنه كان قد جرد لحفظ الطرقات ورسم له بالركوب فى طلب هؤلاء السائرين إلى جهة السلطان . فلما لم يدركهم نزل فى بعض الطريق ليستريح ويريح فأوفى هناك على الضريح . واتصل خبر مقتله بالركن الجاشنكير ، فتقاذفت به أمواج الهموم وأظلته غمائم الغموم : شعر

وأصبح حيران لا يهتدى   وقد سد عنه سبيل الرشاد
وضل عن الرشد فى قصده   وليس لمن يضلل الله هاد

وفى ليلة الجمعة المذكورة تحزبت جموع وتجمعت أحزاب من العامة والغوغاء والسوقة وغيرهم حتى انتهوا إلى باب الاسطبلات تحت القلعة ورفعوا أصواتهم بالدعاء عليه ، فأخذت طائفة منهم وأدبوا وطوفوا على أن يكفوا ويقصروا ويرهبوا ويزدجروا ، فما ازدادوا إلا تحاملا وتعصباً وتألباً وتحرباً ، والعامة لسان الفلك الأثير وينطقون بما جرت به المقادير ، ولما شاهدوا هذه الخطوب وعلم نفاد القلوب أمر باجتماع الأمراء والأكابر والمقدمين / والأعيان ، وجلس مجلساً عاماً فى الإيوان وأحضر الخليفة /٩٩ب
المستكفى ، فجدد له البيعة وحضر بحضوره حكام الشريعة ورتبوا نسخة تقرأ فى الجوامع وتعلن فى المجامع تتضمن على ما زعم تجديد بيعته وصحة ولايته وأراد الخطباء بجوامع مصر والقاهرة أن يقرؤوها على الملأ ، فضج الناس بلسان واحد وجواب متوارد ، وقالوا لا سمع له ولا لمن ولاه ، ومالنا

سلطان إلا الناصر بن المنصور لا سواه ، وهموا بالوثوب على الخطباء وإلقائهم عن المنابر ، فطووا تلك النسخة تسكيناً للثوائر وانخرقت الحرمة وانهتكت أستار الحشمة وزالت جلالة النعمة . وأخذ المشار إليه فى بذل نواله وإطلاق أمواله وتفرقة غلاله والإنعام على ألزامه بخيوله وجماله وأمر طائفة ثانية من مماليكه بالطبلخاناه ، ونقل المغادرة من صبيانه إلى العشرات قصداً فى الاستكثار هيهات ! وقد جرت بخلاف قصده الأقدار . (بيت مفرد)

يريد المــرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما يشــاء

ورسم بالتجريد العام والخروج للسير إلى الشام وأن يخرج كل يوم أربعة من مقدمى الألوف بمضافيهم وشرعوا فى ذلك من الخامس عشر من شهر رمضان . وكان برلغى كما ذكرنا قد خرج مقدمه من أيام متقدمة بجماعة من الأمراء . واتفق وصول كتب مولانا السلطان إلى ثقاته مخبراً بدخوله دمشق على أحسن
١٠٠ أ / الأوضاع / واجتماع العساكر الشامية على طاعته أتم اجتماع ، فتحرك بعض الأمراء الذين كانوا مع سيف الدين برلغى للذهاب إلى خدمته وأجمعوا رأيهم على قصد جهته ، فاحتاج إلى أن أظهر موافقتهم وأسرع مرافقتهم فرحلوا من منزلتهم التى كانوا بها وساروا إلى الصالحية ، فعاد بلبان الطغريلى من عندهم وأخبر الجاشنكير بقصدهم فتزيد اضطرابه وتقطعت أسبابه وتأثر بهذه المحنة وتحير لهذه الإحنة فما أشبه حاله حينئذ بقول ثابت قطنة :

كل القبائل بايعوك على الــذى تدعو إليه وتابعــوك وساروا
حتى إذا اشتجر القنــا وتركتهم رهن الأسنة أسلمــوك وطاروا

ذكر مسير مولانا السلطان أعز الله نصره من مدينة دمشق المحروسة فى طالع اليمن الذى اختاره الله ويسره وهيأه لتجديد ملكه وقدره

وأما مولانا السلطان الملك الناصر ، فإنه سار من دمشق بعد أن شمل العساكر الشامية بالنفقات وأوسعهم من سيب الصدقات وأضرب عن المكاتبات والمراسلات والمفاوضات والمشافهات : شعر

فلا كتب إلا المشرفية عنده ... ولا رسل إلا الخميس العرمرم
فلم يخل من نصر له من له يد ... ولم يخل من شكر له من له فم
يقر له بالفضل من لا يوده ... ويقضى له بالسعد من لا ينجم

وكان خروجه منها فى يوم الثلثاء التاسع من شهر رمضان ثانى ساعة من النهار وقدم بين يديه مقدمة العسكر إلى غزة / لحفظ المضيق وحفظ الطريق /١٠٠ب ولقاء المهاجرين إلى أبوابه العالية وكان عليها الأمير سيف الدين كراى المنصورى وسيف الدين تمر الساقى ، وهاجر إليهما زرافات من التركمان وأفواج من العربان . ومن عجيب الاتفاق أنه فى الساعة المذكورة نزل الجاشنكير عن السلطنة المذكورة التى استعارها ونضا عنه شعارها وذلك أنه فى صبيحة الثلثاء المذكور استدعى سيف الدين سلار وبكتوت الجوكندار وقجماز السلاح دار وتحدثوا فيما آل الأمر إليه وانقلاب الدست عليه وأجالوا الرأى فى مراسلة السلطان بالاستعطاف والتوبة والاستغفار والتماس مكان يأوى إليه هو وألزامه وعياله قبل إدراك العساكر وإشهار البواتر واستحكام القهر والغلبة وتعذر الإجابة إلى هذه الطلبة . فقال : ومن لهذه السفارة يؤديها ولهذه

الرسالة بعلمها ؟ فأشاروا إلىّ ، ونصوا فيها علىّ . فاستدعيت والأمير سيف الدين بهادر آص وكان قد وصل من الشام من قبل بأيام ، فلما حضرنا أجروا الحديث معنا وطلب المشار إليه مكاناً من ثلاثة : إما الكرك أو حماة أو صهيون ، وأشهد على نفسه النزول من الملك لصاحبه والتخلى عن مناصبته فى مناصبه وقرر معنا أنه ينزل من القلعة ويقيم قريباً من أطفيح إلى أن نعاوده بالجواب ونأتيه بأمان من السلطان أو كتاب ، ولو كان فعل هذا الأمر أولا لأصاب ،
١٠١ أ / / وإنما لكل شىء أمد معلوم وحد من الله محدود محتوم . قال فسرنا ضحى يوم الثلثاء فى البريد لقصد أبواب الدهليز المنصور ومطالعة مولانا السلطان بهذه الأمور وبعد انصرافنا من عند المذكور دخل إلى الخزائن السلطانية وحمل ما فيها من الأموال عن آخرها وخرج من القلعة هو ومماليكه وألزامه وهم زهاء سبعمائة نفس وبدر الدين الجوكندار وعز الدين الخطيرى وقجماز ، واستصحب الخيول التى بالاسطبلات السلطانية بكمالها ولم يقم قريباً حيث ذكر بل تقدم مبعداً لم يستقر بمكان يجاوز أسوان :

موكل ببقـــاع الأرض يذرعها من خفة الروع لا من خفة الطرب

وخرجت بقايا الأمراء والعسكر والجند من تلك الليلة قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج مهاجرين إلى باب مالكهم يقطعون المراحل فى مسا لكهم ويؤمنون سيدهم الحقيق بالسيادة ، الخليق بالإعادة إلى أشمل عادة : شعر

ملك له اللب الصقيل كأنمـــا عكست شعاع الشمس فيه مَسجَنْجَلُ
ذو الحزم لا يتدبر الآراء فى أعقابها ما الـــرأى إلا الأول
متقلد بيض الشفار صـــوارما منهـــا (. . . . . .) والمنصـــل
فله الندى لا يدعيه غيـــره إلا إذا (. . . .) لغرام المسبل
وتكاد يمنـــاه لفـــرط بلالهـــا بين المـــوا (. . . . .)
غيث البلاد إذا اكفهر تجهمـــا فى (. . . . .) مقبـــل
لو كنت شاهد لفظه فى مشكل لرأيت نظم الدر كيف يفصـــل
١٠١ب/ / أو كنت شاهد كفه فى لونه لرأيت صرف الدهر كيف يفصل
إن التجارب لم تزده حـــزامة هل زائد فى المشرفى الصيقـــل

إن الزمان على كثافة دوره ليكل عن أعباء ما يتحمل
وتردد الصعداء من أنفاسه حتى تكاد النار منه تشعل
يجرى القضاء بما يشاء فنازح ومقرب ومعجل ومؤجل
جاؤوك بالأمل الذى لا ينثنى وأتوك بالقلب الذى لا يغفل

فلم يتأخر عن السير إليه أحد وأقيمت الخطبة باسمه الشريف وحصل للمنابر بذكره التشريف وذلك يوم الجمعة التاسع عشر من شهر رمضان واستقر الصباح فى القلعة من باكر الأربعاء سابع عشر باسم السلطان وجهز الطلب السلطانى بعصابته وشعاره وجنائبه ليتلقى المقام الشريف عز نصره وأرسل إليه برلغى اثنين من الأمراء الذين معه يلتمس أماناً وإذناً بحضوره فجأة وهو على منزلة سكرير ، فأظهر لهما البشاشة وأبدى الهشاشة وخلع عليهما وأذن له فى القدوم . وأما نحن فإنا وصلنا إلى الدهليز المنصور يوم وصوله إلى (....) فقبلنا الأرض بين يديه وأعدنا الرسالة عليه فاستبشر السلطان بحقن الدماء وسكون الفتنة [بين الأنام] [1] .... من النصر بالرعب الذى أسكنه قلوب أضداده واللطف الذى قدره فى معاده. ووصل برلغى ومن معه وجمعنا جميعاً دهليزه الشريف وعمنا بخوائص الذهب / والتشاريف وأعادنا السلطان / ١٠٢ أ
بالجواب ورحل نحو الديار المصرية . ووصلت أنا وسيف الدين بهادر آص إلى القلعة الخامس وعشرين من الشهر على أن الجاشنكير مقيم بموضع الميعاد ، فوجدناه قد جد فى الإصعاد والإبعاد ولم يتركه الذعر الذى شمله يستقر بمقر ولا وجد لنفسه من مناص ولا مفر ، فأرسلنا الرسائل إليه صحبة من يلحقه بها وعدنا إلى الدهليز المنصور وقد خيم بالسعيدية ورحل إلى بركة الحاج فعيد بها عيد الفطر وصلى بالدهليز ومد الخوان على العادة وأنشد فى ذلك الوقت أبياتاً بالهناء منها :

الملك عاد إلى حماه كما بدا ومحمد بالنصر سر محمدا
وأتى به كالسيف آب لغمده ومعاده كالورد عاوده الندى

---

(١) مابين المعقوفتين نقلا عن Zetterstеèn, op. cit, p. 144. فهذه الأخبار منقولة عن بيبرس المنصورى .

الحق مرتجع إلى أربابه من كف غاصبه وإن طال المدى
يا وارث الملك العظيم تَهنَّه واعلم بأنك لم تسد فيه سدى
عن خير أسلاف ورثت سريره فوجدت منصبه السنى ممهدا
يا ناصرا من غير منصور أتى كمهند خاف الغداة مهندا
آنست ملكاً كان قبلك موحشا وجمعت شملا كان منه مبدداً
فتهن عيدا لم يجد مثلا له فى الدهر خلق صام قبل وعَيَّدا
فالناس أجمع قد رضوك مليكهم وتضرعوا أن لا تزال مخلدا
وتباركوا بسناء غرتك التى وجدوا على أنوار بهجتها هدى
الله أعطاك الذى لم يعطه ملكاً سواك برغم آناف العدا
١٠٢ب/ / قلدت ملكاً قد علا مقداره لله أنت مقلداً ومقلدا
فاهنأ بما أوتيته واحرص على أن لا تزال بحسن سيرك سرمدا
واحسن لفتيتك التى قد أحسنت وابسط لهم وجه الرضى متودداً
واعدل ومر بالعدل والإحسان وانـ ـه عن الفواحش تُكْفَ أسباب الردى
وائْتِ الجميل لمن رغبت فإنه يبقى به ملك أتيت مؤبدا
لا زلت منصور اللواء مؤيد الـ ـعزمات ما هتف الحمام وغردا

وابتهجت الرعايا على اختلافهم وإيلافهم بإقباله وخرجوا لاستقباله يودون لو على خدودهم تطأ سنابك خيوله وفى أكبادهم تسير كتائب رعيله . فخرج المسلمون بالمصاحف الشريفة وأعلام الخليفة والنصارى بالأناجيل واليهود بالتوراة وتعلقت الذمة بذمامه وابتهلوا بدوام أيامه ليحمل عنهم الضيم الحادث ويرفعه ، ويكف عنهم الكف العابث ويمنعه ، وعجت الأصوات بالدعاء الجهير والتحميد لله على نصره والتكبير ، وعم الفرح فى ذلك اليوم الصغير والكبير . لما كان وقت نصف النهار المذكور ركب السلطان موكبه الملوكى البهيج تحفه ما غاب من الوشيج وطلع إلى قلعته كما يطلع البدر فى شرفه ويومل منها ذروة مشترفة ، فكادت تميد طرباً بآيته وأشرقت فى أرجائها أشعة سمعته ، وكان هذا اليوم أيمن الأيام وأسعد أعياد الإسلام وتصدت الشعراء لامتداحه بالقصائد ، فكان مما قيل فى ذكر عوده السعيد هذه الأبيات ·

/ عاد للملك صاحب الملك عادا   ثم أبدى النعمى لنا وأعادا /١٠٣ أ
مرحباً مرحباً بأوفى ملوك الـ   أرض عدلا فى أمة وسدادا
أى بشرى بعودة الملك النا   صر سرت فى الخافقين العبادا
عودة جددت هناء وأفرا   حاً وردت أيامنا أعيادا
عيد فطر وعيد فتح وعيد   بقدوم الذى على الناس سادا
ملك شرف الممالك والعصـ   ـر وأوفى على الملوك وزادا
أيها الناس هل سمعتم بفتح   مثل هذا هفا بنا . . . .
أم رأيتم من العجائب ما يشـ   ـبه هذا الإصدار والإيرادا
فاقصدوا فى السماح باب كريم   جل أن يستماح أو يستزادا
ملك يطلق الألوف من المـا   ل ويغنى الوفود والقصادا
يكشف الضيم عن رعيته الدا   عين والجور والخطوب الشدادا
وإذا سار [للوغى] أو سعى للـ   ـمجد يأبى فى السعى إلا انفرادا
من أبوه قلاوون الملك الأعـ   ـظم كانت له المعالى قلادا
أسكن الخوف فى قلوب أعاديـ   ـه فولت تطوى الربى والوهادا
(و) إذا همت الملوك أولو الإقـ   ـدام أخلت عن حبسها الآسادا
قرن الرعب من محمد بالنصـ   ـر ولم يشرع القنا الميادا
وأذلت له المهابة أعدا   ه فأعطوه صاغرين القيادا
يابن من عز جانباً وجنانا   وابن من طال نجدة ونجادا
خذل الله من نوى لك غدراً   وخلافاً ومن أسر عنادا
/ وإذا ما أراد كيدك باغ   فالكتاب العزيز والدين كادا /١٠٣ب
وإذا العبد خان مولاه أو عا   داه فالله والملائك عادى
كم دعونا حتى رجعت إلينا   وبلونا حتى بلغنا المرادا
أرسل الله رحمة منك للنـا   س وغيثاً سقى وعم البلادا
رجع الملك للأحق والأوْ   لى به والمبارك الوجه عادا
هم أرادوا إخفاء نورك والله   تعالى إظهاره قد أرادا
فابق للمسلمين يا ناصر الديـ   ـن ملاذا وعدة وعتادا

وتملك بسائط الأرض بالسيـ ـف وبالترك فافتتح بغـدادا
زادك الله يا محمـد فى الملـ ـك اقتـداراً وفى الحياة امتدادا

وبما قيل فى ذلك أيضاً :

لك الله فى كل الأمور معـين وبالنجـح فيهـا كافل وضمين
فكن واثقاً بالنصر يا ناصر الورى ووارث ملك الأرض حيث تكون
بكتلك عيون حين وليت معرضا وقرت وقد وافيتهن عيـون
تكفل كاف الحتم عزمك بالمضا وأعقبها عنـد الإرادة نـون
وهل غالب لله فيما يريـده بظن محال والمحـال ظنـون
تولت أعاديك الهموم فأصبحوا وجل مناهم فى الحيـاة منون
وحاروا وخاروا من سطاك فكلهم بمـا كسبوا بالميل عنك رهين
خضبت دماً عند البكاء بنانهم وليس لمخضوب البنـان يمين
وما الكرك المحروس لمـا حللته وحقك إلا فى الحصون عرين
١٠٤ أ/ / لقد دان عال فى الظنون مهابة أبا الفتح لمـا أن دنوت ودون
ولم يسل من قد حل دستك بل غدا صريع هموم يعتريه جنـون
وحاوله من قبل إكمال حوله ومن حوله شك تلاه يقـين
وظن يمين الغصب جهـلا تنيله مناه ومغصوب اليمين يمـين
أيا ملكاً قد مكن الله ملـكه وأضحى به الإسلام وهو متين
أضاءت بك الدنيا وأمست وربعها بسلطانك العالى المنـار مصون
فلا زال ما استقصى من القصد يرتمى إليك وما استعصى لديك يهون

ولما كان يوم الخميس الثانى من شهر شوال ، جلس مولانا السلطان فى الإيوان وقت الخوان وحضر بين يديه نواب الممالك وقدموا العساكر وسائر الجيوش وعامة الجنود وحلفوا له على طبقاتهم أيماناً برة صادرة عن عقائدهم الصحيحة ونياتهم الصريحة . ولما تكامل الحلف واتسق النظام المؤتلف سأل الأمير سيف الدين سلار دستوراً ليتوجه إلى الشوبك فأجابه وأناله طلا به واستصحب معه أدمه وبقى ولده بالأبواب السلطانية وأنعم عليه بعشر طواشية وبرزت المراسم الشريفة بالتوجه إلى نحو الجاشنكير لاختبار حاله واسترجاع

الخزائن التى اختلسها عند ارتحاله ، فسرت إليه أنا والأمير سيف الدين بهادر آص حتى انتهينا إلى أخميم وألفيناه بها فى عيش ذميم ، قد فاته الظفر وعاقه البدو والحضر ورنق صفوه الكدر : شعر

فقل لبيبرس إن الدهر ألبسه أثواب عارية فى طولها قصـــر
/ وقد أتى يسترد الآن ما غلطت به عليه ليـــال رابهـــا الغـــرر /١٠٤ب

فتلطفنا فى استخراج الخزائن من حرزه وأعلمناه أنه لا مندوحة له عن أبواب مولانا السلطان والتماس العفو والإحسان ولعله يمن عليه بمكان . فسأل أن يعين له المكان ويشمله الأمان ويتوجه إليه من غير مثول بين يديه خوفاً من سطواته وتحذراً من نقماته لعلمه بما أدركه من العدوان ، وأن مثل ذنبه يتجاوز الغفران ، ويقرر مسيره راجعاً خاضعاً . وفارقناه على ذلك وكان معه طائفة من صبيانه فهموا ذات ليلة بالوثوب علينا فوقت منهم العنـــاية الربانية والسعادة السلطانية وأحضرنا الخزائن برمتها والأموال بجملتها .

ذكر ما اعتمده السلطان من تقرير الأحوال وبذل النوال وترتيب الممالك الإسلامية وتولية النواب على البلاد الشامية مستمداً عون ربه مستعيناً بنور قلبه

فأول ذلك أنه فوض إلى الأمير شمس الدين قراستقر نيابة السلطنة بدمشق عوضاً عن جمال الدين أقوش الأفرم وولى أقوش المذكور صرخد وفوض إلى الأمير سيف الدين قفجاق نيابة حلب وولى الحاج بهادر السلحدار الأعمال الطرابلسية والفتوحات الأشرفية وخلع عليهم نفائس الخلع ووصلهم بما لم يمتد إليه الطمع وأعطاهم الحوائص الثمينة والخيول المسوّمة وقبلوا الأرض بين يديه وتوجهوا . وجرد جماعة من العساكر ليحفظوا / أطراف الشام ‎/١٠٥ أ
ويحموا بلاد الإسلام ، وفوض نيابة سلطنته إلى الولى المشفق والنصيح المحقق صاحب السابقة فى خدمته والمهاجر إلى مناصرته والمداومة على طاعته المقر السيفى بكتمر أمير جندار ، أعز الله به الأنصار ، ليساهمه فى النعم التى خوله فيها ويورده من موارد السعادة التى قضت بها له الأقدار صافيها فكان مؤيداً فى استنابته دالا بها على إصابته وأفاض عليه من الخلع أسناها قيمة ومنطقه بمنطقة قد ضمنت من الجواهر كل يتيمة وجلس فى الدست بمهابة ظاهرة وجلالة باهرة وحزم فى الإصدار والإيراد ونظر فى الصواب والسداد ومعرفة الجيوش والأمراء والأجناد . شعر

ما أسعد السلطان بالرأى الذى فيـه ارتأى مستكفياً مستخبرا
حقـاً لقد ولى الأمور مجربا إن هم أمضى أو تدفق أغـزرا

ولى الأمور فكان أحسن منظرا ممن تقدمه وأكرم مخبرا
قد قال حين بلاه بعد عصابة من قبل كل الصيد فى جوف الفرا

وأفرج السلطان عن جماعة كانوا مسجونين من أيام كتبغا قد طال مكثهم فى السجون وسخنت منهم الأكباد والعيون ، ففرج كربتهم وحل عقدتهم وجلس ثانى يوم مجلساً أرهب الأعداء فيه بسطواته وعدد لكل منهم سالف إساءاته وأمر بهم فحملوا إلى الاعتقال . فكان حقيقاً بأن يقال :

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس ويوم نعيم فيه للناس أنعم
١٠٥ب/ / فيقطر يوم الجود من كفه الندى ويقطر يوم البأس من كفه الدم

وحضر ولد أقوش الرومى الذى ذكرنا أن مماليكه تواطأوا على قتله ، فوقف بالأبواب الشريفة يلتمس الإقادة من قاتلى والده ، فرسم السلطان بجمع الحكام ، فاجتمعوا بين يديه وقضوا فى ذلك بما ندبت الشريعة المطهرة إليه وحكموا على القاتلين جميعاً بالقتل ، فأخذوا ووسطوا بالسيف وكانوا سبعة ، فلله دره من ملك يقيم الشرع على نظامه وينفذ قول كل حاكم على قول إمامه . وشرع السلطان فى تأمير مماليكه الخواص الذين صبروا معه وصابروا وحافظوا على مناصحته وثابروا ، فمنهم من نقله إلى الطبلخاناه ومنهم من أعطاه عدة العشرات ومنهم من عين له أخاير الإقطاعات وكان هذا التأمير هو الذى أكدت أسباب المقادير لا كالذى اعتمده من ذكرنا متقدماً فإنه كان كالخيال بل أسرع منه فى الزوال . وفوض الوزارة إلى فخر الدين بن الخليلى وكان قد تمادت عطلته وطالت بطالته ، فانتاشه من قرارة الخمول وأنار نجمه وقد كاد يدركه الأفول وتركه ريثما استراش ودب فيه الانتعاش ثم عزله بعد ذلك على ما سنذكره . وأقام الأمير حسام الدين قرالاجين أستاذ الدار والأمير سيف الدين بلبان المحمدى على عادته أمير جندار ، وفوض إلى مملوكه الرق ومحبه الحق وغذى نعمته ونعمة والده
١٠٦أ/ مؤلف / هذه السيرة وآثر هذه الأخبار الأثيرة بيبرس الدوادار نيابة دار العدل الشريف أوضح الله به آثاره وأعلى بسلطانه مناره والنظر على الأوقاف المبرورة المنصورية بالديار المصرية والشامية ، سقى الله عهد واقفها الشهيد

من الرحمة عهاداً وزاد أمد ذكره امتداداً . فباشرتها مستجلباً صالح الأدعية للسلف والخلف ، جاهداً فى تنقيل الأجور وتخفيف الكلف فجرت أحوالها بسعادة مولانا السلطان على النظام المستقيم وعمت بيسارها كل ظاعن ومقيم . وولى الوظائف أهلوها من العلماء والفقهاء والمدرسين والمفسرين ، وأجريت أرزاق أربابها أجمعين وأصبحوا للصدقات السلطانية شاكرين وببقائها على الدوام داعين . وأما غير ذلك مما كنا ذاكريه من أمر الجاشنكير ، فإنه بعد أخذ الخزائن منه وانفصالنا بها عنه أرسل بكتوت الجوكندار المعروف بالفتاح وقجماز السلاحدار بما كان قد استصحبه من الاسطبلات السلطانية من الخيول والبغال . فكانت هذه الإعادة بغير الإرادة لا كالإعادة التى أعقبتها السعادة ، فإن مولانا السلطان أعاد الخيل لما طلبها غير مستحقها أناة وحلماً واستعادها ممن غصبها عدواناً وظلماً ، وأرسل أكثر مماليكه ففرقوا على الأمراء ولما وصل إلى أطفيح فوز منها إلى السويس نائباً على أنه يتوجه إلى صهيون من حيث لاتنظره العيون، فيقيم بها هو وجماعته ويستدعى / إليه عياله وحاشيته . ففكر ١٠٦/ب مولانا السلطان فى العواقب وجال فيها بفكره الثاقب ، ورأى أن المذكور سريع الانقلاب والنكوص على الأعقاب وقد ذاق طعم السلطنة وذاق مماليكه طعم الإمرة فهى باقية فى قلوبهم كامنة فى نفوسهم لا يسلونها أبداً ولا يجدون دونها جلداً ، وربما إذا خلوا حدثتهم بها أفكارهم وأسرت النجوى أسرارهم ، فلا يلبثون أن يتعرضوا إلى إثارة فتنة يحصل التعب فى إخمادها وإعادة إحنة تستسل السيوف من أغمادها . فقد قال الشاعر :

واعلم بنى فإنه ... بالعلم ينتفع العليم
إن الأمور دقيقها ... مما يهيج له العظيم
والتبل مثل الدين تق ... ـضاه وقد يلوى الغريم

فأداه الرى الصائب والسعد الواثب إلى اعتماد الحزم وتجريد العزم وأخذ بقول الحكيم فى وصاته التى نظمت شعراً وأودعت من الحكمة شطراً :

لا تترك الحزم فى أمر تحاذره ... فإن سلمت فما بالحزم من باس
العجز ذل وما بالحزم من ضرر ... وأحزم الحزم سوء الظن بالناس

فلما تمخض زبدة الآراء وأحكم سبب الاستقراء، عزم على تحصيله ما دام سهل المرام واقتناصه قبل أن يحلق فى جو الشام . وكان الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى متوجهاً كما ذكرنا إلى دمشق وهو إذ ذاك على غزة بالقرب من الشريعة بمن معه من العساكر الشامية الذين توجهوا فى صحبته ، فأوعز إليه
١٠٧ أ/ باعتراضه عند دنوه وأن يحول بينه وبين مرجوه . فبادر / بالامتثال ، وتأهب له فى الحال . وسار بيبرس المذكور على الحسنة ومضى من البرية . فلما قارب غزة وجد الأرصاد مستعدة لرصده ، والأعين ذاكية لقصده ، فأمسك هو ومن بقى من صبيانه وحمل فى التوكل مفرداً من أعوانه . فلما وصل صحبته الأمير شمس الدين قراسنقر إلى منزلة الخطارة ، أرسل الأمير سيف الدين اسندمر الكرجى من الباب العزيز لإحضاره ، فتسلمه من الأمراء الذين أحضروه وحمله إلى القلعة المحروسة يوم الخميس الرابع عشر من ذى القعدة :

شعـــر

فأدبر السعد والإقبال عنه وقــد	ولى بذل وخذلان على الــدبر
فباء بالويل والذل العظــيم وما	رأى لــه فى بلاد الله من وزر
ضاقت بما رحبت أرض عليه فقل	فى هارب فى الفلا بالخوف منحصر

فأحضر بين يدى مولانا السلطان ليقبل الأرض ، فأمر به للسجن ، فكان آخر العهد بالجاشنكير ، وتولاه من ليلته منكر ونكير ، واستراح السلطان من تقسم الأفكار واشتغال الأسرار وأعانته على قصده الأقدار ، فنال ما يعجز الملوك عن مناله وتم له ما لم يتم لأحد من أمثاله وتمكن من عداه وهو وادع واستيقظت له عين السعادة وعين الخطب هاجع ، وباد من عانده وزاحمه وزال من ناوأه وراغمه ، وصفت له أيامه ومواسمه ووطئت أضداده مناسمه : شعر

من زاحم الليث يوماً فى عرينته	أرداه مفترساً بالناب والظفــر
الناصر الملك العالى الركاب فتى الـ	منصور خير ملوك الترك والخزر
١٠٧ب/ / مؤيد القول والأفعال حكمــه	رب الورى فى الورى تحكيم مقتدر
فنـــال ما لم ينله قبله ملك	بأول السعد فى أيامه الأخــر

ولما مات الجاشنكير دفن فى تربته بالقرافة ، وكانت المدة التى تسمى فيها بالاسم المستعار وتدرع فيها لبوس العار ، أحد عشر شهراً . واعتقل السلطان بقية أضداده الذين كانوا أعوان المذكور على مراده . وأمر السلطان بالاهتمام للموكب السعيد ، فعينت بقج التشاريف من أنواعها الفاخرة وحللها الباهرة وأفيضت على الأمراء والمقدمين والعساكر أجمعين وأرباب الوظائف ولم يبق أحد ممن له تعلق بالخدم من أرباب السيف والقلم حتى شمله الإحسان ، وبرز الناس كأزهار بستان . وركب السلطان موكباً ارتجت له الأرض واجتمعت له الخلائق كاجتماعها يوم العرض مستبشرين بعودته ، مستسعدين بطلعته ، داعين بدوام دولته : شعر

كأنى به ملء المواكب والجنى تباهى به أفراسه والمساند
فما هو إلا البدر بعد سراره بدا وهو ملء العين والقلب صاعد
يبلغه الإقبال ما هو ضامن وينحر فيه الحسد ما هو واعد

وعاد من موكبه وما من قلب إلا وهو يشتمل على الدعاء لأيامه ، ولا لسان إلا وهو يتلو له المعوذات من خلفه وأمامه . شعر

فلا تقل تبع من خلفه ركبت ربيعة وعلى آثارها مضر
/ فإن سلطاننا أجناد دولته صيد الملوك لهم جند إذا حضروا /١٠٨ أ
يا أيها الناصر الميمون طائره نصرت بالرعب والأعداء قد قهروا
فاسلم ودم فجميع الناس كلهم على الدعا لك بالبقيا قد اقتصروا
فالله يبقيك فى خير وعافية فالمسلمون إلى بقياك تفتقر

ومما تجدد فى هذه السنة ، وفاة ايل بصار ببلاد التتار وهو ابن طقطا ابن منكوتمر ، ووفاة برلك أخى طقطا المذكور ، ووفاة أبى يزيد بن خربندا ابن أرغون ملك التتار أيضاً .

ودخلت سنة عشر وسبعمائة :

فيها بلغ السلطان عن سلار وإخوته ما هاج غيظه عليهم وأذكاه وأذكره ما سبق من أفعالهم الذى أنكاه ، فاستثاروا بذلك الكمين وأخرجوا الداء الدفين فأمر بهم فأمسكوا وسجنوا وكاتب أخاهم بما فعلوا وأمره بالحضور لتنحسم مواد هذه الأمور فتوجهت لإحضاره بعد تكرار المكاتبات وتتابع المراسلات ، فحضر فى سلخ ربيع الآخر . فلما حصل بين يدى السلطان أمر به فسيق إلى سجنه ذليلا وأخذته يد الحادثات أخذاً وبيلا وبدل بعد العز ذلا جزيلا وخابت مطامعه ونحست طوالعه وأخنى الدهر عليه وقد كان قدماً يطاوعه ، واستصفيت أمواله التى احتجنها وذخائره التى اختزنها وآلت إلى بيت المال وحملت منها عدة أحمال وبقى فى السجن برهة حتى أدركه حمامه وانقضت أيامه وماتت
١٠٨ب/ أمة بعده وبعض إخوته فتلى بعضهم فى الفناء / بعضاً وعضتهم الدنيا بأنيابها عضاً واسترجعت ما وهبتهم واستعادت ما منحتهم ، وتحولت تلك الأحوال عنهم وقرأت عليهم ألسنة التحقيق ، ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ [1] . فنعوذ بالله من زلة الأقدام وانقلاب الأيام . وما أحق مولانا السلطان فى هذه الأحوال التى تصرفت له بها الصروف والأعداء التى أراحته منها الحتوف والآراء التى وفقها الله إلى السداد والأيادى التى أفاضت الجود على العباد بالترنم والإنشاد : شعر

رمى نظرة نحو العـــدى فتجـــادلت
مفاصلهم منهـــا لحـــوما وأعظمـــا

(١) سورة الزخرف ، الآية ٥٥ .

بذى صـــولة نكراء لم تبق مجرمـــا
وذى راحة وطفاء لم تبـــق معــــدما
تساهم فيـــه الجود والبأس فاقتـــدى
به الدهر بؤسى فى الرجـــال وأنعمـــا
طموح إلى العليـــاء يقـــدم همـــه
إلى المجـــد حتّى لا يرى متقـــدماً
شمائل مدلـــول على طريق العـــلى
طلعن على أفق المكـــارم أنجمـــا
رأت جوده شهب النجـــوم فحلقت
مخـــافة أن تعطى فـــرادى وتوأمـــا

قال الراوى : ومما اتفق لى من المحاورة مع سلار عند التوجـــه إليه من الأبواب العالية لإحضاره ، أننى أجريت معه وجوب طاعة مولانا السلطان عليه وأذكرته سوابق إحساناته إليه ، فقال : إنما مثلك مثل النعوت [1] التى تسوق الأغنام واحداً بعد واحد إلى الموت وترجع سليمة . فحضرتنى حكاية رويتها عن عيسى ابن مريم عليه السلام مدونة فى كتاب موسوم «بعيون الحكايات» [2] / فضربتها له مثلا وأجبته بها مرتجلا ، وقلت إنما / ١٠٩ أ
ساقكم إلى الموت وقادكم واحداً تلو واحد إلى الفوت إفراطكم فى حب الدنيا واحتشادكم من حطامها كما ورد عن عيسى عليه السلام أنه صحب رجلا فانتهيا إلى شط فجلسا للغداء ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وقام عيسى ليشرب وعاد ففقد الرغيف ، فسأله عنه فأنكره فانطلقا ، فرأيا صبية معها خشفان [3] فدعا عيسى عليه السلام أحدهما فذبحه وشويا وأكلا ثم قال للخشف : قم بإذن الله تعالى ، فقام ، فذهب . ثم قال لصاحبه : بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال : لا أدرى . ثم انتهيا إلى ماء عظيم فأخذ عيسى بيده

(١) مفردها نعت ، وهو الفرس العتيق السباق .

(٢) لأبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (٥٩٧ هـ) ، انظر حاجى خليفة ، كشف الظنون ، ٢/١٤٤ .

(٣) مثنى خشف والجمع أخشاف ، وهو الأيل الصغير ، انظر Dozy, Suppl. I/372.

ومشيا عليه فعبرا إلى جانبه الآخر ، ثم قال : بالذى أراك هذه الآية من أخذ الرغيف ؟ قال : لا أدرى . فجمع عيسى رملا وقال : كن ذهبا ، فكان ذهباً ، فقسمه أثلاثا وقال : ثلث لك وثلث لى وثلث للذى أخذ الرغيف . فقال : فإنى أخذته . قال : فكله لك . فتركه ومضى . فانتهى إليه رجلان ، فأرادا أن يقتلاه ويأخذا المال . فقال لهما : هو بيننا أثلاثاً ثم بعثوا أحدهم ليشترى لهم طعاماً ، فصنع فى الطعام سماً ليقتلهما ويأخذ جميع المال . وقال ذانك : إذا رجع قتلناه ولا نعطيه شيئاً . فلما عاد بالطعام ، قتلاه ثم أكلا فماتا فمر بهم عيسى ابن مريم فقال : هكذا الدنيا فاحذروها . ومن المتجددات فى هــذه
١٠٩ب/ السنة ، تولية الأمير سيف الدين بكتمر أمير اخور نيابة / السلطنة بمدينة غزة مدة قليلة ثم نقل إلى الوزارة عوضاً عن ابن الخليلى . وفيها وصل ايدغدى الشهرزورى مملوك قراسنقر المنصورى من توريز [١] هارباً من السجن بها ، وذلك أن برلغى أحد أمراء التتار كان قد قبض عليه ببلد سيس كما ذكرنا وحمله معه إلى الأردوا ، فسجن من ذلك الحين ، فهرب فى هذه السنة وحضر إلى الأبواب الشريفة . وفيها وفد إلى الأبواب العالية الأمير منصور بن جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية على ساكنها الصلاة والسلام ، فقبلت تقدمته وأعيد عليه ما كان قد قطع من خبزه فيما مضى ، وأعطى لمقبل أخيه وآب محبواً محبوراً . ووفد أيضاً الأمير شرف الدين مهنا بن عيسى أمير آل فضل إلى الباب العزيز ، فأقبل السلطان عليه وأحسن إليه ، فلم يفد إلى الأبواب السلطانية أحد إلا نال مرامه وشمله بر مولانا السلطان وإنعامه . وفيها تصدق على الأمير عماد الدين إسماعيل ابن الأفضل علاء الدين على ابن أخى المنصور صاحب حماة ، بإحياء ميت آماله وإصلاح ما استحال من حاله ، وفوض إليه نيابة السلطنة بها إفضالا وبراً وعاطفة وجبرا وجريا على عوائد السادة من الملوك إذ كان أعظمهم سؤددا وأعذبهم للواردين مورداً ، وقلده وشرفه ورتبه فيها . ونقل اسندمر الكرجى منها إلى نيابة حلب بحكم وفاة سيف الدين قفجاق النائب بها . ونقل جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد

(١) من مدن اذربيجان ، راجع أبو الفدا ، المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

إلى طرابلس / بحكم وفاة الحاج بهادر نائبها أيضاً . وفيها فرق مولانا السلطان / ١١٠أ
الخيول العتاق والجياد المطهمة التي يجتلبها من الآفاق على أمرائه وخواصه وهي مسرجة بالسروج المحلاة بأسقاط الذهب ملجمة باللجم التي تضاهي أشعة الشهب . فهي كما قال الشاعر :

الأعوجيات التي إن سوبقت سبقت وجرى المذكيات[1] علاء
الطائرات السابحات السابقا ت الناجيات إذا استحب نجاء
الملبسات من النضار ملابسا يبدو لها تحت الشعاع ضياء
في حلبة الميدان يشبه ركضها ومض البروق تسوقها الأنواء
يحملن كل مشمر ذي عزمة للصولجان براحتيه مضاء

وركب إلى الميدان للعب بالصولجان في خواص خدمه المشمولين بنعمه المغمورين بكرمه ، تحفه الأنوار المشرقة وتلحظه العيون فترجع إجلالا مطرقة . وكان يوماً أنيقاً ولعبا هو الجد حقيقاً ، فسرت به القلوب وابتهجت وعجت الرعايا بالدعاء له وابتهلت . فأنشد لسان الحال مترنماً يقول :

أحلما نرى أم زمانا جديداً أم الخلق في شخص حي أعيدا
تجلى لنا فأضأنا به كأنا نجوم لقينا سعودا

وفيها وصلت إلى الأبواب الشريفة رسل صاحب سيس وصحبتهم الحمل المقرر عليه وهو ناقص عما جرت به العادة من الإتاوة ، فغضب السلطان عليه لما ظهر من إهماله وما وضح من إخلاله . وأرسل سيف الدين / ١١٠ب
استدمر نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة يعرض على الآراء الشريفة السلطانية أن يجرد عسكرا لترهيب المذكور ، ويقترح عليه أخذ هذه الأمور إما أن يكمل القطيعة ألف ألف درهم ويعجلها وإما أن يسلم القلاع التي أخذها الجيش المنصور من بلاده متقدماً ويبذلها وإما أن يأذن بحرب تخرب بلاده وتستأصل طارفه وتلاده ، فمال السلطان إلى هذه الإشارة ، فإن فيها مصلحة ظاهرة ورسم بتجريد عسكر لقصد الجهة المذكورة . فجردت طائفة من

---

(١) يقال في المثل : جرى المذكيات غلاب ، يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه .

العساكر المنصورة صحبة الأمير شمس الدين كراى المنصورى والأمير شمس الدين سنقر الكمالى والأمير سيف باينجار الناصرى . وفيها عزم السلطان على حفر خليج من البحر الأعظم مما يلى العطف [1] بالبحيرة وتوصيله إلى خليج ثغر الاسكندرية إلى جهة الكَرْيُون [2] لتروى منه تلك الجهات ويستمر الماء فيه صيفاً وشتاء ، فيكون أعم نفعاً وأغزر مدا ووسعاً . فبرزت مراسمه الشريفة إلى الأمراء بإخراج الأبقار والرجال لحفره والاحتفال بأمره ومقداره سبعة آلاف قصبة طولا وست قصبات عرضاً . وفى أوائل هذه السنة ، توجه السلطان للصيد لأنه نزهة الملوك الصيد ، فعدى إلى الجيزة ونزل بالأهرام فى الدهاليز والخيام وصحبته ما لم يجتمع لملك سواه من السناقر والشواهين والصقور والبزاة والكراكى [3] وأنواع الطيور وغير ذلك
١١١ أ / من الفهود / المدربة والضوارى المجربة مما يتعب الهمم على ذكر صفاته ونعوته وها أنا أورد شيئاً مما ورد فى وصف ذلك . فأولها نعت السنقر :

وسنقر مسترهف المعاول   يحكى انتصاب الملك الحلاحل
فوق شمال القانص المخاتل   حتى إذا أطلق ليس بابلى
منقلب الحملاق غير غافل   يقضى على الكركى بحتف عاجل

ثم نعت الصقر ويسمى الأجدل :

لا صيد إلا بالصقور اللُّمَّح   لكل كركى بعيد المطرح
بمخلب كالنيزك المذرح   ومنسر [4] أقنى كأنف المجدح [5]
أحص أطراف القدامى وحوح   أبرش ما بين القرا والمديح
يصطاد قبل التعب المبرح   وقبل أوب العازب المروح

---

(١) مركز المحمودية فى محافظة البحيرة بمصر .

(٢) مركز كفر الدوار فى محافظة البحيرة بمصر .

(٣) أورد العمرى فى كتابه « التعريف بالمصطلح الشريف » فصلا عن هذه الجوارح ، فانظره هناك ، ص ٢٢٤ – ٢٢٦ .

(٤) المنسر للطير الجارح مثل المنقار لغير الجارح .

(٥) آلة لجدح (أى لخلط) السويق ونحوه .

ثم نعت الشاهين :

انعت شاهينا بعيد المنهج يصبي بلون حسن مضرج
كأنما يطرف عن فيروزج أبرش أوتاد الجناح الحرج
كأن وشي ريشه المدرج من قائم منه ومن معوج
باقي حروف السطر المخرفج يفتلك فتك البطل المدجج
بكل كركي وكل حبرج

نعت البازى :

أمتدح البازى بمدح يطرى مرتجزا وفى قصيد الشعر
كأنه مكتمل بتبر فى هامة ململمة كالفهر
ذو منسر أقنى رجيب الشحر شثن المخاليب عظيم الشبر
/ أحرق طب بانتزاع النحر يأتى الأوز بانقضاء العمر /١١١ب
فكم له فيها بكل قطر من وقعة بالقتل أو بالأسر

نعت الزراق :

قد أغتدى بزرق جراز محض رقيق الزف والطراز
زين يد الحامل والقفاز قد طالما أوطن بالأهواز
ذو حجنات صدفة التوخاز مثل أشافى الصنع بالخراز
فهو يقد بذت الأجواز قد ابن باز وصنيع باز

نعت الفهد :

قد أغتدى والليل أحوى السد والصبح فى الظلماء ذو تعد
بأهرت الشدقين مر ميد طاوى الحشا فى طى جسم معد
وصحر بختى ونحر ورد كالليث إلا نمرة فى الجلد
لا خير فى الصيد بغير فهد

نعت الكلب :

أنعت كلباً ليس بالمسبوق مطهما يجرى على عروق

جاءت به الأملاك من سلوق كأنه فى المقــود المشوق
إذا عــدا عدوة لا معــوق يلعب بين السهل والخــروق
بأرنــب وثابــة عقــوق لعــب وليــد الحى بالدبوق
فالوحش لــو مرت على العيوق أنزلهــا داميــة الحلــوق

وإذ قد ذكرنا نعوت الجوارح والضوارى ، فلنضع صورة حلقة صيد الأطيار ومولانا السلطان فى أثنائها كالشمس فى أوج سمائها ومماليكه مستديرون حوله كمنطقة النجوم وشهب سناقر تنقض كالشهب الرجوم ،
١١٢ أ/ وبعضها أرسل / رفعة فهو فى جوه نجوم ، والصقور تتسابق والشواهين تتلاحق والكساير تهاوى من السماء إلى الأرض والجوارح تهافت عليها وتنقض لشرح النواظر فى حدائقها ، وتأخذ الأعين حظاً من تماثيل حقائقها . ثم توجه السلطان من الأهرام إلى البحيرة وبلغ منزلة العظامى ولما قضى الأوطار من صيد الأطيار ، عاد ركابه منصوراً وقلبه مسروراً ، فحضرت رسل الملوك إلى أبوابه متشرفة بلثم ترابه . شعر

جاءت لخدمتــه من الآفــاق منقادة تسعى على الأحــداق
كل الملوك لــه تدين محبــة ومهــابة منحت من الخــلاق
فالــروم تسأل سلمــه ووداده والكرج ترعب منــه فى الآفاق
والمغل تذعن طاعــة لجلاله وتوددا باللطف والإشفــاق
ملك أقام من المعالى موسمــاً يسمو علا عن موسم الأسواق
وسع الخلائق عــدله ونوالــه وجزيل بر دائم الإغــداق
لا زال فى نصر وعــز باذخ وسعــادة تزهو وملك بــاق

فمن جاءه رسل طقطا بن منكوتمر ملك بيت بركه وهم علاء الدين على ورفيقه ابن أخى أبكار ، أرسلهم يهنونه بجلوسه على كرسيه الشريف ، واستظهاره على من رام منازعته فى شرفه المنيف ، فأكرموا ووصلوا وجهزوا وسفر معهم بالجواب ناصر الدين محمد بن اليمنى ورفيقه . ووصلته رسل الروم من جهة ملكهم اندرونيقوس الأشكرى صاحب القسطنطينية شافعاً
١١٢ب/ فى الذمة ، ضارعاً / إليه فى النظر إليه بعين الرحمة وإجرائهم على عاداتهم

من أيام الخلفاء والملوك السلفاء . فأحسن قبولهم وأمر بأن يفتح لهم بعض كنائسهم المغلقة ، وأن تكون عين الرعاية بهم محدقة . ووصلت رسل الكرج من جهة قسطنطين ابن داوود صاحب كرجستان وتفليس ، يسأله إعادة كنيسة المصلبة [1] ، وقد كانت أخذت فيما مضى مغتصبة ، وهى معروفة بهم منذ القديم وبها كبير من رهبانهم مقيم ، فتمهلهم بإعادتها عدله العميم ، منفذاً أحكام الشريعة ، قاصداً رعاية المصلحة العامة وسد الذريعة ، وكتب إليه يأمره بالوصاة على المسلمين القاطنين بأقطار مملكته ورعايتهم وحياطتهم وتوفيرهم عن المضار وإعانتهم على إقامة وظائف الدين الحنيف ظاهرة الشعار وأن تكون كلمتهم فى الجوامع والمآذن عالية المنار ، ويستوصى بالمترددين من التجار ، ويراعيهم فى الإيراد والإصدار ، وهذا نفع متعد للإسلام هام للخاص منهم والعام . فلله عزماته التى قرنت بالتأييد وعدالته التى شملت الملى والذمى والقريب والبعيد . فهو إذاً أفضل الملوك طرا وأرفعهم فى الفخار ذكرا لأنه كان يقال أفضل الملوك من كان شركة بين الرعايا لكل واحد منهم قسطه ، ليس واحد أحق به من واحد منهم ، لا يطمع القوى فى حيفه ولا ييأس الضعيف عن العداد فيها له . . . . .

وكأن آدم حين حان وفاته … أوصاك وهو يجود بالحوباء
/ ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم … وكفيت آدم عيلة الأبناء /١١٣ أ

ثم أعاد هؤلاء الرسل مكرمين إلى مرسليهم يحدثون بما أحسن إليهم ويرفلون فى ذيول تشاريفه التى أسبغها عليهم : شعر

تأتى الوفود فلا الرغائب والمنى … ضيف ولا من معشر أكفاء
فلكل شعب منهم ما أملوا … ولكل حرب منهم ما شاءوا
ملك إذا نطقت علاه بمجده … خرس الوفود وأفحم الخطباء
ملك إذا أسدى إليك صنيعه … فالعود من كفيه والإبداء
ولذا ترى كل الملوك تطيعه … فكأنهم خول له وإماء
نزلت ملائكة السماء بنصره … وأطاعه الإصباح والإمساء

---

(١) وهى بظاهر القدس الشريف ، انظر العمرى ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

والدهر والأيام فى تصـــريفه والنـــاس والخضراء والغـــبراء
لا تسألن عن الزمان فإنـــه فى راحتيه يدور كيف يشاء

وهذا تدبير سديد تحسن مواقع صنعه ، وبذر سعيد تحمد عواقب زرعه وغرس مفيد تثمر مجانى أصله وفرعه ، فإن به يستجلب التجار وتؤنس النضار وتطيب الأسفار للسفار وتعمـــر الثغور وتستقيم الأمور وتنمى الضرائب والأواصر وتكثر البضائع والمتاجر وتتضاعف الأموال ويثرى بيت المال وتستغزر أرزاق الجيوش وتستكثر مواد الجنود . وقد كان يقال فى الحكم المأثورة والزبد المنثورة ، العالم بستان سياجه الدولة والدولة سياسة يسوسها
١١٣ب/ الملك والملك راع بعضده الجيش ، / والجيش جند يكفلهم المال ، والمـــال رزق تجمعه الرعية ، والرعية عبيد تتم العدل ، والعدل معروف وبه قوام العالم . ومولانا السلطان جماع هذه المآثر ومالك ملاك هذه المفاخر ، قد جمع الله له وفيه ما لم يجتمع لملوك العصور الذواهب وأتى طبعا لم يؤت غيره من تحنيك التجارب . شعر

ليس عـــلى الله بمستنكـــر أن يجمع العـــالم فى واحـــد

وشفع هذه المصالح ببث المنائح ، فجلس المجلس العام لإفاضة الإنعام ، فأعطى الخوائص المكللة والتشاريف المحملة وأفاض إينال نيله وسيوف سيله على أمراء دولته ومقدمى عساكره وأكابر أنصاره على مقادير مراتبهم أولا فأولا . فلم يبق فيهم إلا من خصه نواله وعمه إفضاله ، فأشرقت أيامه وراقت وأنافت على سائر الأيام وفاقت . فلذلك تطرزت بمحاسنه أردان الزمان وتأكدت محبته فى قلب كل قاص ودان . وخدم المملوك بهذه السيرة مقامه الأشرف وهى هذه السيرة المختصرة التى جمعت على اختصارها مناقب الدولة التركية وزيد أخبارها ووالده الشهيد واسطة عقودها وهو أعز الله أنصاره بدر سعودها ورسمت فيها مواقف الغزوات ومجالس الخلوات وصور المعاقل وهيئات الجحافل ، وتماثيل الحصون والمدائن التى استباحها الإسلام واستولى
١١٤أ/ عليها فى هذه الأيام إنفاقا للنشاط وانبعاثا / للاغتباط وجعلتها خمسين مقاما ذهبية لا خمسين مقامة حريرية ، كلها مبنى على التحقيق ، عرى من التلفيق ،

مستقرين بالمباشرة لأكثره ، والاستثبات لما لم أحضره من أيسره وجعلتها تقدمة مقبولة : شعر

الناصـــر الميمون طائره الذى | جـد المنيخ ببـــابه ميمـــون
ملك الملوك ابن السلاطين الأولى | ملكوا رقاب العـــالمين ودينوا
مجد تُوُورِث كابـــرا عن كابر | والدهـــر مقتبل وآدم طـــين
شغفت بدعوته المنـــابر يافعـــا | وصبا إليــــه المجـــد وهو جنين
شوق إليه بجوده غدق النـــدى | كلتـــا يديه للعفـــاة يمين
للملك مأوى فى ظلال إوانه | يأوى إليـــه النصر والتمـــكين
فاسلم لنـــا يا من بجدة ملكه | طابت لنا الدنيـــا وعز الدين
حتى تملك أرض بغداد الذى | ذخرت لسيفك أمها المأمون

وفى هذه السنة بلغ مولانا السلطان أعز الله نصره عن سيف الدين اسندمر الكرجى نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة أمور كرهها منه ، ومفاسد سمعها عنه ومظالم أجحفت بالرعية ونافت الأوضاع الشرعية ، فأراد عزله توفيراً لأهل المملكة الحلبية من أسباب الجور والأذية . فرسم للأمير سيف الدين كراى المنصورى والأمير شمس سنقر الكمالى والأمير سيف الدين بانبجار ، أن يتوجهوا بمن معهم إليه ويقبضوا عليه وكانوا قد نزلوا على حمص ، فساروا منها إلى حلب سيراً حثيثا وأحاطوا به بغتة ، وأخذ وحمل /مصفداً إلى الأبواب الشريفة صحبة الأمير سيف الدين بهادر المعزى وسيف /١١٤ب الدين بنجار ، فعنفه السلطان على سوء فعاله وأمر باعتقاله والحوطة على ماله ، فأرسل الأمير شمس قراسنقر يسأل إعادته إلى حلب ، فأجابه مولانا السلطان إلى ما طلب ورسم له بها وللأمير سيف الدين كراى المنصورى بنيابة دمشق ، وكتبت بتقاليدهما وأرسلت إليهما صحبة الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصر مقترنة بالتشاريف المزركشة والحوائص المجوهرة والسيوف المحلاه . وتوجه المذكور فى العشر الأخير من ذى الحجة على البريد المنصور . وفيها قبض أهل البيرة على الأمير سيف الدين طوغان نائب السلطنة الشريفة بها وشكوا عنه أموراً نسبوها إليه ، فأحضر إلى الأبواب الشريفة وسير إلى البيرة

سيف الدين أغرلوا والى قلعة صفد . ولما وصل سيف الدين طوغان إلى باب مولانا السلطان ، تبين براءته مما نسبه خصماؤه إليه ، فأفرج عنــه وخلع عليه ثم ولاه فيما بعد شد الدواوين السلطانية بالشام وأستاذيه الدار بها أيضا . وفى آخر ذى الحجة من هذه السنة ، أنهى إلى السلطان أن بتخاص المنصورى اتفق مع أمير موسى ابن الملك الصالح ولد مولانا السلطان الشهيد ومع جماعة من مماليك بيبرس الجاشنكير المتفرقين عند الأمراء ، أنهم يثبون وثبة ويثيرون فتنة ، وتواصوا على أن كلا منهم يثب على الأمير الذى هو عنده ، فيقتله فى
١١٥ أ/ يوم قرروه ويجتمعون بزعمهم إلى أمير موسى وبتخاص ، فطلب / السلطان بتخاص المذكور ليلة الخميس سلخ ذى الحجة وهو يومئذ ساكن فى القلعة بدار العدل الكاملية ، فامتنع وعصى وأظهر شق العصا ، فاستدعى السلطان الأمراء الساكنين فى القلعة ، فحضروا جميعا ، وبادروا بالإجابة سريعا . وتكررت الرسائل منه إلى بتخاص ليحضر إلى بين يديه ، فأبى وازداد تمنعا لما ازداد السلطان له طلبا ، وقيل أنه حاول الخروج من شباك فى هذه الدار تنهى إلى خارج سور القلعة ، فأدرك وللوقت أمسك وجيء به إلى السلطان ، فعنفه على كفران نعمته وسوء فعلته ثم أمر باعتقاله وطلب أمير موسى فهرب من بيته بالقاهرة واختفى ، ففتشت عليه بيوته وبيوت ألزامه وأخذ من وجد من مماليكه وخدامه ، وتضاعف التفتيش عليه والتنقيب والنداء بالترغيب والترهيب . ولما كان الظهر من يوم الجمعة دل على أنه مستتر فى دار شخص اسمه بلبان مملوك قطز بن الفارقانى بالوزيرية (١) ، فأخذ منها وحمل إلى القلعة وأمسك مماليك الجاشنكير الذين هموا بقتل الأمراء . ورسم السلطان بتسمير بلبان المذكور لإقدامه على هذا الأمر المحظور ، فصلب عصر النهار جزاءاً بسوء العمل ، وطوف وحمل ، فلما انتهى به التطويف إلى تحت القلعة تصدق السلطان عليه وأمر بفك وثاقه وإنزاله عن جذعه وإطلاقه ، فخلى عنه وعالج جراحته فبرأ ، وعج الناس بالدعاء لمولانا شكراً لرأفته وعفوه
١١٥ب/ ورحمته . / وأودع أمير موسى مكانا ممنوعا من التصرف وتنكرت حاله بعد

---

(١) حى من أحياء القاهرة .

التعرف ، فإن خروجه على السلطان كان من أعظم الطغيان وكبائر العصيان لأنه عضو من أعضاء جسده ومحله منه محل ولده : شعر

وظلم ذوى القــربى أشد مضاضة على المــرء من وقع الحسام المهند

وفى هذه السنة ، اتصل مولانا السلطان أعز الله نصره وعظم بما يؤثله من القربات ويؤثره من الحسنات أجره أن القلعة التى بمدينة الخليل عليــه السلام قد تهدمت ودرست آثارها ودثرت ، فرسم بعمارتها وأمر ببنيانها وإعادتها وتبرع لهــا من خاص ماله بجملة ، وعين ما لا لما يحتاج إليه من كلفة . وهذه من حسناته المأثورة ومثوباته المشكورة لأنها معقل يأوى إليه المسلمون وموئلا يلجأ إليه المضطرون ، فهى حرم ذلك الحرم وتجديدها من أعظم الكرم . وفيها احتفل نائب مولانا السلطان وولى دولته وغذى نعمته الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار أعز الله بعزه الأولياء والأنصار ،واقتدى بمخدومه فى تأثير المبار ، فاهتم بعمارة القلعة المعروفة ببرج داود بالقدس الشريف من فواضل إنعام مولانا السلطان التى أفاضها عليه وصيرها إليــه تأسيا بمولانا السلطان المخدوم واتباعا لهديه الذى تبع فيه والده المرحوم .

ودخلت سنة إحدى عشر وسبعمائة :

فيها رسم السلطان بعمارة جامع على شط بحر النيل ظاهر مصر المحروسة
١١٦ أ/ قبالة جزيرة الروضة وكانت / تلك المحلة خالية مـ جامع وأهل المحـال التى هناك يتمنونه فى مطارح المطامع ، وجعل مصارفه من خاص أمواله وطيب حلاله وريع أملاكه ، وحصل الاهتمام التام بأمره وركب مولانا السلطان لترتيب وضعه ، فجاء على غاية التمام والكمال ونهاية البهاء والجمال يحفـه النيل وتكنفه من جانب أشجار تحبوه بأنفاس زهرها الجميل وظلها الظليل ، فابتهجت به الآمال وسار ذكره فى الأعمال وكان ذلك من حسنات مولانا السلطان المشهورة ومحاسنه التى هى فى صحائف الأيام مسطورة ، فعظم الله أجوره ولا برحت مساجد الله بأيالته معمورة . ومما قيل فى الجامع المذكور وذكر ما صرفه مولانا السلطان إليه من المال المبرور أبيات :

(قال الراوى) :

. . . . أبداً بعزك دست ملكك معـلم
وجعلت شكران التمكن جامعا قد وفرت من أجـره لك أسهم
جاريت فيه النيـل نبلا فاغتـدى يجرى ليدرك ما تجـود وتنعم
عوضته بالتبن تبرا فاغتـدى قوت القلوب به ونعم المغنم
وبذلت حل المال فيه طيبـا والحل أطيب ما ينيل المنعـم
شرفت به تلك البقاع فأصبحت بعد الهوان مدى الزمان تعظم
وإذا نظرت إلى البقـاع وجدتها تشقى كما تشقى الرجال وتنعم

حقا دعوه جامعا لما غدا فيه الذى فنا سواه يقسم
متبسم عما يزوق وحسبه عذب فرات رشفه المستطعم
/ أنفقت فيه عظيم مال إنما أجر الذى أحرزت منه أعظم /١١٦ب
الله أعطاك الذى لم يعطه ملك على مر الزمان معظم
لا زلت فى درج السعادة راقيا تبنى من العلياء مالا يهدم

وفيها أرسل الأمير شمس الدين قراسنقر يسأل نقله من نيابة السلطنة بدمشق إلى نيابة حلب عوضا عن سيف الدين اسندمر ، وذلك أن اسندمر المذكور لما تولاها أجحف وأضعف وشدد العسف ، فأرسل السلطان إليه من قبض عليه وأحضره إلى القلعة المحروسة مكبلا وساقه إليها مع جلا . فلما سأل الأمير شمس الدين أن يكون بحلب ، أجابه مولانا السلطان إلى ما طلب للأمير سيف الدين كراى المنصورى بنيابة السلطنة بدمشق عوضا عنه ، فوليها مدة يسيرة ولابس أهلها منه شدة . وانتقل الأمير شمس الدين إلى حيث أراد. وقد قيل عودوا كل جسد بما اعتاد . وفيها نقل الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب من الوزارة إلى الحجبة عوضا عن الأمير شمس الدين سنقر الكمالى واستوزر القاضى أمين الدين عبد الله ناظر الصحبة الشريفة لما ظهر من دربته بتدبير الدولة وكفايته فى وظائف الوزارة ، وأفرج عن الأمير سيف الدين سالمى صدقة وإحسانا وتطولا وامتنانا . وفى العشر الأول من السنة ، ولى الأمير علم الدين سنجر الجاولى نيابة السلطنة المعظمة بغزة [1] عوضاً عن الأمير
سيف الدين قطلقتمر / السلحدار ، فتوجه إليها وأقام فيها ، وذلك أن مولانا / ١١٧ أ
السلطان أنس من قطلقتمر المذكور إهمالا لحفظ السواحل حتى طمعت فيها متحرمة الفرنج وتخطفت بعض السيارة . فرأى مولانا السلطان لاحتفاله بالممالك والثغور أنه ينبدب كافياً فى هذه الأمور . وفى العشر الأوسط من الشهر المذكور تغير الخاطر الشريف السلطانى على الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار لأمور جرت منه واتصلت بمسامع مولانا السلطان الشريفة عنه وعمن حوله ، فرأى الصواب عزله ، فعزله واعتزله وقبض عليه واعتقله ولم

(١) انظر نسخة هذا التقليد فى القلقشندى ، صبح الأعشى ، ١٢/٢١٢ .

يفجأه بسوء وقبض على صهريه وهما الكتمر وايدغدى العثمانى ومن يلوذ به من الأمراء الذين حصل التوهم من سوء بواطنهم والنفار من التئامهم وتعاونهم ، فكان المشار إليه ثميناً لما كان أميناً ، فلما خان هان . ثم بعد ذلك أرسله إلى الكرك وأمر بالتلطف به وجعل فى مكان جيد وسير إليه أهله وعياله ، فى ضمن النقمة تغمده مولانا السلطان بالرحمة . ورتب فى نيابة سلطنته الشريفة عبد نعمته الناشيء فى صدقة والده وصدقته بيبرس الدوادار جامع هذه السيرة ومخبر هذه الخبيرة ، وشرفنى بتشريفها المعلم وقلدنى سيفها المخذم ومنطقتها المرصعة باللآلىء وذوائبها التى تزهو أقلامها على الغوالى ، وأمطانى
١١٧ب/ جواداً من السوابق حصانا كريما من العوائق ، / بمركب من النضار الفائق وشملنى بالزيادة على ما كان بيدى من الإقطاع وأجابنى إلى ترك التكاليف التى لا تستطاع ، فاستخرت الله فى امتثال أوامره وتوكلت عليه فى الإعانة على مراضى خاطره ، وهو ولى الصلاح والفلاح وضامن النجاة والنجاح . وفيها أرسل الأمير سيف الدين أرغون الدوادار إلى دمشق للقبض على الأمير سيف الدين كراى لما شكا الناس من ثقل وطأته وجور جبرته وعسف ولايته فأخذ على خوانه بعد أن ألبسه تشريف سلطانه وجهز عوضا عنه الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى [١] النائب كان بالكرك ، ثم أرسل الأمير علم الدين سنجر الجمقدار بالقبض على قطلوبك نائب صفد لأحوال نقمها وأمور فهمها ، فأخذ لوقته وقبض عليه فى دسته ، ورسم للأمير سيف الدين بهادر آص بالتوجه إليها والنيابة فيها . فلله دره من ملك همام يقبض الأسود فى غاباتها ويستظهر ثنياته على وثباتها ، فهو المعنى بقول المتنبى . شعر

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت
لك المهابة ما لا تصنع البهم

ولما صير هؤلاء المذكورين فى الشرك، سيروا إلى قلعة الكرك . وفيها اتفقت وفاة أبى متملك دنقلة وهو أخو داود النوبى وتولى عنه عوضا أخوه كربتش

---

(١) انظر منشور تعيينه فى القلقشندى ، المرجع السابق ، ٣/١٨٢ ، ونسخة تقليده كفالة السلطنة ، نفس المرجع ، ١٢/١٢ .

فى شهر جمادى الأولى . وفيها قصد منصور بن جماز أمير المدينة المنورة
قتادة بن إدريس صاحب ينبع / فلم ينل منه مراما ، فانكفأ عنه راجعا بعد ١١٨ / أ
أن كان فى أخذ بلده طامعا . وفيها عادت رسل أوشين متملك الأرمن وخالته
الوافدة إلى الأبواب الشريفة مشمولين بالصدقات السلطانية ، ومما اتفق
لمولانا السلطان من السعادة والتمكين الذى لم يتفق لغيره من الملوك المتقدمين
أنه كان قد وفد إلى أبوابه أبو يحيى زكريا بن أحمد المغربى المعروف باللحيانى
ملتجئا إليه وفاراً ممن قصد أن يعدو فى بلاده عليه ، فأكرمه وحباه وقربه
وأدناه وأرسله إلى الحجاز الشريف حسب سؤاله مزوداً بالإنعام ، محبواً
بالعطايا الفرادى والتؤام . فلما رجع من الحج سأل العودة إلى بلاده وبينه
وبينها مفاوز مخيفة بها طوائف من الأعراب كثيفة . فالتمس إصحابه بجيش
من العساكر السلطانية لتوصيله إلى بلد أفريقية ، فرسم مولانا السلطان بتجريد
جماعة من أمرائه وجنده لتوصيله وتبليغه إلى مأمنه ومأموله ، فشرط على
نفسه أنه إن فتح الله عليه البلاد وبلغه منها المرام والمراد ، أقام نفسه بها مقام
غلام من غلمان الدولة ونائب فى أقاليم المغرب ، فلما كتب الله سلامته بحرمة
مولانا السلطان وسعادته ، وأقبل على أطراف البلاد وسمع الناس أن معه جمعا
من الأنجاد والأجناد ، عظم قدره فى نفوس الخواص والعوام وقالوا قد أمده
سلطان الإسلام ، فأهرعوا إليه وأهطعوا وأقبلوا نحوه ، وأسرعوا ومهدوا له
قبل وصوله ، وقبضوا على خالد صاحب بجاية وبادروا بتحصيله / وتكبيله ، ١١٨/ب
وأعطوا أبا يحيى أيديهم بالبيعة أولا فأولا ، فتمكنت قواعده ونجحت
مقاصده . وكان بإفريقية نائبا وخرج منها هاربا ، فصيرته سعادة مولانا
السلطان لها مالكا وفيها فاتكا ، ودخل تونس والسنجق المنصورى الناصرى
خافق على رأسه وقد استشعر الناس خوف بأسه . وكان دخوله إليها فى شهر
رجب وخطب له على منابرها وأذعن لطاعته جميع أكابرها . وكانت نسخة
البيعة له : « الحمد لله الذى جعل الخلافة سببا لصلاح الجمهور وضياء ونوراً
نصلح به عواقب الأمور وأهداها طريقة وأفضلها حقيقة أن يتولاها أهل
الديانة والحسب والمنصب العلى الجامع بين فضيلتى النسب والسبب المكمل
لطريقتى العلم والأدب ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة

فى أفضل (. . .) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله السامى فى أعلى الرتب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكون لنا من أفضل القرب ، ورضى الله عن الإمام المهدى المعلوم . أما بعد ، فإن الموحدين والأجناد والطلبة والجمهور من أهل حضرة تونس حرسها الله تعالى حضروا لشهود هــذا الكتاب وأشهدوا كلهم على أنفسهم أنهم عقدوا البيعة المرضية التامة لمولانا المعظم أبى يحيى أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته وخلد ملكهم وأبقى لكافة المسلمين بركتهم ، بيعة التزموا شروطها وأبرموا أصولها وفروعها عاملين
١١٩ أ/ فيها على الوفاء بها على الشروط المعتبرة شرعا / والأحكام الثابتة عقلا وسمعا ﴿ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله ، فسيؤتيه أجراً عظيما ﴾(١) وأشهدوا بذلك على أنفسهم على حال الصحة والطوع والرضى وجواز الأمر ، بتاريخ يوم الجمعة العاشر من شهر جمادى الأولى عام أحد أحد عشر وسبعمائة . وأشهد على نفسه ما صورته : « أشهد على نفسه الأمير الأجــل الأفضل الأكرم الأعز الأمجد الأرفع أبو سعيد بن الأمــير الأجل الأكرم الأفضل الأعز الأمجد الأرفع أبى العلاء إدريس المشهر بأبى دبوس أنه خرج عن جميع ما كان يحاوله مع العربان من النزول على البلاد ومحاربة أهلها ، وأنه تبين له أن ذلك كله ضرر عليه فى دينه ودنياه وأن جميع ما تلف من نفوس وأموال يطلب به بين يدى الله تعالى ، فخرج عن ذلك وبيده وسلم أمره لمولانا الأمير الأجل الأوحد الأحمد أبى يحيى بن مولانا الأمير الأجل المقدس المرحوم أبى العباس ابن الأمراء الراشدين أيدهم الله بنصره وأمدهم بمعونته وأدام أيامهم ونصر أعلامهم وخلد ملكهم ، فقال كل ما أمرونى به رضى الله عنهم فعلته ، فليس لى قصد غير التوجه لبيت الله الحرام برسم أداء الفريضة والإقامة هناك ، وأنه رأى صلاح دينه ودنياه فى ذلك ، فأشهد الله تبارك وتعالى على نفسه بذلك وكفى بالله شهيداً ، ثم بايع هو وأخوه أبو فارس مولانا الأمير الأجل الأعلى الأوحد على نفسه ، أبا يحيى المذكور نصرهم الله ، ومتع المسلمين ببقائهم بيعة سنية على ما بويع عليه رســول

---

(١) سورة الفتح ، الآية ١٠ .

الله صلى الله عليه وسلم ، / من السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، فشهد على إشهاده الأمير أبى سعيد وأخيه أبى فارس المذكورين بما نسب إلى كل واحد منهما ، فيه من عرفهما عينا واسما وحضر بيعتهما المذكورة وعاينهما وهما بحال الصحة والطوع والرضى ، وذلك بتاريخ الموفى عشرين من شهر جمادى الأولى عام أحد عشر وسبعمائة . وممن أطاعه ابن أبى دبوس الخارجى ، واصطلح مع الفرنج بهدنة مقررة لمدة معينة . فلله المنة فيما أنال هذه الدولة من التأييد والظفر بكل ناء وقريب وبعيد . وفيها أرسل مولانا السلطان سيف الدين بنبغا الأشرفى نائبا بالكرك عوضا عن سيف الدين ايتمش . وفى العشر الأول من شهر رجب توجه مولانا السلطان إلى الصيد بالوجه القبلى فى خواصه ومماليكه مستصحبا معه ملوك الطيور مقتصراً على السناقر دون الصقور وتصيد ما أمكنه وشرف بحوافر جياده تلك الأمكنة ، وانتهى إلى سيوط ومنفلوط . ولما قضى الوطر ، عاد محفوفا بالظفر ، فأفاض على الأمراء الأكابر والأصاغر والغائب منهم والحاضر الإنعام العـام والتشاريف الملوكية والقرضيات المزركشة البهية ، وأعطاهم الجرد المسومة مسرجة ملجمة ، وتعهد الجلوس بدار العدل فى الإيوان لسماع الدعاوى وشكى أصحاب الشكاوى وإنصاف المظلومين من الظالمين والنظر فى أحوال المسلمين ومصالح العالمين ، وبين / يديه كافة الأمراء والوزراء والموقعين والقضاة والمتعممين وأكابر دولته المقدمين وهم يومئذ : الأمير سيف الدين بكتمر السلاحدار الأبوبكرى ، الأمير سيف الدين أمير حاجب الناصرى ، الأمير شمس الدين سنقر الكمالى ، الأمير سيف الدين تمر الساقى ، الأمـير شمس الدين الدكز السلحدار ، والأمير سيف الدين قلى السلحدار ، والأمير حسام الدين قرالاجين السلحدار ، والأمير سيف الدين بابنجار ، الأمير علاء الدين ايدغدى السلحدار ، الأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير ، الأمير علاء الدين مغلطاى المسعودى ، الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى ، الأمير علم الدين سنجر الجمقدار ، الأمير سيف الدين سودى الجمدار ، الأمير علاء الدين أيبك الرومى ، الأمير سيف الدين جنكلى ابن البابا ، الأمير سيف الدين بلبان أمير جاندار ، الأمير ركن الدين بيبرس أمير جندار ، الأمير

(margin: ١١٩/ب at line 1; ١٢٠/أ at line 18)

علاء الدين مغلطاى ابن أمير مجلس ، الأشرف الدين حسين ابن جندر ، الأمير سيف الدين بهادر المعزى ، ومن يليهم من أصحاب المئين والطبلخاناه وأمراء العشرات وأرباب الأشغال والوظائف فى دولة صافية من الأكدار ، غامرة بالعدل والفضل أهل الأقطار :

غادرت جفوة الليــالى حنوا وألانت قلب الزمان القاسى

ولقد قال فى جلوسه بإيوانه بعض شعراء زمانه من أبيات أولها : شعر

شرفت إيوانا جلست بصدره فشرحت بالإحسان فيه صدورا
قــد كاد ينتعل الفراقد رفعــة إذ جاز منك النــاصر المنصورا
ملك الزمان ومن رعيــة ملكه من عــدله لا يظلمون نقيرا
لا زال منصور اللواء مؤيــدا أبــد الزمان وضــده مقهورا

١٢٠ب/ / أيضا فى المعنى :

يا ملــكا أطلع من وجهــه إيوانــه لمــا بــدا بــدرا
أنسيتنا بالعــدل كسرى فلن ترضى لنــا جــبرانه كسرا

وترتبت بين يديه الإقطاعات وأعطى من يديه الشريفة المثالات : شعر

ولم يستشر فى أمره غير نفسه الـ ـشريفة لمــا كان ذلك أحزما

وتجهز للحج بالناس فى هذه السنة بالركب المصرى الأمير سيف الدين بكتمر الأبوبكرى ، ومن حلب المحروسة الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب المملكة الحلبية ، ومن دمشق الأمير سيف الدين طنبغا الجمدار ، وفيها وفد الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى إلى الأبواب السلطانية مخبراً بأنه أغار هو وجماعة من آل فضل غارة ما بين هيت وتكريت على بيوت التتار الذين بتلك الأقطار ، ونالوا من العدو نيلا ، واستاقوا إبلا وخيلا ، وأحضر من أساراهم قوما ، فشمله الإنعام الشريف وحبى بالعطاء والتشريف . وفيها أمر مولانا السلطان بنقض الإيوان الذى بناه الشجاعى فى الدولة الأشرفية لأنه كره منه غلسا كان غالبا عليه وأركانا بقيت

فيه عند حدوث الزلزلة التي ذكرناها متقدما ضاق بها فضاه فكرهه لذلك وما ارتضاه ، وعزم أيد الله عزائمه وشيد بالعز دعائمه على أن يوسع ساحته وينور باحته لتنجاب ظلمته وتتسع بنيته . وانقضى شهر رمضان المعظم فى دعة وأمن لا خوف معه ، ورخاء به المعايش متسعة فقيل فى مناقب مولانا السلطان وهنائه بما أوتى من الإمكان / هذه الأبيات : / ١٢١ أ

بسلطان مصـــر ألبست بهجة مصر ... وعاودها بالنـــاصر العز والنصر
وعم الشآم الأمن والعـــدل شاملا ... وفى كل قطر منه قد هطل القطـــر
وماست به الدنيا اختيـــالا كأنها ... عروس تجلت للورى غادة بكر
وعاد إليها رونق العـــدل ظاهراً ... وأخصب من أرجائها البلد القفر
وتاه به الدهر ابتهاجا وفرحـــة ... ولا عجبا أن تاه عجبا به الدهـــر
ودانت له الآفاق شرقا ومغـــربا ... وصار له صيت به انتشر الذكر
هو المـــلك الميمون طائر سعده ... يلوح على أيام دولته البشـــر
يدبر أمر الملك تدبـــير حازم ... له معجزات ليس يدركها الفكر
برأى سعيد جـــل عن كل خاطر ... دقيق فلا زيد لديه ولا عمرو
أيا ملكا فاق المـــلوك بأسرهم ... فما لعظيم قدره عنـــده قـــدر
علوت فما للنجم دونك مصعد ... ونلت محلا دونه الشمس والبدر
أذقت العدى كأس الردى وفللتهم ... وأقللت من أعـــدادهم وهم كثر
وحاق بهم مكر الإله وقد بغوا ... فذلوا ومكر الله حقا هو المكر
ولم ينجهم منك الفرار مهـــابة ... وكروا فما أغناهم نحوك الكر
وذلـــوا لعز ناصـــرى مؤيد ... لرب البرايا فى تمكنـــه ســـر
وأوسعت أهل الود عزا ورفعة ... وبذل نوال ليس يدركه الحصر
وجازيت بالحسنى وليـــا ومخلصا ... بنحس ودون الربح حاق به الخسر
وأعطيت ما لم يعطـــه ملك مضى ... فشرد جيش العسر من جودك اليسر
عطاء لو ان البحر فاض ببعضه ... لفاض ولم ينهض بعشاره البحـــر
/ ضياعا وإقطاعا وخيلا عواتقا ... ومالا جزيلا طالما صانه الذخـــر /١٢١ب
وأحييت ميت العدل فى الأرض كلها ... وأنشرته من بعد ما ضمه القـــبر

جلست بإيوان الخـــلافة جابراً ... بعدلك من بالجور كان به كسر
فصيرت كسرى ذا انكسار وذلة ... وعن رفعة الإيمان ينخفض الكفر
فلم يبق مظلوم من العـــدل آيسا ... ولا ظالم إلا ونهنهه الزجـــر
فأسد الشرى ترعى مع النقد التى ... رعيت فلا بأس عليها ولا نكر
وسيد الغضا والشاء مأواهما معا ... وليس عليه منه خوف ولا ذعر
وسست الورى بالفضل والرفق والبقا ... سياسة بر دأبه اللطف والبر
فكم من يد كفت عن الجور كفها ... ولولاك لامتدت فأنت لها جـــزر
وقد خـــر خربندا لبأسك خاضعا ... مقراً وكل المغل من خيفة قـــروا
وفى الروم والإفرنج عزمك شائع ... فلا البر مسلوك إليك ولا البحـــر
وفى المغرب الأقصى لواؤك ناشر ... جناح انتصار حبـــذا ذلك النشر
ولاسمك فيه دان كل غضنفـــر ... وبايع سهلا كل ما شأنه العسر
فتونس فى ذكر بأنسك شامل ... أطاعك فى أقطارها العسكر المجر
فصقر قريش أنت حزما وعزمة ... وما اصطاد من قد صدته ذلك الصقر
فمن فى ملوك الترك تم له الـــذى ... أتمت لك الأقدار طوعا ولا فخر
وفى كل عام بعث جيشك راتب ... لحج وإرهاب به يحفظ المصـــر
على كل ثغر من ثغـــورك عصبة ... ومثلك من يحمى بعصبته الثغـــر
وأنشأت من أموال خاصك جامعا ... له قبة فى الحسن يحسدها الزهـــر
١٢٢ أ / / على النيـــل منه بهجة وطلاوة ... تناقلها الركبان والنفـــر والسفر
غدا جامعا للأجر والذكر جامعا ... وحسبك منـــه جنة حفها نهـــر
وقضيت شهر الصوم لله طائعـــا ... فخصك فى أيامه الغفر والأجـــر
ووافاك عيد الفطر بالسعد مؤذنا ... هنيئا لك العيـــد المبجل والفطـــر
وعبدك بيبرس لنعماك شاكر ... فلا انقضت النعمى ولانفد الشكر
وقد جمعت أفكار ملكك سيرة ... مصورة مما تخـــيره الفـــكر
ملوكيـــة تركيـــة عربيـــة ... مدبجـــة كالروض زينه الزهـــر
حوت دولة الترك التى أنت فخرها ... وزينتها يا من به افتخر العصـــر
تخبر أخبـــار الملوك التى مضت ... وقد نصها عبـــد لديه بها خـــبر
وصور فيهـــا كل حصن وقلعـــة ... أناخ عليها الجيش واحتاطها الحصر

وكيف التقى الجمعان فى كل معرك | وأثخن فى جيش العدى القتل والأسر
مقاماتها خمس وخمسون أتقنت | تخيل من لطف بها أنها سحر
وأيامك الغراء ختم كتابها | وذاك ختام منه يستنشق العطر
وقدمها بكراً عروسا عقودها | معاليك لا الدر المفضل والشذر
فللحظ منها نزهة فى حديقة | وللسمع من تشنيف أخبارها در
فعش يا مليك الأرض فينا مخلداً | وملكك ملك لا يتعتعه الدهر
بعزٍّ وإقبال وجد مجدد | مدى الدهر ما انجاب الدجى وبدا الفجر

وفى هذه السنة جرد السلطان طائفة من العساكر المنصورة صحبة أربعة
/١٢٢ب من مقدمى الألوف وهم: الأمير حسام الدين قرالاجين / أستاذ الدار والأمير سيف الدين أرغون الدوادار والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير ، وذلك أنه بلغه من المناصحين أن خربندا ملك التتار ربما يقصد الغارة على الشام ، فأخذ بمجامع الاهتمام وجرد صوارم الاعتزام وجهزوا إلى ثغور الإسلام حفاظا من الجيش اللهام . وكان توجههم فى شهر شوال . فلله در هذا الاحتفال الذى يحفظ الثغور والحصون ويتيقظ إذا غفت العيون . وفيها تجدد من أمر الأمير شمس الدين قراسنقر أنه لما التمس دستور الحج المبرور ، وأسعفه مولانا السلطان بالإجابة ، وجعل إليه أمر من يخلفه فى النيابة ، رتب بها مملوكا له يسمى بلبان جركس وتجهز وخرج منها ولم يسلك الجادة التى جرت بها العادة بل سار فى البرية وأخذ طريق صرخد حتى وصل إلى زيزا فى العشرين من شوال بمن معه من مماليكه وثقله . وورد الخبر بوصوله إليها متوجها ، ثم بعد ذلك ورد الخبر بأنه وصل إليه بعض مماليكه وهو بالمنزلة المذكورة ، فأوهموه وأوحوا إليه أن مولانا السلطان أبطن له مكراً وأضمر به غدراً وأوصى الأمراء المتوجهين إلى الحجاز بإمساكه سراً ، وثنوا عزائمه عن المسير وصدقوه بما ألقوه إليه من التخييل والتحذير ، فرجع من حيث جاء رجوعا لا يقع فيه أولو الحجى ، فما كان إلا أن جاءت بعودته
/١٢٣أ الأخبار متواترة والأنباء من النواب السلطانية متكاثرة ، وأنه توجه إلى / مهنّا بن عيسى فاستصحبه معه ، وأتى إلى حلب فمنعه أمراؤها وعسكرها من

الدخول إليها ، وقالوا له : أنت توجهت بدستور وعدت بلا دستور ، فلا سبيل لك إلى الدخول إلا بمرسوم . فلما يئس منها ، رجع عنها ، ثم استدعى مملوكه بلبان جركس ، فأرسله الأمراء إليـــه وحمله الوهم الذى خامره على الفرار وعدم القرار ، فمضى إلى زور السورية بشط الفرات ، وأرسل إلى مولانا السلطان يذكر ما حصل له من الأوهام والخطرات ويسأله قلعة من بعض القلاع ليأوى إليها بمن معه من الأتباع ، وكان العسكر المجرد أولا قد وصل إلى مدينة غزة ، فرسم لهم بالتقدم إلى دمشق واستصحاب طائفة من عسكرها إلى حمص خشية من اضطراب الأمور وثبات الجمهور ، وأرسل منها إلى السلطان قاصداً يشفع إليه فيه ، فأعاد الجواب عليه بما يطيب نفسه ويقر أنسه ويزيل لبسه ، وأرسل إليه تقليداً بالاستمرار على نيابته واستقراره بحلب على عادته . وكان المتوجه به الأمير سيف الدين طقطاى الناصرى ، وكتب إليه جماعة الأمراء الكبار كتابا مشتركا بما شمله من صدقة مولانا السلطان وإعادته إلى حلب إذ كانت إليه أحب الأوطان ، وتجهيزه على مقابلة مراسمه بالامتثال وقطع القيل والقال ، وإزالة الوهم والخيال . وجرد مولانا السلطان تجريدة ثانية فيها الأمير سيف الدين قلى السلاحدار والأمير شرف الدين
١٢٣ب/ حسين ابن جندر / وغيرهما فتوجهت هذه الطائفة فى شهر ذى الحجة وفى أثناء ذلك عبر الأمير شمس الدين قراسنقر الفرات بمماليكه وثقله ، فاختلف المماليك الذين معه وتفرقت آراؤهم وتشعبت أهواؤهم ، فانزعج منهم وخرج مغضبا عنهم فما انفصل يسيراً عن الوطاق حتى نشأ بينهم الشقاق وزال الاتفاق ووثبت طائفة منهم ، فنهبوا خزائنه وخيله وركبوا متركشين ومضوا لحالهم مشرقين ، فأرسل مماليكه الكبار إليه يعلمونه بما وقع ، فدعاه ذلك إلى أن رجع فوجد الحال على هذه الصورة ، فملكته الحيرة وانثنى على أنه يقصد إلى الأبواب الشريفة وينيب إلى العواطف الرحيمة ، وأرسل ولداً له يسمى فرج كان معه ومملوكه بلبان جركس وبعض مماليكه وقرر معهم أنه يكون فيما حول الفرات إلى أن يحضر إليه جواب ويصله مرسوم من الأبواب ، فلما وصلوا حلب جهز الأمراء ولده ومملوكه إلى الباب الشريف ، فأقبل مولانا السلطان عليهما

وأحسن إليهما وشرفهما بالخلع وأعاد بلبان إلى بلاد حلب ليجمع ما يختص بمخدومه من التعلقات ويكتب إليه بما يشمله من الصدقات ويعرفه أن الخواطر الشريفة ما غيرها عليه شيء من هذه الحركات ، وأقام ولده فرج عند أخيه على بالأبواب الشريفة ثم بعد ذلك أرسل مهنا بن عيسى أخاه فضلا إلى الأمراء مقدمى العسكر المنصور وهم يومئذ بحلب يخبرهم بأن الأمير شمس الدين قراسنقر حضر إليه داخلا / عليه ليلتمس له الصفح الجميل وأن يعين له المكان الذى ١٢٤ / آ يستقر به قراره ويكون عليه اقتصاره . وقد كان مولانا السلطان أرسل يأمره بالشوبك حسبما سأله على لسان مملوك من مماليكه اسمه عبدون فعرف الأمراء الأمير مهنا بهذه الصورة على لسان أخيه فضل ، وطالعوا بها الأبواب الشريفة فوافق مولانا السلطان على هذا وأمضاه وكتب الجواب إلى مهنا وإلى الأمراء بمقتضاه ورسم للعساكر بالانكفاء من حلب وزال ما كان من تقسم الأفكار بهذا السبب . وفيها وصلت الأخبار بأن خربندا قتل سعد الدين الساوجى صاحب الديوان ، ويحيى بن جلال الدين وشرف الدين اللآوى شيخ الشيعة ، والسبب فى قتله صاحب الديوان لأنه سعى به عنده أنه قد استحوذ على الأموال واستولى على الأعمال والعمال ، فطالبه بالمال الذى جمعه لنفسه واحتجنه فى أمسه وأول أمسه ، فحمل منه ما أمكنه ولما علم أنه قد استصفى أمواله ، أعدمه . وسبب قتله يحيى بن جلال الدين أنه كان قد تنافس هو وصاحب ماردين وقال عنه أن البنت التى زوجها بخربندا ليست بنته ، وإنما هى جارية من جواريه وتربية من ترابيه ، فلما تبين لخربندا كذبه ، قتله . وسبب قتل اللآوى الذى كان به يقتدى وبهدايته فى التشيع يهتدى ، أنه كان قد أخذه بالرفض [1] وحمله عليه وزينه له وحببه إليه ، فتابعه مدة ثم انكشف له ضلال مذهبه وفساد رأيه / وعقيدته ، ورأى أن مذهب السنة ١٢٤/ب أفضل واعتقاد الجماعة أمثل ، فجنح إليه ونزل عما كان عليه وأخذ شيخه المذكور بالرجوع إلى الصواب . فلما لم يفعل قتله وقتل أيضا إحدى خواتينه واسمها توتاى خاتون لأنها دست إليه سما فى طعام ، فلما نال منه أقام أياما لم

---

(١) أى على مذهب الرافضة .

يفق على نفسه ثم أفاق فقتلها وقتل الشرابي الذى أعانها على فعلها . وقيل إنه قتل زكريا أخا يحيى ، وهذان المذكوران ممن حضر إلى الشام فى نوبة قازان ، وكانا من شركائه فى الحيف والعدوان ، فسلط عليهما خربندا فاستأصل شأفتهما وأفسد صورتهما ، كقوله تعالى : ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ (١) . وفيها عزل خربندا سوتاى عن إمرة التومان الذى بديار بكر وأمر عليه البصمش وكان قبل أميراً على هذا التومان بهذا المكان . وفى العشر الأول من الشهر المذكور ، وصل إلى الأبواب الشريفة رسول الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن ، وصحبته الهدايا والطرف والألطاف والتحف من العود القمارى والعنبر السحرى والمسك والمتاع الهندى والقنا الخطى والخيل والخدام . فكانت هذه الهدايا حمل مائتى جمل ، ووقر مائتى حمال . ومثل الرسول الوارد من بنى رسول بالمواقف الشريفة المولوية السلطانية عظم الله شأنها وأعز سلطانها ، وقد اجتمعت الأمراء الأكابر ومقدمو العساكر وخواص الدولة وأعيان المملكة ، فشاهد ما بهره
١٢٥ أ / /وعاين ما أكبره ، وسمعت رسالته وقبلت هديته وشكرت خدمة مرسله وطاعته وأنزل بدار الضيافة على عادة أمثاله وضوعف فى أنزاله منذ إنزاله ، وفرق مولانا السلطان تلك الهدايا وصرفها فى العطايا . فعم بها وخص وجاد منها بالزيادة المنزهة عن النقص ، فخلد الله أيام ملكه ولا برحت عبيده شركاءه فى ملكه . وفيها وصل متملك نقله وهو يومئذ كربتس النوبى ، وكان نصبه بعد موت أخيه اياى ، وكلاهما أخو داوود النوبى الذى أحضره الأمير عز الدين الأفرم والأمير شمس الدين الفارقانى فى الدولة الظاهرية . وفى شهر ذى الحجة وصل كتاب الشيخ أبى يحيى زكريا بن أحمد اللحيانى ، صاحب المغرب ، يخبر بما استوسق له من طاعة تلك البلاد ، وينسب ذلك كله إلى الصدقات السلطانية التى عضدته ، والمراحم التى أسعفته ورفدته . وتوفى فى هذه السنة من العلماء بالعراق ، الشيخ قطب الدين الشيرازى (٢)

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٢٩ .

(٢) راجع ابن حجر ، المرجع السابق ، ٤/٣٣٩ ، والسيوطى ، بغية الوعاة ، ٢/٢٨٢ .

وكان إماما فى العلوم العقلية والأصول الفقهية والنحو واللغة والتصريف والبيان ، وبالديار المصرية القاضى مجد الدين بن الخشاب ، وكان من العلماء فى مذهب الإمام الشافعى ، والقاضى سعد الدين الحنبلى الحارثى البغدادى قاضى الحنابلة يومئذ ، ورسم مولانا السلطان أن لا يكون فى منصبه قاض مستقل للحنابلة بل نائب برتبة قاضى القضاة الشافعى ، للحكم بينهم . وفيها توفى الصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز بن الخليلى . وعيد مولانا السلطان / عيد الأضحى على عادته السعيدة فى أعوامه المديدة . ولما جلس السلطان قرأ ١٢٥/ب القارىء عشرا من القرآن ، وأنشد شادى المديح هذه الأبيات :

بدوام نصـــرك ينصر الإسلام	وبنور عصرك تشرق الأيام
وبيمن دولتك التى خضعت لها	دول الملـــوك تهنأ الأعـــوام
وببرك الوافى وبأسك فى الوغى	تعلو العلوم وترفع الأعــلام
أنت الذى لو رام حاسده كرى	سلت عليه سيوفها الأحــلام
أنت الذى أيامه أمن الورى	فيهـــا فـــكل زمانهم إحـــرام
أنت الـــذى أبوابه حـــرم به	أضحت صلاة المكرمات تقام
فتهن بالعيد الذى قبلت به	من برك الصدقات والإنعـــام
وابشر بما أهدى الحجيج من الدعا	بمنى إليك وقد سعوا وأقامـــوا
لا زلت منصور اللـــواء مؤيداً	ما صاح قمـــرى وناح حمام

قال العبد الفقير إلى الله تعالى، جامع هذه السيرة : هذا آخر ما انتهيت إليه فى هذه المجلدة المختصرة الموسومة بالتحفة الملوكية فى الدولة التركية المختصة بخدمة الخزانة الشريفة السلطانية الملكية الناصرية ، لا برحت مخصوصة بالشرف ، مخدومة بالتحف . وقصدت اختصارها لتعجيلها وإيجازها للإضراب عن تطويلها ، لتحلو مواقعها وتسهل على من يطالعها . ولو سردت تفاصيل السيرة الشريفة السلطانية لأطنبت ، ولو ذكرت غرائب آثارها لأسهبت . وأرجو ، إن فسح الله فى الأجل ، أن أبلغ فى سياقة / مآثرها ١٢٦ أ الشريفة الأمل . وأنا أدعو الله مخلصا أن يديم أيامها ويمد أعوامها حتى تتصل

بالخلود إلى اليوم الموعود ، وتملأ مآثرها صحائف الوجود . وأنا أسأل الصفح عن التقصير فى العبارة والجمل ، على أن هذه الأدوات ليست لى غريزة بل مستعارة إذ كان هذا المضمار ليس بميدان الأتراك ولا لهم فى حلبته اشتراك ، فأنا متعلق بالأذيال فى النسج على هذا المنوال :

إن تجــد عيبا فســد الخللا جل من لا عيب فيــه وعلا

* * *

وفى تاريخ سنة الحادى والعشرين ، برزت المراسم الشريفة السلطانية المالكية الناصرية بتجريد من تعين من الأمراء الموالى من العسكر المنصور من الديار المصرية صحبة المقر العالى المولوى الكبيرى الجمالى جمال الدين أقوش الناصرى المعروف بنائب الكرك المحروس ، والمقر العالى المولوى الأميرى الكبير السيفى طرشى ، والمقر العالى السيفى سيف الدين الماس الحاجب . ومن عسكر الشام المحروس ، المقر العالى المولوى السيفى سيف الدين بهادر آص ، والمقر العالى المولوى السيفى كجكل ، وعسكر حلب مضافا للمقر العالى المولوى العلائى علاء الدين الطنبغا الناصرى . النائب بها يومئذ ، وعسكر طرابلس المحروسة مضافا لخدمة المقر العالى المولوى الشهابى شهاب الدين قرطاى الناصرى ، وعسكر حماة المحروسة بمن معهم ، ونزلوا على مدينة إياس واشتد الحصار بينهم . وكان إقامتهم على الحصن المذكور مدة أربعين
١٢٦ب/ يوما ، وتهدمت أسوارها وأسرت / رجالها وسبى حريمها وأيتموا أولادها . وكان يوم عسير على الكافرين غير يسير . وانتقل العسكر المنصور إلى أماكنهم وصحبتهم الأسارى من أهل إياس وأعيانهم من النصارى يحجلون فى القيود والسلاسل إلى الديار المصرية . فقيل (١) :

قد ألف الناس أخبــاراً مدارهم فيها على ما حكاه السمع والبصـــر
وأنت ألفت تاريخا وقائعـــه فيها لك الورد يوم الروع والصدر

---

(١) انظر ماجاء فى Zettersteen, op. cit. ، حوادث سنة ٧٢٢ هـ ؛ وابن الوردى ، المرجع السابق ، ٢/٣٨٩ .

فكم وصفت حروبا لم تفتك وقد بذلت نفسك فيها الأجر والظفر
وكل حصن وإقليم نعت ، فقـد أتيت فيـه بما أملاكه النظـر
أبقيت للترك ذكراً قـد أبنت به للناس كيف غدا الإسلام ينتصر
فاسلم ، فأنت الذى فاق الأنام علا فالدين يعلـو به والملك يفتخر

مطالعـة :

طالعه فقير رحمة ربه البارى محمد بهاء الدين بن زكريا الأنصـارى الشافعى ، عفا الله عنهما فى أول سنة ٩٨٣ .

الفهارس

فهرس الأعلام

آدر ٨٣
آدم (عليه السلام) ٢٢١
الإبرنس ٦٢
ابشقا ١٦٦
ابطاى ٧٦ ، ٨٢
ابغا بن هولاكو (ملك التتار) ٥٥ ، ٦٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،
ابكار ٢٢٠
اجاى ٥٥
أحمد (ﷺ) ١٧٣
أحمد سلطان (تكدار) ٥٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩
أحمد بن طولون ٦١
أحمد بن محمد بن الحسن (أبو العباس الحاكم بالله) ٥١
أحمد بن محمد بن راشد الكندى المعروف بابن لاقى ١٨
الأحنف ١٨٢
إدريس (أبو العلا المشتهر بأبى دبوس) ٢٣٠
إدريس بن قتادة ٦٩
ارغون بن ابغا ١٠٨ ، ١٢٩ ، ١٤٥
ارغون الدوادار ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥
اروس ١٣٨
ازدمر المجيرى (حسام الدين) ١٦١ ، ١٧٦
أبو أسامة ١٩٨
اسلون خاتون ١٠٧
استدمر الكرجى (سيف الدين) ١٦٤ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧
ابن أسيد ١٩٨
الأشرف (صلاح الدين خليل) ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣
الأشرف (نجم الدين عمر) ١٤٥
الأشكرى ١٠٨
ابن اطلس خان ٨٩

اغرلو (سيف الدين) ٢٢٤
افرير ماهى صافاج ٦٤ ، ٧٠
اقسنقر الحسامى ١٣٨
اقسنقر الفارسى ١٧٧
اقسنقر الفارقانى (شمس الدين) ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٧
اقطاجى ١٦٦
اقطاى الجمدار الصالحى ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٦
اقطوان العلمى ١٥١
اقوش الأفرم ١٩٥
اقوش الرومى الحسامى ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٠
اقوش الكرجى الحاجب (جمال الدين) ١٥٧
اقوش الموصلى الحاجب ١٣٨
الاجو ٥٥
ألبصمش ٢٣٨
ألكان ١٦٦
ألكتمر ٢٢٨
الوحى ١٤٦
امطعيه ٥١
أمير جندار ١٣٩
أمير موسى (ابن الملك الصالح) ٢٢٤
أمين الدين عبد الله (القاضى) ٢٢٧
اناق السلحدار ١٣٨
اندرونيقوس الأشكرى ١٠٨ ، ٢٢٠
انص الجمدار (سيف الدين) ١٦٤ ، ١٦٥
انغاى قفجاق ١٩٤
انغيه (انغاى) ١٩٦
اورداى ٤٨
اوشين (متملك الأرمن) ٢٢٩
اولاجغان ١٦٦
اياجى الحاجب (ركن الدين) ١٠٠
اياى (النوبى) ٢٣٨
ايتمش السعدى أمير سلاح ٨٩
ايدغدى الشهرزورى ١٨٣ ، ٢١٦
ايدغدى العثمانى ٢٢٨
ايدغمش الحكيمى ٩٧
ايدكين البندقدار (علاء الدين) ٤٦ ، ٩٥ ، ٩٩
ايدمر الحلى (عز الدين) ٥٠

ايدمر الشمسى	١٦٧
ايل بصار (ابن طقطا بن منكوتمر)	٢١٣
ايناى الظاهر	١٩٥
أيوب ، بنو أيوب	٢٨ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٨٦
باطو بن ذو سخان بن جنكيزخان	٣٣
بايزه	٦٥
بتخاص أستاذدار	١٤٤
بتخاص (بطخاص)	١٤٣ ، ١٤٧
بتخاص (سيف الدين)	١٦٦
بتخاص المنصورى	٢٢٤
بجكا العزيزى (سيف الدين)	٦٢
بجكا العلائى (سيف الدين)	٨٩ ، ١٠٠
بدر الدين بن اتابك	٨٩
بدر الدين أمير سلاح	١٠٨ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٨
بدر الدين الأيدمرى	٥٠
بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح	٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠
بدر الدين بكتاش بن كرمون	١٠٠
بدر الدين بكتاش النجمى (أمير جاندار)	٩٥ ، ١٠٥
بدر الدين بكتوت بجكا	١٠٥
بدر الدين بكتوت العلائى	١٠٠ ، ١٣٦
بدر الدين بيدرا المنصورى	١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨
بدر الدين بيسرى الشمسى	٣٥ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٩
بدر الدين بيليك الأيدمرى	٥٠ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٠
بدر الدين بيليك الجاشنكير	١٩٧
بدر الدين بيليك الخازندار	٨٠ ، ٨٦
بدر الدين بيليك المسعودى	١٢٧
بدر الدين جنكلى ابن البابا	١٣١ ، ٢٣٥
بدر الدين الجوكندار	٢٠٢
بدر الدين الخازندار	٧٨ ، ٨٢
بدر الدين سلامش (ابن الملك الظاهر)	٩٠ ، ١٢٩
بدر الدين صبره	١٨٣
بدر الدين محمد بن بركتخان	٨٧ ، ٨٨
بدر الدين (الملك الرحيم صاحب الموصل)	٤٢
برامق	٤٠

بركة (الملك السعيد ابن السلطان الظاهر بيبرس) ٥٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠
بركة بن باطوخان بن دوشى خان (الملك السعيد ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٧١ ، ٨٦ ، ١١٨
بركة خان
ملك التتار)
برلطاى ١٥٦
برلغ ٦٥
برلغى (سيف الدين) ١٤٠ ، ١٤٩ ، ١٨٣ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٦
برلك (أخو طقطا بن منكرتمر) ٢١٣
البرنس (بوهيمند السادس) ٥٦
البرواناه (علاء الدين) ٨٤ ، ٨٥
بزلار (سيف الدين) ١٥٠
بكتاش الفخرى أمير سلاح (بدر الدين) ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠
بكتاش بن كرمون (بدر الدين) ١٠٠
بكتاش النجمى (بدر الدين) ٩٥ ، ١٠٥
بكتاش النجمى (ركن الدين) ٨٩
بكتمر الجوكندار (سيف الدين) ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٩
بكتمر الحاجب (سيف الدين) ٢٢٧
بكتمر الساق العزيزى (الأمير سيف) ٩٩
بكتمر السلاحدار (سيف الدين) ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٦
بكتمر الغتمى (الأمير سيف) ٩٩
بكتوت الأزرق ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧
بكتوت بجكا (بدر الدين) ١٠٥
بكتوت الجوكندار (المعروف بالفتاح) ٢٠١ ، ٢١١
بكتوت العلائى (بدر الدين) ١٠٠ ، ١٣٦
بكتى ٥٤
بكارة الهلالية ١٩١
أبو بكر الصديق ١٨٨
البكى الساق ١٥٧
البكى الظاهرى (فارس الدين) ١٥٠ ، ١٥٩
بلبان (مملوك قطز بن الفارقانى) ٢٢٤
بلبان التقوى (سيف الدين) ١٥٧
بلبان جركس (مملوك قراسنقر) ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
بلبان الحكيمى (سيف الدين) ١٨٠
بلبان الحلبى (سيف الدين) ١٣٣

بلبان الدكاجوكي (سيف الدين) ١٦٧
بلبان الرشيدى (سيف الدين) ٤٨
بلبان الزريقى (سيف الدين) ٨٩
بلبان الشمسى (سيف الدين) ١٠٨
بلبان الطباخى (سيف الدين) ٩٥ ، ٩٦ ، ١٣٢ ، ١٥٠
بلبان الطغريلى ١٩٨ ، ٢٠٠
بلبان المحمدى (سيف الدين) ١٨٨ ، ٢١٠
بلبان الهارونى (سيف الدين) ٨٩ ، ٩٧
بنت سكتاى بن قراجين (أسلون خاتون) ١٠٧
بندت زكريا (بنديتو زكريا) ١٦ ، ١٤٢
بندقدار (علاء الدين) ٨٩
بهاء الدين بعقوباالشهرزورى ١٦٥ ، ١٦٦
بهادرآص (سيف الدين) ١٦٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠
بهادر الجوكندار ١٤٩
بهادر الحاج (سيف الدين) ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٧
بهادر رأس النوبة ١٣٨
بهادر السلحدار ٢٠٩
بهادر المعزى (سيف الدين) ١٤٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢
بولاى ١٤٦
بيبرس الأحمدى ١٩٠ ، ١٩١
بيبرس البندقدارى (السلطان الملك الظاهر) ٦ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٨٥
بيبرس الجاشنكير (ركن الدين) ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٤
بيبرس الدوادار (بيبرس بن عبد الله المنصورى الناصرى الدوادار الخطائى) ٥ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤
بيبرس الرشيدى (ركن الدين) ٨٩ ، ٩٧
بيبرس الشرفى الملقب بالمجنون (ركن الدين) ١٩٧
بيبرس العلمى (ركن الدين) ١٥٧ ، ١٩٧
بيبرس الفارقانى (ركن الدين) ١٠٣
بيبرس المظفر ٦٣
بيتمش ١٣١
بيجار الرومى ١٠٧
بيجوا ٣٨
بيدغان الركنى ٨٩
بيدوا بن طرغاى بن هولاكو ٩٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦

بيليك الأيدمرى (بدر الدين) ٥٠ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٠
بيليك الجاشنكير (بدر الدين) ١٩٧
بيليك الخازندار (بدر الدين) ٨٠ ، ٨٦
بيليك المسعودى (بدر الدين) ١٢٧

تبّع ٢١٣
تدان منكو ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٨
تداون ٨٤
تقصوا (ركن الدين) ٨٩
تقطا بن منكوتمر ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٥٩
تكدار (أحمد سلطان) ٥٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩
التكفور (هيثوم الأول صاحب سيس) ٦٥
تلابغا ١١٨ ، ١٢٩
تمر ١٤٠
تمر الساق (سيف الدين) ١٦٤ ، ٢٠١
تنجوا ١٠٧
تورانشاه ٢٥
توقاى خاتون ٢٣٧
توقوا ٨٤

أبو ثابت (عامر بن عبد الله بن يعقوب المرينى) ١٨٠ ، ١٩٣
ثابت قطنة ٢٠٠

الجاشنكير الركن (ركن الدين) ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣
جرماغون (سيف الدين) ١٤٩
جاورشى (ابن قنغر) ١٤٠ ، ١٤٤
جاورشى المنصورى ٨٤
جبا (أخو سلار) ١٧٨
جبرك ٥١
جرماغو ٣٨
جرملك الناصر (سيف الدين) ٨٩ ، ١٣٢
جلنار ٩٨
جمال الدين أقوش (نائب الشام) ١٦٥
جمال الدين اقوش الأشرفى ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٢٨
جمال الدين اقوش الأفرم (نائب دمشق) ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٦

جمال الدين اقوش الشمسى الحاجب ٩٤ ، ١٦٧
جمال الدين اقوش الكرجى الحاجب ١٥٧
جمال الدين اقوش الموصلى (قتال السبع) ١٦٥ ، ١٧٨ ، ١٨٥
جمال الدين اقوش الناصرى (نائب الكرك) ٢٤٠
جمال الدين ايدغدى العزيزى ٥٦
جمال الدين خضر بن نوكيه ١٩٠
جمال الدين المحمدى ٤٥
جمغار ٤٩
جنقر ٧٥ ، ٧٦
جنكلى ابن البابا (بدر الدين) ١٣١ ، ٢٣٥
جنكلى ابن البابا (سيف الدين) ١٠٩ ، ١٧٥
جوان دبلين ٦١
جوبان بن تداون ١٦٦ ، ١٦٧

ابن حاتم ١٩٨
الحاج بهادر (سيف الدين) ٢١٧
الحاكم بالله(أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن) ٥١
الحاكم بأمر الله (الخليفة) ١٤٩ ، ١٦٢
حسام الدين أزدمر المجيرى ١٦١ ، ١٧٦
حسام الدين أستاذ دار ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٧
حسام الدين طرنطاى المنصورى ٩٢ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٥ ،
حسام الدين قرالاجين السلحدار أمير مجلس ١٨٨ ، ٢١٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٥
حسام الدين لاجين الجاشنكير ٢٣٥
حسام الدين لاجين العنتابى ٨١
حسام الدين لاجين السلحدار المنصورى ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣

الحسام بن باخل ١٦٧
الحسام لاجين الرومى أستاذ الدار ١٣٦
حسين الكردى (الطبردار) ٤٤
حصن الدين بن ثعلب ٣٧
بنو حصين ١٩٣
الحلبى (علم الدين سنجر الحلبى الصالحى) ٤٦
الحلّى (عز الدين أيدمر) ٥٢
حمدان بن صلغيه ١٤٨ ، ١٥٠
حميضة (ابن أبى نمى) ١٦٢ ، ١٧٤

خاص ترك الصالحى (ركن الدين) ٢٨
خالد (صاحب بجاية) ٢٢٩
خربندا (ملك التتار) ١٢٩ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨
خضر بن الظاهر (المسعود ابن الملك الظاهر) ٧٩ ، ١٠٨
الخضر (عليه السلام) ١٩٧
الخليفة المستكفى ١٦٤
ابن الخليلى ٢١٦

داود (أخو سلار) ١٧٨
داود (الملك الناصر ابن الملك المعظم ابن العادل) ٢٩
داود (ملك النوبة) ٨٣
داود النوبى ٢٢٨ ، ٢٣٨
ابن أبى دبوس الخارجى ٢٣١
دربای ٧٦ ، ٨٢
الدكز أستاذ الدار ١٦٥
دوتيه ٧٥ ، ٧٦

الذهبى ١٢

الراشد بالله ٥١
ربيعة ٢١٣
ركن الدين أستاذ الدار ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٧٨ ، ١٩٠ ، ١٩١
ركن الدين إياجى الحاجب ١٠٠
ركن الدين بكتاش النجمى ٨٩
ركن الدين بيبرس الأحمدى ١٨٨ ، ١٩٠
ركن الدين بيبرس أمير جندار ٢٣١
ركن الدين بيبرس الجاشنكير ١٥٥
ركن الدين بيبرس البندقدارى (الظاهر بيبرس) ٦ ز ٣٣ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٨٥
ركن الدين بيبرس الرشيدى ٨٩
ركن الدين بيبرس الشرقى الملقب بالمجنون ١٩٧
ركن الدين بيبرس العلمى ١٥٧ ، ١٩٧
ركن الدين بيبرس الفارقانى ١٠٣
ركن الدين تقصوا ٨٩
ركن الدين الجاشنكير ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ١٩٨
ركن الدين الجالق ٩٤

ركن الدين خاص ترك الصالحى ٢٨
ركن الدين قلج أرسلان ١٠٨
ركن الدين منكورس الدوادارى ٧١
بنو رسول ٢٣٨

رميثة (ابن أبى نمى) ١٦٢ ، ١٧٤
ريتر فون بيكيوتو ١٧
ريدافرانس (ملك فرنسا لويس التاسع) ٢٥

زكريا (أخو يحيى بن جلال الدين) ٢٣٨
زكريا بن أحمد المغربى المعروف باللحيانى (أبو يحيى) ٢٢٩
زيتون ٦٦
زين الدين كتبغا المنصورى (الملك العادل) ٧٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤
زين الدين مبارك أميراخور ١٨٨ ، ١٩٠

سابق الدين (ابن سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان صاحب صهيون) ٧٥
ساطلمش ١٤٣
ساطلمش الظاهرى ٩٧
ساطلمش (علاء الدين) ٩٠
أبو سالم (ابن أبى يعقوب المرينى) ١٨٠
سبوحى (ابن هولاكو) ٥٥
السخاوى ٩
سرطق (ابن باطو) ٣٣
سعد الدين الحنبلى الحارثى البغدادى ٢٣٩
سعد الدين الساجى ٢٣٧
سعد الدين بن عطايا ١٨٠
أبو سعيد (ابن الأمير أبى العلاء المشتهر بأبى دبوس) ٢٣٠ ، ٢٣١
ابن أبى سفيان (معاوية) ١٨٢ ، ١٩١
سكتاى بن قراجين بن جنغان نوين ١٠٧
سكز ٤٠
سلار ٨٤ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢١٤ ، ٢١٥
سلامش (بدر الدين) ابن الملك الظاهر ٧٩ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٤٩

سلامش بن افاك بن بنجوا	١٥١
سليمان (أبو الربيع المستكفى بالله ابن الحاكم بأمر الله)	١٦٢ ، ١٩١
سليمان بن داود (عليه السلام)	١٥٥
سليمان بن مهنا بن عيسى (علم الدين)	٢٣٢
سم الموت (عز الدين بغان)	٦٦
سموك	١٩٨
سنجر البندقدارى	١٤٠
سنجر الحلبى الصالحى (علم الدين)	٩٨
سنجر الدوادارى (علم الدين)	٩٨
سنجر الشجاعى (علم الدين)	١١١ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٣٢
سنجر صون (علم الدين)	٥٥
سنجر الغتمى (علم الدين)	١٦٤
سنجر المسرورى الخياط (علم الدين)	١١٨
سنجر المنصورى الشجاعى (علم الدين)	١١١ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٣٢
سنقر الأشقر (شمس الدين)	٣٥ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٣٢
سنقر الألفى (شمس الدين)	٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠
سنقر الباشقردى (علم الدين)	٩٤
سنقر الرشيدى	٥٠
سنقر الرومى (شمس الدين)	٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠
سنقر الكافرى	١٦٧
سنقرجاه (شمس الدين)	٩٠ ، ١٧٤
سنقر جاه الظاهرى	١٥٠
سنقر جاه المنصورى (شمس الدين)	١٥٤ ، ١٦٣
سوتاى	١٦٦ ، ٢٣٨
سودار	٥٥
سيف الدين أحمد (ابن مظفر الدين عثمان)	٧٥
سيف الدين بن أحمد	٨٩
سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى	٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥
سيف الدين اسحاق (المجاهد ابن الملك الرحيم)	٤٨
سيف الدين استدمر الكرجى	١٦٤ ، ١٩٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢٣
سيف الدين اغرلو	١٤٨ ، ٢٢٤
سيف الدين اقسنقر الفارقانى	٦٦
سيف الدين ألماس الحاجب	٢٤٠

سيف الدين أمير حاجب الناصرى	٢٣١
سيف الدين أنص الجمدار	١٦٤ ، ١٦٥
سيف الدين ايتمش السعدى	٩٧ ، ١٠٠ ، ٢٣١
سيف الدين باينجار الناصرى	٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣١
سيف الدين بتخاص	١٦٦
سيف الدين بجكا العزيزى	٦٢
سيف الدين بجكا العلائى	٨٩ ، ١٠٠
سيف الدين برلغى	١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٠
سيف الدين بزلار	١٥٠
سيف الدين بكتمر أميراخور	٢١٦
سيف الدين بكتمر أميرجندار	١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٧ ، ٢٠٩
سيف الدين بكتمر الجوكندار	١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
سيف الدين بكتمر الحاجب	٢٢٧
سيف الدين بكتمر السلاحدار	١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ٢١٦
سيف الدين بكتمر السلاحدار الأبو بكرى	٢٣١
سيف الدين بكتمر القتمى	٩٩
سيف الدين بلبان التقوى	١٥٧
سيف الدين بلبان الحكيمى	١٨٠
سيف الدين بلبان الحلبى	١٣٣
سيف الدين بلبان الدكاجوكى	١٦٧
سيف الدين بلبان الرشيدى	٤٨
سيف الدين بلبان الزريقى	٨٩
سيف الدين بلبان الشمسى	١٠٩
سيف الدين بلبان الطباخى	٩٥ ، ٩٦ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥٨
سيف الدين بلبان المحمدى أمير جندار	١٨٨ ، ٢١٠ ، ٢٣١
سيف الدين بلبان الهارونى	٨٩ ، ٩٧
سيف الدين بتبغا الأشرفى	٢٣١
سيف الدين بنجار	٢٢٣
سيف الدين بهادر آص	١٦٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠
سيف الدين بهادر الحاج	١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٧
سيف الدين بهادر المعزى	١٤٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢
سيف الدين بيدغان الركنى	٩٠
سيف الدين بيسرى الشمسى	١٣٦ ، ١٣٧
سيف الدين تمر الساقى	١٦٤ ، ٢٠١ ، ٢٣١
سيف الدين جاغان	١٤٩

سيف الدين جاليش أمير دار ٨٤
سيف الدين جرمك ٨٩
سيف الدين جنكلى ابن البابا ١٥ ، ١٦ ، ١٠٩ ، ١٧٥ ، ٢٣١
سيف الدين الرشيدى ٣٩ ، ٥٠
سيف الدين سالمى ٢٢٧
سيف الدين سلار أستاذ الدار ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ، ٢١٥
سيف الدين سودى الجمدار ٢٣١
سيف الدين طنبغا الجمدار ٢٣٢
سيف الدين طردج ٨٩
سيف الدين طغريل الإيغانى ١٦٦
سيف الدين طقطاى الساقى ١٨٨
سيف الدين طقطاى الناصرى ٢٣٦
سيف الدين طوغان ٢٢٣ ، ٢٢٤
سيف الدين عزاز ١٥٠
سيف الدين قجقار الحموى المنصورى ٩٠ ، ٩٤
سيف الدين قشتمر العجمى ٩٩
سيف الدين قطز المعزى ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢
سيف الدين قطلقتمر السلحدار ٢٢٧
سيف الدين قطلوبك ١٩٧ ، ٢٢٨
سيف الدين قفجاق ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٦
سيف الدين قلاوون الألفى المخدوم ٧ ، ٣٥
سيف الدين قلنجق ٩٠
سيف الدين قلى السلحدار ٢٣١ ، ٢٣٦
سيف الدين كراى التترى ٩٧
سيف الدين كراى المنصورى ١٥٨ ، ٢٠١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨
سيف الدين كرد ١٤٤ ، ١٥٧
سيف الدين كرمون التترى ٥١ ، ٥٦
سيف الدين كهرداش الزرّاق المنصورى ١٦٣
سيف الدين كوندك الساقى ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٧
سيف الدين الملك الجوكندار ١٥٥ ، ١٨٨
سيف الدين نوكيه السلحدار ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٧
سيف باينجار الناصرى ٢١٨
سيف بكتمر الساقى العزيزى ٩٩
السيفى طرشى ٢٤٠

السيفى (المقر بكتمر أمير جندار) ٢٠٩
السيفى كجكل ٢٤٠
السيوطى ١١ ، ١٢

الشافعى (الإمام) ٢٣٩
شجاع الدين اعزكو الزينى ١٦٤
الشجاع موسى ١٠٩
الشجاعى (علم الدين سنجر المنصورى) ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧
١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٣٢
شجر الدر ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩
شرف الدين حسين بن حندر ٢٣٢ ، ٢٣٦
شرف الدين عيسى بن مهنا ٩٩
شرف الدين قيران السكرى ١٢٧
شرف الدين اللاوى (شيخ الشيعة) ٢٣٧
شرف الدين مهنا بن عيسى (أمير آل فضل) ٢١٦
شرمون بن قبلاى ١٢١
الشريف المرتضى ٣٦
شمس الدين الأعسر ١٤٨
شمس الدين اقسنقر الفارقانى ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٧
شمس الدين اقسنقر كرتاى (كرتيه)السلاحدار ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٤
شمس الدين بهادر (ابن صاحب شميصات) ٧٨
شمس الدين الدكز السلاحدار ١٧٨ ، ١٨٥ ، ٢٣١
شمس الدين بن رسول (الملك المظفر صاحب اليمن) ١٠٣
شمس الدين سنقر الأشقر ٣٥ ، ٤٠ ، ٦٤ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ،
٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ،
١١٤ ، ١١٧ ، ١٣٢
شمس الدين سنقر الألفى ٨٧ ، ٩٠
شمس الدين سنقر الرومى ٤٨
شمس الدين سنقرجاه المنصورى ٩٠ ، ١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٧٤
شمس الدين سنقر السعدى النقيب ١٨٨
شمس الدين سنقر الكمالى ٢١٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٣٨
شمس الدين الفارقانى ٢٣٨
شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصورى ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ،
١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

شمس الدين كراى المنصورى ٢١٨
شمس الدين كرتاى (كرتيه) ١٤٤ ، ١٥٤
شمس الدين محمد بن السلعوس ١٢٥ ، ١٣٩
شمس الدين مروان ٦٦
شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول ١٤٥
شمس الرياسة ابن كبر ١٣
شهاب الدين حيدر ١٠٩
شهاب الدين قرطاى الناصرى ٢٤٠
الشيخ الصالح على البكا ٩١

صارم الدين أزبك الطغريلى ١٥٧
الصارم الجرمكي الحاجب ١٩٨
الصارم بن الرضى (صاحب العليقة) ٦٨
الصالح اسماعيل (ابن الملك الرحيم صاحب الموصل) ٤٢ ، ٤٨
صباوشى ابن قطلوشاه ١٦٦
صبيح (الطواشى) ٢٦
صرطق بن دوشى خان ٣٦
صغجق ٤٨
صلاح الدين خليل بن المنصور (الملك الأشرف) ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧
صلاح الدين يوسف (ابن الملك العادل أيوب) ٢٧ ، ٤٥ ، ١٢٧
صلاح الدين يوسف (ابن الملك العزيز) ٢٧ ، ٣٥ ، ٤٥
صمغار ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٤
صنداول ٤٩

ضياء الدين النشائى ١٨٠

طردج (علم الدين) ١٤١
طرشى (المقرالسيفى) ٢٤٠
طرغاى ١٤٦
طرقشى ١٤٠
طرنطاى الساقى ١٣٨
طرنطاى المنصورى (حسام الدين) ٩٢ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٥ ، ١٣٨
طريجى ٩٤
طغاى (ابن هولاكو) ٥٥
طغاى (أحد الخاصكية) ١٥٣

طغجى ١٥٣ ، ١٥٤
طغريل بن أجاى ١٦٦
طغريل الإيغانى (سيف الدين) ١٦٣ ، ١٦٦
طقصوا ١٣٢
طقطا (تقطا) بن منكوتمر ملك بيت بركة ١٥٢ ، ١٥٩ ، ١٨٠ ، ٢٢٠
طقطاى الساقى (سيف الدين) ١٨٨
الطنبغا الجمدار ١٣٨
طوغان ١٦٦
طوغاى (ابن هولاكو) ٥٥
طيبرس الوزيرى (علاء الدين) ٤٦ ، ٧٣ ، ٩٩
طيطق ١٦٦ ، ١٦٧

الظاهر بيبرس (ركن الدين البندقدارى) ٢٥ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١١٥ ، ١١٦

العادل أيوب ٢٧
العادل (بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر) ٩٠
العادل (زين الدين كتبغا المنصورى) ١٤٤
عامر بن عبد الله بن يعقوب المرينى (أبو ثابت) ١٨٠ ، ١٩٣
العباس (ابن أحمد بن طولون) ٦١
أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن الحاكم بالله ٥١
أبو العباس (ابن الظاهر بالله) ٤٧
أبو العباس (والد الأمير أبى يحيى) ٢٣٠
عبد الرحمن (رسول أحمد سلطان) ١٠٩
عبدالله (أمير) ١٤٠
عبدون (مملوك) ٢٣٧
عثمان (فخر الدين ابن المغيث بن العادل) ٤٧
عز الدين الأفرم ٣٧ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٢٣٨
عز الدين أيبك الأفرم (أمير جاندار الصالحى) ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٩
عز الدين أيبك البغدادى ١٧٤
عز الدين أيبك التركمانى الصالحى (الملك المعز) ٢٦ ، ٢٧
عز الدين أيبك الحموى ٨٩ ، ١٣٢ ، ١٤٧ ، ١٥٠
عز الدين أيبك الدمياطى ٧٦ ، ٧٧
عز الدين أيبك الرومى ١٨٨ ، ٢٣١
عز الدين أيبك الموصلى ١١٥
عز الدين أيدمر (نائب دمشق) ٩٠
عز الدين أيدمر الحلّى ٥٢ ، ٦٥

عز الدين أيدمر الرقا ١٦٧
عز الدين أيدمر الخطيرى ١٨٨ ، ٢٠٢ ، ٢٣١
عز الدين أيدمر السيفى ١١٨
عز الدين أيدمر النقيب ١٦٧
عز الدين الحبشى ٨٩
عز الدين الخازندار ١٦٥
عز الدين عثمان (صاحب صهيون) ٦٦
عز الدين كرجى الظاهرى ٩٤
عز الدين يوغان الركنى (الملقب سم الموت) ٥٨ ، ٦٢
عزاز (سيف الدين) ١٥٠
العزيز (ابن الملك الناصر صاحب حلب) ٤١ ، ٤٤
عطيفة (ابن أبى نمى أمير مكة) ١٦٢ ، ١٧٤
علاء الدين أقطوان الساقى ٨٩
علاء الدين أمير حاجب ١٧
علاء الدين ايدغدى الخوارزمى ١٧٧ ، ١٩٢
علاء الدين ايدغدى السلحدار ٢٣١
علاء الدين ايدغدى شقير ١٤٩
علاء الدين ايدغدى الشمسى المعروف بالتليلى ١٧ ، ١٧٧ ، ١٩٢
علاء الدين ايدكين البندقدار ٤٦ ، ٩٥ ، ٩٩
علاء الدين بن البرواناه ٨٤ ، ٨٥
علاء الدين بندقدار ٨٩
علاء الدين بن الجاكى ١٦٧
علاء الدين بن دزا ١٦٧
علاء الدين ساطلمش ٩٠
علاء الدين الطنبغا الناصرى ٢٤٠
علاء الدين طيبرس الوزيرى ٤٦ ، ٧٣ ، ٩٩
علاء الدين على (رسول طقطا) ٢٢٠
علاء الدين على (المظفر ابن الملك الرحيم) ٤٤ ، ٤٨
علاء الدين على (الملك الصالح) ٥٦ ، ١١٩
علاء الدين قراسنقر الساقى ١٠٥
علاء الدين كشتغدى الشمسى ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧
علاء الدين كشتغدى المنصورى أستاذ الدار ١٣٨
علاء الدين كندغدى أمير مجلس ٨٩
علاء الدين كندغدى الوزيرى ٨٩
علاء الدين مغلطاى ٢٩
علاء الدين مغلطاى ابن أمير مجلس ٢٣٢
علاء الدين مغلطاى المسعودى ٢٣١

علم الدين اراجوش المنصورى ١٥٨
علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى ٢٣٢
علم الدين سنجر الجاولى ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٨٠ ، ٢٢٧
علم الدين سنجر الجمقدار ١٨٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣١
علم الدين سنجر الحلبى الصالحى ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٠
علم الدين سنجر الدواداری ٩٨
علم الدين سنجر صون ٥٥
علم الدين سنجر الغتمى ١٦٤
علم الدين المسرورى الخياط ١١٨
علم الدين سنجر المنصورى المعروف بالشجاعى ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ٢٣٢
علم الدين سنقر الباشقردى ٩٤
علم الدين الشجاعى ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٨
علم الدين الصوابى ١٧٤
علم الدين طردج ١٤١
على (أخو شمس الدين قراسنقر) ٢٣٧
على (ابن الملك الرحيم) ٤٢
على البكا (الشيخ الصالح) ٤١ ، ٩١
على ناق ١٨٣
ابن العماد ١٢
عماد الدين اسماعيل (ابن الأفضل علاء الدين على) ٢١٦
عماد الدين بن السكرى القاضى ١٦١ ، ١٧٦
عمر (أخو تمر) ١٤٠
عمر الفاروق (عمر بن الخطاب) ١٧٢ ، ١٨٨
عمرو بن مخلول (من أمراء العربان) ٧٨
عيسى بن مريم (عليه السلام) ٢١٥ ، ٢١٦
عيسى بن مهنا (الأمير شرف الدين) ٧٣ ، ٨١ ، ٩٣ ، ٩٩
غازان ١٧٠
غازية خاتون ٨٣ ، ١١٩
غرلو (سيف الدين) ١٤٧ ، ١٤٨
غياث الدين كى خسرو بن ركن الدين قلج ارسلان ١٠٨
أبو الغيث (ابن أبى نمى أمير مكة) ١٦٢ ، ١٧٤

فارس الدين اقطاى الجمدار الصالحى ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٦
فارس الدين البكى الظاهرى ١٥٠ ، ١٥٩

أبو فارس ٢٣٠ ، ٢٣١
فتح الدين بن صبره المهمندار ١٧٧
فخر الدين (ابن سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان) ٧٥
فخر الدين اياد المقرى ٧٤ ، ٩٦ ، ٩٨
فخر الدين اياز الشمسى ١٨٠
فخر الدين الحلّى ١٤٨
فخر الدين بن الخليلى ٢١٠
فخر الدين الطنبا الفائزى ٦٨
فخر الدين عثمان بن المغيث بن العادل ٤٩
فخر الدين عمر بن عبد العزيز بن الخليلى ٢١٠ ، ٣٩
ابن الفرات ١٧
فرج (ابن شمس الدين قراسنقر) ٢٣٦ ، ٢٣٧
فضل (أخو مهنا بن عيسى) ٢٣٧
آل فضل ٩٩

قازان بن ارغون بن ابغا بن هولاكو ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ، ٢٣٨
القازانى ١٩٦
بنو قاقان ٧٧ ، ٨٥ ، ١٧٢
القاهر (بدر الدين بيدرا) ١٣٦
قبار ذخشى ٤٨
قبجاق ١٥١
قبغرطاى (ابن هولاكو) ٥٥
قبلان قان بن طلوا ١٢١
قبلاى ١٤٠
قتادة بن إدريس (صاحب ينبع) ٢٢٩
قجقار الحموى (سيف الدين) ٩٠
قجقار المنصورى (سيف الدين) ٩٤
قجقرا أمير مجلس ١٣٩
قجماز السلاحدار ٢١١
قراسنقر الجوكندار المنصورى (شمس الدين) ٩٨ ، ١٠٧ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧

قراسنقر الساق (علاء الدين) ١٠٥
قراسنقر المعزى ٩٣
قراسنقر المنصورى ٢١٦
قرالاجين (حسام الدين) ١٨٨ ، ٢١٠
قرمشى بن أناق ١٦٦
قزان (قازان) ١٢٩
قسطنطين بن داود ٢٢١
قشتمر (مملوك قراسنقر) ١٧٧
قشتمر الشمسى ١٧٧
قشتمر العجمى (سيف الدين) ٩٩
قشتمر المظفرى ١٧٧
قشتمر النجيبى ١٧٧

قطب الدين الشيرازى ٢٣٨
قطز بن الفارقانى ٢٢٤
قطز المعزى (سيف الدين) ٣٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢
قطغوا ١٤٦
قطقطوا ١٥١
قطلوبغا ١٩٥
قطلوبك (سيف الدين) ٢٢٨
قطلوشاه (أتابك الجيش ونائب قازان) ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٨
قفجاق (سيف الدين) ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ٢١٦
قفجاق المنصورى ٨٤
قلاوون الألفى (سيف الدين) ٥ ، ٣٥
قلاوون الألفى الصالحى (الملك المنصور سيف الدين) ٥ ، ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٥٥ ، ٢٠٥
قلج أرسلان (ركن الدين) ٤٢ ، ١٠٨
قلنجق (سيف الدين) ٩٠
قمجاز السلاح دار ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١
قنان ٥١
قنغر ١٤٠ ، ١٤٤
قومشى ١٠٧
قيران السكرى (شرف الدين) ١٢٧

الكامل (سنقر الأشقر) ٩٢ ، ١٠٥
ابن كبر (شمس الرياسة) ١٣

كتبغا	١٤٣
كتبغا المنصورى (زين الدين)	٧٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ١٩٢ ، ٢١٠
كجكل (المقر العالى المولوى السيفى)	٢٤٠
كراى	٥١
كراى المنصورى	١٦٣
كربتش النوبى	٢٢٨ ، ٢٣٨
كرتاى (شمس الدين)	١٤٤
كرجى	١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤
كرد (سيف الدين)	١٤٤
كرمون (سيف الدين التترى)	٥١ ، ٥٦ ، ٨٧
كريم الدين عبد الكريم العجمى	١٦٢
كسرى	١١١ ، ١٦٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤
كشتغدى الشمسى (علاء الدين)	٨٩ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٢٦
كشتغدى المنصورى أستاذ الدار (علاء الدين)	١٣٨
ككتاى	١٤٦
كلود كاهن	١٣
كمال الدين بن يونس (قاضى الموصل)	١٦١
كندس طبل (الكند) حاكم انطاكية	٦٣
كندغدى (علاء الدين أمير مجلس)	٨٩
كندغدى الوزيرى (علاء الدين)	٨٩
كهرداش (سيف الدين الزراق المنصورى)	١٦٣
كوندك الساقى (سيف الدين)	٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٧
كيخاتوا بن ابغا	١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٤٦
كيقباد بن كيخسرو (السلطان علاء الدين صاحب الروم)	٣٦
كيكاوش (ابن كيخسرو بن كيقباد)	٤٢
لاجين الرومى (الحسام)	١٣٦
لاجين الزينى	٨٧ ، ٨٨
لاجين السلحدار المنصورى (حسام الدين)	٩٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣
لاجين العنتابى (حسام الدين)	٨١
ابن لاق (أحمد بن محمد بن راشد الكندى)	١٨
ليفون بن هيثوم	٥٨ ، ٥٩ ، ١٨٣

ماتويل (ريّس الغراب) ١٤٢
مبارز الدين اولبا بن قرمان (المبارزين قرمان) ١٦٦ ، ١٦٧
مبارز الدين الطورى الطبردار ٧٤
مبارك أميراخور (زين الدين) ١٩٠
المتنبى ٢٢٨
مجاهد الدين قايماز الموصلى (الطواشى) ٧
المجاهد سيف الدين اسحاق (ابن الملك الرحيم) ٤٨
مجد الدين الخشاب ٢٣٩
أبو المحاسن ١٧
محمد (ﷺ) ٥ ، ١٠ ، ٢٣ ، ٢٠٣
محمد (ابن السلطان الملك المنصور) ٢٤
محمد (ابن السلطان الملك الناصر) ١١٣
محمد بن بركة خان (بدر الدين) ٨٧
محمد (السلطان الملك الناصر ناصر الدين) ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦
محمد خواجا ١٣٨
محمد بن سعد بن على بن قتادة الحسنى (أبو نمى أمير مكة) ١٦٢
محمد بن السلعوس (شمس الدين) ١٢٥ ، ١٣٩
محمد بن عثمان (صاحب تلمسان) ١٩٣
محمد بن قلاوون ١٢ ، ١٧
المخدوم الشهيد (السلطان سيف الدين قلاوون الصالحى) ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١
مريشكر ٨٣
آل مرا ٩٩
المرينى (أبو يعقوب صاحب مراكش) ١٩٢
المستعصم بالله (الخليفة العباسى) ٤١
المستكفى (الخليفة ، أبو الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله) ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٩١ ، ١٩٩
المسعود (ابن الملك المظفر صاحب اليمن) ١٤٥
المسعود (نجم الدين خضر بن الظاهر) ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٤٩
المسيح (عليه السلام) ١٢٣
مضر ٢١٣
مظفر الدين موسى (ابن الملك الصالح علاء الدين على) ١١٩

مظفر الدين موسى (الملك الكامل ابن الملك المسعود) ٢٨
المظفر (الركن أستاذ الدار) ١٩١
المظفر (الملك المظفر سيف الدين قطز المنصورى) ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٩
المظفر (علاء الدين على ابن الملك الرحيم) ٤٨
المظفر (يوسف بن عمر بن رسول صاحب اليمن) ١٠٣ ، ١٤٥
معاوية (ابن ابى سفيان) ١٨١ ، ١٩١
المعتصم بالله (الخليفة العباسى) ٣٨
المعز (الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى الصالحى) ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢
ابن المعز ١١٦ ، ١٩٥
معين الدولة سليمان البرواناه ٧٤ ، ٨٢
مغلطاى آيت اغلى ١٩٥
مغلطاى القازانى ١٩٤ ، ١٩٦
المغيث بن العادل (صاحب الكرك) ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٧
مقبل (ابن جماز بن شيحة) ٢١٦
المقر السيفى بكتمر أمير جندار ٢٠٩
المقر العالى السيفى سيف الدين الماس الحاجب ٢٤٠
المقر العالى المولوى الأميرى الكبير السيفى طرشى ٢٤٠
المقر العالى المولوى سيف الدين بهادر آص ٢٤٠
المقر العالى الشهابى شهاب الدين قرطاى الناصرى ٢٤٠
المقر العالى المولوى العلائى علاء الدين الطنبغا الناصرى ٢٤٠
المقر العالى المولوى الكبير الجمالى جمال الدين أقوش الناصرى ٢٤٠
المقريزى ١٧
الملك الجوكندار (الأمير سيف الدين) ١٨٨ ، ١٩٠
الملك الأشرف (صلاح الدين خليل بن الظاهر بيبرس) ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٩ ، ١٤٥
الملك الرحيم (بدر الدين صاحب الوصل) ٧ ، ٤٢ ، ٤٨
الملك السعيد (ناصر الدين محمد بركة خان ابن الظاهر بيبرس ٥٢ ، ٥٥ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١١٩
الملك الصالح (اسماعيل ابن الملك الرحيم) ٤٨
الملك الصالح (علاء الدين على) ٥٦ ، ١١٩
الملك الصالح (نجم الدين أيوب) ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩

الملك الظاهر (ركن الدين بيبرس البندقدارى) ٦ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٦٠ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩١ ، ١١٥ ، ١١٦
الملك العادل (بدر الدين سلامش ابن الظاهر بيبرس) ٩٠ ، ١٢٩
الملك المظفر (شمس الدين يوسف بن رسول صاحب اليمن) ١٤٥
الملك المعز (عز الدين أيبك التركانى) ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١
الملك المنصور (حسام الدين لاجين) ١٤٨
الملك المنصور (ابن الملك المظفر صاحب اليمن) ١٤٥
الملك المنصور (سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى) ٥ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٥٥ ، ٢٠٥
الملك المنصور (ناصر الدين محمد صاحب حماة) ٤٤ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٩٩ ، ١١٠
منصور بن جماز بن شيحة (أمير المدينة النبوية) ٢١٦
منكوتمر (مملوك حسام الدين لاجين) ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥
منكوتمر بن طوغان ٦١ ، ١٠٧ ، ١٠٨
منكوتمر بن هلاوون ١٠٦
منكوتمر بن هولاكو ٥٥ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ٩٩
منكورس الدواداری (ركن الدين) ٧١
منكوقان ٣٣
مهنا بن عيسى (شرف الدين أمير آل فضل) ١٣٣ ، ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧
موسى (عليه السلام) ١٩٧
موسى بن المسعود (الملك الأشرف) ٢٨
مولاى ١٦٦
المؤيد (هزبر الدين ابن الملك المظفر) ١٤٥ ، ٢٣٨
ناصر الدين (الملك المنصور صاحب حماة) ١١٠
ناصر الدين بن الحلى ١٥٧
ناصر الدين على خواجه ١٦١
ناصر الدين محمد (الملك المنصور صاحب حماة) ٤٤
ناصر الدين محمد (الملك الناصر ابن الظاهر بيبرس) ١٣٨ ، ١٤٦
ناصر الدين محمد بن باشقرد الناصرى ١٦٥
ناصر الدين محمد الشيخى (والى الجيزة) ١٧٤
ناصر الدين محمد بن المحبى الجزرى ١٠٨
ناصر الدين محمد بن اليمنى ٢٢٠
الناصر (صاحب حلب) ٤١

الناصر (صلاح الدين يوسف بن أيوب) ٢٧ ، ٤٥ ، ١٢٧
الناصر (صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز) ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٤٤
الناصر (السلطان الملك الناصر قلاوون الألفى الصالحى) ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٣٥
الناصر (ناصر الدين محمد بن قلاوون) ١٢ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣
ناصعيه ٥١
نامون ١٨٠
نجم الدين أيوب (الملك الصالح) ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٩
نجم الدين خضر بن الظاهر (الملك المسعود) ٩٢ ، ٩٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٤٩
نجم الدين عمر (الملك الأشرف المظفر صاحب اليمن) ١٤٥
نمر (ابن هولاكو) ٥٥
أبونمى (نجم الدين أمير مكة) ٦٩ ، ١٦ ، ١٧٤
نور الدين على ٣٩ ، ٤٢
نوغاى ٧١ ، ١٣٨
نوغيه بن مغل بن دوشى خان ٣٧ ، ١٥٢ ، ١٥٩
نوكيه ٥١
النويرى ١٧

هزبر الدين (المؤيد صاحب اليمن) ١٤٥ ، ٢٣٨
هلاوون ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢١
هولاكو ابن طول ٣٧ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٥
هيثوم بن قسطنطين ٥٨ ، ٧٢ ، ١٨٣
الواثق ١٤٥
ولاجو ٤٨

يتوا ٥١
يحيى بن جلال الدين ٢٣٧ ، ٢٣٨
أبويحيى زكريا بن أحمد المغربى المعروف باللحيانى ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٨
أبو يزيد بن خربندا بن أرغون ٢١٣
يعقوب الشهر زورى ٨٩
أبو يعقوب المرينى ٧٩ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٩٢
يغمراسن (ابن زيان) ٧٩
ينحى ٩٤
يوسف بن عمر بن رسول (الملك المظفر شمس الدين صاحب اليمن) ١٤٥

فهرس الأماكن

الأبلستين ٨٥ ، ٩٨
الأبلق (قصر) ١٦٨
الأبواب ٨٣
اخميم ٢٠٧
اذنة ٨١
الأردوا ٧٨ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٨٣ ، ٢١٦
أرسوف ٥٤ ، ٦٥
أرمينية ١٦
آسيا الصغرى ١٦
الاسكندرية ٨ ، ١٦ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ١٦٦ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ، ٢١٨
أسوان ٢٠٢
الأشمونين ١٥٥
اطفيح ٢٠٢ ، ٢١١
الأعمال الطرابلسية ٢٠٩
الأعمال الفيومية ٥٩
الأغوار ٣٦ ، ٤٠ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٧٦
افريقية ٢٢٩
ألبيرة ٦٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٢٢٣
أمد ٩٤
انطاكية ٥٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٨١
انطرطوس ٦٢ ، ٧٠ ، ١٦٣
الأهرام ٢١٨ ، ٢٢٠
اياس ٨١ ، ٢٤٠
ايوان كسرى ١٦٩

باب البرقية ١٤٠
باب السدرة ١٧٣
باب القلعة ١٣٩ ، ١٤٠
باب القلة ١٤٦
بجاية ٢٢٩
البحر الأعظم ٢١٨

البحر الملح ١١٤ ، ١٤٢
البحيرة ١٦٠ ، ١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٢٠
البدرية ١٨٩
بدعرش ١٦٠
البرج الأبيض ١٩٥ ، ١٩٧
البرج الأحمر ١٤٠
برج داور ٢٢٥
برج قرفيص ٧٠
البرزين ٨١
برزاى ٩٨
البركة ٩٠
بركة الحاج ٢٠٣
بركة زيزا ٤٠
البرية ١٨٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٥
بعلبك ٤٦ ، ١٥٩
بغداد ٣٨ ، ٤١ ، ١١٣ ، ١٤٦ ، ٢٢٣
بغراس ٩٥
بكاس ٩٨
البلاد الأرمنية ١٠٩ ، ١٧٤
البلاد البحرية ١٠٨
بلاد بركة ٧١
بلاد التتار ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٨٣
بلاد الترك ١٠٥
البلاد الجيزية ١٧٨
البلاد الحلبية ١٣٣ ، ١٦٠ ، ١٦٣
بلاد الروم ٣٨ ، ٩٤
البلاد الشامية ٧٨ ، ٨٢ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
بلاد الشمال ٥٢ ، ٦١ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٥٩
بلاد الغرب ٥٥
البلاد الفرنجية ١٤٥
البلاد الكركية ١٩٤
البلاد المصرية ٧٣
بلاطنس ٦٦ ، ٩٨ ، ١٥٧
بلبيس ٩٠
بلغر ١٠٧
بيروت ١٢٨
بيت بركة ١٢٩ ، ٢٢٠

البيت الحرام	٢٣٠
بيسان	٩٧
بين القصرين	١١١ ، ١٧٥
ترمسان (تلمسان)	٧٩
تروجه	١٣٦
تفليس	٢٢١
تكريت	٢٣٢
تل حمدون	٥٨ ، ١٥٣
تل العجول	٣٨ ، ٦٧ ، ١٥٦
تلا	١٠٦
تلمسان	١٨٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣
تلمسان المستجدة	١٩٢
توريز	٢١٦
توغان	١٠٤
تونس	٦٩ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤
التيات (قلعة الديوية)	٥٨
التينات	١٠٩
ثمانة	١٤٦
جابر (قبيلة من عربان البحيرة)	١٦٠
جامع ابن طولون	١٤٩
الجامع الأزهر	٦٠
جامع الصالحية	٢٦
جامع القلعة	٤٧
جاهان (نهر)	٨١
جبال سيس	١٠٧
الجبل الأحمر	٨٩
جبل الصالحية	١٥٨
جبلة	٦٤
الجزيرة	١٠٦ ، ١٠٧
جزيرة أوراد	١٦٣
جزيرة الخيل	٨٢
جزيرة الروضة	٢٢٦
جزيرة صقلية	١٤٥
جسر يعقوب	٥٧ ، ٦٨ ، ١٥٧

الجسورة ٩٣
جنوة ١٦ ، ١٤٢
جهان (نهر) ٥٨ ، ٨١
الجواص ٩٩
الجيزة ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٧٤ ، ٢١٨

الحاجر ١٣٧
حارم ٧٣ ، ٨٤
الحجاز الشريف ٦٧ ، ١٤٩ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٨٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥
حمران ٧٣
الحساء ٩٨
حسنة ٢١٢
حصن الأكراد ٦٨ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ١٠٠
حصن عكار ٧١ ، ٧٣
حصن الغراب ١٩٠
حصن قرقيسيا ٥٣
الحطارة ٢١٢
حلب ١٧ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٣٢ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠
حليا ٥١
حماة ٣٤ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ١١٠ ، ١٢٦ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٤٠
حمراء بيسان ٩٧
حمص ٢٩ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٨ ، ٢٢٣ ، ٢٣٦
حميمصة ١٥٣
حيفا ٥٤ ، ١٢٨

الخانكاه ١٦٢

خراسان	١٨٨
خربة اللصوص	٦٥
الخصوص	١٩٨
خط سويقة العزى	١٢
الخليج الحاكمى	١٤٤
خليج الطيرية	١٠٨
الخليل	٤١ ، ٢٢٥
الخورنق	١١٢
دار العدل الكاملية	٢٢٤
دار ابن لقمان	٢٦
داريا	٨٨
الدوب ساك	٩٤ ، ٩٥
الدربند	٥٨ ، ٨١
دربند الروم	٨١
دمشق	١٨ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦
دمياط	٢٥ ، ٦٩
دنقلة	٨٢ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨
ديار بكر	٢٣٨
الديار المصرية	٢٨ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣١

١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٤٧
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ، ١٨٠ ، ١٩٠
١٩٣ ، ١٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢١٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
دير ديسير ١٦٣
الديوية (قلعة التيات) ٥٨

الربض ٥٧
الرحبة ٥٥ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١٦٣ ، ١٦٤
الرستن ١٠١
الروحاء ٧٤ ، ٩٦ ، ٩٧
زور السورية ٢٣٦
زيزا ٥٩ ، ٢٣٥
الساحل ٥٣ ، ٧٣ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١٢٨ ، ١٤٦
السانح ٢٨ ، ٣٩
السدير ١١٢
سرفندكار ٥٨
السعيد (الصعيد) ٣٣
السعيدية ٢٠٣
سكرير ١٥٩ ، ٢٠٣
سنجار ١٠٧
سوق الخيل ٥٦ ، ١٣٩ ، ١٨١
السويس ٢١١
سيس ٨ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٢
٨٠ ، ٨١ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨
١٠٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧
١٨٣ ، ١٩٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧
سيوط ٣١
الشام ٦ ، ٨ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤٢ ، ٤٤
٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٣
٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣
٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣
١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٦
١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٥٨
١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٤
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٨

١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥
٢٣٨ ، ٢٤٠
شرموشاك (قلعة) ٦٦
الشريعة ٢١٢
الشغر ٩٨
الشقيف ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٩ ، ١٩٨
شميصات ٧٨
الشوبك ٤٣ ، ٥٠ ، ٦٦ ، ٩٢ ، ١١٥ ، ١٥٩
٢٠٦ ، ٢٣٧

صاروس ٩٨
صافيتا ٦٢ ، ٧٠
الصالحية ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٥٩
١٨٩ ، ٢٠٠
الصبيبة ٦٥
صحراء هوتى ٩٨
صراى ١٠٧
صرخد ١٤٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٦ ، ٢٣٥
الصعيد ٨ ، ٣٧ ، ١٣٣
الصعيد الأعلى ١٩٦
صفد ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٩
٩٧ ، ١٢٦ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٢٤
٢٢٨
صقلية ١٥٨
صلخد ١٥٨
صهيون ٦٦ ، ٧٥ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١١٧
١١٨ ، ٢٠٢ ، ٢١١
صور ٦٢ ، ٦٦ ، ١٢٨
صور حارم ٩٩
صيدا ١٢٨
طرابلس ٥٦ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١٢٠
١٢٤ ، ١٩٨ ، ٢١٧ ، ٢٤٠
طفس ١٩٥ ، ١٩٦
الطور ٥١
الطيرية ١٠٨
الظاهرية ٦٠ ، ٩٧ ، ١١٢

العامودين (قلعة) ٥٨
عانا (عانة) ٤٨
العباسة ٣١ ، ٣٦ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٨٠ ، ١٩٨
عثليث ٥٣ ، ١٢٨
عجلون ٧٨
العراق ٤١ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٧٦ ، ٢٣٨
عراق العجم ٣٣
العراقان ١٨٨
عرض ١٦٤
عرقا ٥٦
عسقلان ٦٨
العطف ٢١٨
العظامى ٢٢٠
العقبة ١٩٠
عكا ٧ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٤
١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠
عكار ٥٨ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٨
العليقة ٦٨
العوجاء ٣٦ ، ٦١ ، ١٤٧ ، ١٦٠
عين تاب ٩٥
عين جالوت ٦ ، ٤٣ ، ١٠٥

غباغب (جبل) ١٦٦
غزة ٢٨ ، ٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ١١٦
١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٧
٢٣٦

فاس ١٩٢
الفرات ٤٨ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٢
١٠٧ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٩
١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٦
الفوار ٦٦
فينا ١٣ ، ١٧
قارا ٥٨
قاعة ابن النشابى ١٨
قاقون ١٦٤ ، ١٧٤

القاهرة ٨ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠
٨٦ ، ٨٩ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١١ ، ١٢٩
١٣٧ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٤
قبرس ٧١ ، ٨٠
أبو قبيس (حصن) ٩٩
قبيلة جابر ١٦٠
قبيلة مرديش ١٦٠
القدس الشريف ٦٧ ، ١٨٢ ، ٢٢٥
القرافة ٢١٣
قراقوش (ميدان) ٥٧
قرقيسيا (حصن) ٥٥
القريتين ١٥١ ، ١٦٤
القرين ٧٢
قريش ٢٣٤
القسطنطينية ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٤٩ ، ٢٢٠
قصر الأبلق ١٦٨
القصير ٤٥ ، ٦٢ ، ٨١
قطيا (قلعة) ١٠٩
القطيفة ٨٢ ، ١٦٥
قلعة انطاكية ٦٤
قلعة برج داود ٢٢٥
قلعة البرزين ٨١
قلعة بعلبك ٤٦
قلعة بغراض ٦٤
قلعة الجبل ٥١ ، ١٣٢
قلعة حلب ٢٧
قلعة دمشق ١٥٨
قلعة الديوية (التيات) ٥٨
قلعة الروم ٧ ، ٨٨ ، ١٣٠
قلعة شرموشاك ٦٦
قلعة صفد ٩٧
قلعة العامودين ٥٨
قلعة عجلون ٧٨
قلعة قطيا ١٠٩
قلعة الكرك ٥٧ ، ٥٩
قلعة المسلمين الأشرفية ١٣١
القلعة المنصورة ٦٤ ، ٦٨

قلعة نجم ١٥٣
القليعات ٥٦
قليوب ٦٩
قوص ٣٧ ، ١١٨ ، ١٣٣
قيسارية الشام ٥٣

الكختى ١٠٩
كرجستان ٢٢١
الكرك ٧ ، ٨ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١
٥٤ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٠ ، ٨٣ ، ٩٠
٩٢ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١٢٦
١٣٣ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٨٧ ، ١٨٨
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧
٢٠٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٠
كركر ٦٦ ، ١٠٩ ، ١٨٥
كرنجيل ٥٨
الكريون ٢١٨
الكسوة ١٦٦ ، ١٦٨
كفرطاب ٦٨
كنيسة المصلبة ٢٢١
كوكصوا (النهر الأزرق) ٨٤
كيلان (جبال) ١٧٨

اللجون ٩٧

ماء العوجاء ١٤٧ ، ١٦٠
ماردين ٩٤ ، ٩٩ ، ٢٣٧
مجمع المروج ١٥٧
المحرس ١٩٨
مخاضة بلالة ٦٢
مخاضة الفرات ٧٥
مخضة القاضى ٧٥
المدرسة الدوادارية ١٢
المدرسة الظاهرية ٥٢
المدرسة الناصرية ١٧٥
المدينة النبوية (المنورة) ٦٦ ، ٦٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ٢١٦ ، ٢٢٩
المذّية (مكان) ١٩٣

مراكش ١٨٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣
مراكع موسى ١٩٨
المرج ٧٢ ، ٨١ ، ٨٨ ، ١٥٨
مرج انطاكية ٨١
مرج حارم ٨٤ ، ٨٥
مرج حمص ١٠٠
مرج الصفر ١٧٢ ، ١٧٧
مرديش (من قبائل العربان) ١٦٠
مرعش ٧٣ ، ٨٠ ، ٩٩ ، ١٦٣
المرقب ٧٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٣
مسجد التبر (التبن) ٥٩
مسجد التبن (التبر) ١٢٢ ، ١٩٥
المشاهد ٦٧
مشهد خالد بن الوليد ١٠٠ ، ١٠٣
مشهد السيدة نفيسة ١٦٢
المصاف ١٠١
مصر ٥ ، ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٢٦ ، ٢٣٣
المصلبة (كنيسة) ٢٢١
مصياف ٦٨
المصيصة ٨٠ ، ٨١
المعلقة ١٣
المغرب ١٦ ، ٧٩ ، ١٨٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨
المغرب الأقصى ٢٣٤
مكة ٦٦ ، ٦٩ ، ١٦٢ ، ١٧٤
مندس ١٠٧
المنزلة ١٠١ ، ١١٤
منزلة العوجا ٣٨
منظرة الكبش ١٤١ ، ١٤٩ ، ١٦٢
منفلوط ٢٣١
منى ٢٣٩
منية بنى خصيب ١٣٣
الموجب ٩٨

الموصل	٧ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٤٦ ، ١٦١
موقف المصاف	١٠١
الميدان الأخضر	١٦٨
ميدان قراقوش	٥٩
الميعاد	٢٠٣
النهر الأزرق (كوكصوا)	٨٤
نهر جاهان (جهان)	٥٨ ، ٨١
النمسا	١٧
النمسون (ليماسول)	٧١
النوبة	٨٢ ، ٨٣ ، ١١٨ ، ١٣٨
النيل	١٤٤ ، ١٩٢ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤
هيت	٢٣٢
وادى الخزندار	١٥٧
وادى السدير	٦١
الوجه البحرى	١٨٢
الوجه القبلى	٢٣١
الوزيرية	٢٢٤
وطاة حمص	١٠٠ ، ١٠٣
يافا	٦١ ، ٧٨
يثرب	١٨٨
اليمن	٦٦ ، ١٠٣ ، ١٤٥ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٨
ينبع	٢٢٩

فهرس المصطلحات

الأبواب السلطانية ١٣٨ ، ١٥٨ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢٠٦
٢١٦ ، ٢٣٢
الأبواب الشريفة ١١٥ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،
١٨٠ ، ٢١٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ز ٢٣٨
أتابكية العساكر ٢٢٦ ، ٩٠ ، ١٩٠
الأدر ١٩٠
أرباب الجامكيات ٧
الاسباسلارية ٥٧
الاسبتار ١٢٦ ، ١٢٧
أستاذدار ، أستاذية الدار ٩٢ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ،
١٤٨ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٢٤
أستاذ دار العالية ١٥٥
الاسطبلات السلطانية ٢٠٢ ، ٢١١
الاسماعيلية ٦٨ ، ٧٧
أصحاب العشرات ١٦٦ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ،
أصحاب المئين ٢٣٢
الأطلاب ٩٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤
أطلاب التتار ١٥٧
الأعلام السلطانية ١٠٣
إقطاعية ، إقطاعات ٧ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ١١٦ ،
١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٢ ، ١٩٤ ،
٢١٠ ، ٢٣٢
الألزام ١٤٠ ، ١٨١، ١٨٨، ١٩٧ ، ٢٠٠ ،
١٠١ ، ٢٠٢
الأمداد ١٢٠

الأمر الشريف العادلى ١١ ،
أمراء الطبلخانات ٩٩
أمراء العشراوات ١٩٧
الأمراء المقفزون ١٥٧
الأمراء المنصورية ١٢٥
إمرة التومان ٢٣٨
إمراء الطبلخانات ١١٢
إمرة المائة ٨
الأملاك الظاهرية ٩٨
الأملياء ١٦٣
أمير سلاح ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٤١ ، ١٥٠
أمير مجلس ١١٩ ، ١٣٩ ، ١٣٩ ، ١٨٨ ، ٢٣٢
الأنادر ١٥١
الأنقارات ١٤٧
الأوقاف المنصورية ٢١٠
الأويراتية ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٦
الأيام المنصورية ١٣٤
الإيوان ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٩١ ، ١٩٩ ، ٢٠٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤
إيوان النيابة ١٨٧
باب الاسطبل – باب الاسطبلات ١٨١ ، ١٩٩
الباب السلطانى ١٦٢
الباب الشريف ١٦٣
الباب العزيز ١٠٨ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ٢١٦
الباشورة ٧٢ ، ١٣١
البحرية ٢٩ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠
البحرية الصالحية ٩٠ ، ١١٨
البحرية المجردون ١٩٠
البرجية ١٤٠

البرد ، البرداء ، البردية ، البريدية ٧ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٣٨
البركصطوانات ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٦٦
البطائق ١٠١
البياردة ٣٠٦
البيارق ١٠٠
بيت الاسبتار ١٠٦
البيمارستان المنصورى ١١١
التجريدة ٢٣٦
التخت ١٤٤
التراكمين (التركمان) ١٥٨ ، ١٦٤
التراكيش ١٨١
التشاريف ٧٦ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣١
التشاريف الملوكية ٢٣١
التطليب ٩٩
التعابى ١١٨ ، ١٣٨
التعليق ١٤٤
التقادم ١٥٠
التقدمة ٩ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ١٧٣
التقليد ٩٨
التُّمان ، التومان ٧٤ ، ٨٢ ، ١٥٨ ، ١٨٣ ، ٢٣٨
التواقيع ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٥
الجامكيات ٢٧ ، ٥٧ ، ٩٠
الجبلية ١٥٨
الجتر السلطانى ٨
الجرايات ٥٧
جريدة ، جرائد ٥٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ١١٦ ، ١٣١
الجفانى ٥٣ ، ٦٤ ، ٦٥
الجمدارية ١٩٦

الجنائب	٢٠٣
الجواشن	٧٢ ، ١٣٤
جيش البحر	١٦٣
الحجبة	١٤٨ ، ٢٢٧
حكام الشريعة	١٩٩
الحلقة (رجال الحلقة)	١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٨
الحوائص	٤٥ ، ٩٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣
الحوائل	١٦٦
الحواصل	٥٣ ، ٥٧ ، ٦٤
الحوطة ، الحوطات	٣٥ ، ٧٦ ، ١٢٥
خاتم الأمان	١١٥
الخاصكية	٨٨ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ، ١٨٢
الخدمة الشريفة	١٨٩
خزانة البنود	١٣٨
الخزانة الشريفة السلطانية	٢٣٩
الخشتاشية ، الخشداشية	٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٣ ، ١٩١ ، ١٩٤ ، ١٩٦
الخواتين	٨٧
خوند	٧٧ ، ١٠٥
خيل الطلب	١٦٧
دار الضيافة	٢٣٨
دار العدل الشريف	٢١٠
دار النائب	١٩١
الداوية (الديوية)	٦٤
الدربند	٨١ ، ٩٩

الدست ٢٧ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٤٣ ، ١٩١ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩
دستور ٦٥ ، ٩٠ ز ٢٠٦ ، ٢٣٦
دستور الحج المبرور ٢٣٥
الدهليز ٤٥ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٢٢ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣
الدهليز الأحمر ٩٩
الدهليز السلطانى ٥٦ ، ١٥٩
دوادار ٧
الدواوين السلطانية ٢٢٤
ديوان الإنشاء ٧ ، ٩
الديوية (الداوية) ١٢٦ ، ١٢٧
الذمة ١٦١ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠
رسوم الاسماعيلية ٦٨
الرفض ٢٣٧
الركب المصرى ١٩٠ ، ٢٣٢
الرنك ٦٣
الروك الحسامى ١٥٢
ريّس الغراب ١٤٢
الزحافات ٥٣
الزردخانات ٥٧ ، ١١٤
الزردكاش ١٩٨
الزراقين ١٦٣
زكاة الدولة ٩٢
السرير ١٤٤
السكة ٢٨

السناجق (الصناجق)	٥٣ ، ٥٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٩٦
السنجق المنصورى الناصرى	٢٢٩
الشاليش	٦٣ ، ٨٠ ، ٨٤
شبّاك النيابة	١٥٤
الشتر السلطانى (الجتر)	١٧٥
الشحنة	٤٣
شحنة الجزيرة	١٠٧
الشخاتير	١٣٧
الشعار	٢٠٣
شعار السلطنة	٩٥ ، ١٩١
الشوانى	٦٩ ، ٧١ ، ٨٠ ، ١٤٢ ، ١٦٣
شيخ الشيعة	٢٣٧
الشيعة الناصرية	١٩٩
صاحب التخت	١٢١
صاحب الديوان	٢٣٧
الصدقات السلطانية	٧ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٥٨ ، ٢١١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٨
الصناجق (السناجق)	٥٧ ، ٧١
الصولجان	٢١٧
الطباق	٧
الطبلخانات	٥١ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٦ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٦ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢٣٢
الطبلخانة	٧
الطرّانة	١٣٧
الطلب السلطانى	٢٠٣
الطواشية	٢٠٦

طوائف الاويراتية	١٤٦
الظاهرية	٩٠ ، ٩٧ ، ١٠٨
العدادات	٥٣
عربان الصعيد	١٦٢
العزيزية	٣٦
العشرات	٢٠٠ ، ٢١٠
العشراوات	٩١
العصابة	٢٠٣
العلامة الشريفة	٦٠
الغاشية	٢٧ ، ٥٢ ، ١٩١
الغراب	١٤٢
الغيارة	٦٦
الفتوحات الاشرفية	٢٠٩
الفداوية (الاسماعيلية)	٦٨
الفرمانات	١٥٨
الفرنجية (الفرنج)	١٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٤
القانات	١٦٤
القبق	٧٩ ، ٨٤ ، ١٣٤
القبة الشريفة	١١١
قراغول التتار	١٠٩
القرضيات	٢٣١
القطيعة	١٧٦ ، ١٩٣ ، ٢١٧
القمز	٢٧٦ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ١٠٥
الكبش (القلعة)	١٤٣
كتب الهناء	٦٣
الكردوس	٦٣
كرسي المملكة	٦٨
الكلوتة	٧٧
الكند ، كندس طبل (الكونستابل)	٦٣

كندور انطرطوس	٧٠
الكوسات	١٠٠ ، ١٢٧ ، ١٥٧
متحرمة الجنوية	١٤٢
متحرمة الفرنج	٢٢٧
المتعممون	٢٣١
المثالات	١٥٢ ، ٢٣٢
المجانيق	٥٣ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٦
المجرودن	٥٧ ، ١٣٣ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥
مذهب السنة	٢٣٧
المراسم الشريفة السلطانية	٨ ، ١٧٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٨ ، ٢٤٠
المراسيم	٢٨
المراواة	١٣٥
المرسوم	٢٣٦
المشد	٣٣
المصاف	٩٩ ، ١٠٠
المصافات	٤١
المصافون	١٣٣ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٠٠
المعادى	١٣٧
المغادرة	٢٠٠
المفاردة	١٠٠ ، ١٦٦
مفاردة الجيش	١٦٦
المقام الشريف	٢٠٣
مقدم بيت الاسبتار	٧٠ ، ٩٦
مقدم تمان	١٥١
المقدَّمات	٩٩
مقدمو الألوف	١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٣٥
مقدمو الحلقة	٩٩

مقدمو العساكر	١٠٥
مقدمو القانات	١٦٤
المقدمون	١٠١، ١٢٦، ١٣٣، ٦٦، ١٩٩، ٢١٣، ٢٣١
المقر العالى السيفى	٢٤٠
المقر العالى المولوى	٢٤٠
المقفزون	١٥٧
مكتب السبيل	١١١
الملطفات	١٩٧
المماليك السلطانية	١٢٥، ١٣٣، ١٥٦، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٨
المنائح	٢٢٢
المناشير	٢٨، ٤٤
المنجنيقات	٥٤، ٦٢، ٧١، ٧٦، ١٠٩
منشور إقطاع	١٩١
منشور التعيين	٩
المهمات الظاهرية	١٣٤
المواقف الشريفة السلطانية	٢٣٨
الموقعون	٢٣١
ناظر الصحبة الشريفة	٢٢٧
نسخة اليمين	٩٨
النعوت	٢١٥
النقباء الشاميون	٨
نيابة القلعة	٥٧
نيابة دار العدل الشريف	٢١٠
الهناب	٧٧
الوضائع	٤٧
الوطاق	١٣٠، ١٣٦، ٢٣٦

المحتويات

الصفحة

مقدمة المحقق ٥
اللوحة رقم ١ ....
اللوحة رقم ٢ ....
كتاب التحفة الملوكية ٢١
مقدمة المؤلف ٢٣
ذكر الأسباب التى هيأها الله عز وجل لما أراده من تمليك
الطائفة المؤمنة التركية على الملة الإسلامية ٢٥
ذكر سلطنة المعز عز الدين أيبك التركمانى الصالحى ٢٧
ذكر الوقعة بين الملك الناصر والمعز ٣١
سنة ٦٥٠هـ ٣٣
سنة ٦٥١هـ ٣٤
سنة ٦٥٢هـ ٣٥
سنة ٦٥٣هـ ٣٧
سنة ٦٥٤هـ ٣٨
سنة ٦٥٥هـ ٣٩
سنة ٦٥٦هـ ٤٠
سنة ٦٥٧هـ ٤٢
سنة ٦٥٨هـ ٤٣
ذكر وصول الإمام أبى العباس ابن الظاهر بالله من العراق إلى الديار المصرية ... ٤٧
سنة ٦٥٩هـ ٤٧
سنة ٦٦٠هـ ٥٠
سنة ٦٦١هـ ٥١
سنة ٦٦٢هـ ٥٢
سنة ٦٦٣هـ ٥٣
سنة ٦٦٤هـ ٥٦

سنة ٦٦٥هـ ٦٠
سنة ٦٦٦هـ ٦١
سنة ٦٦٧هـ ٦٥
سنة ٦٦٨هـ ٦٨
سنة ٦٦٩هـ ٧٠
سنة ٦٧٠هـ ٧٣
سنة ٦٧١هـ ٧٥
سنة ٦٧٢هـ ٧٨
سنة ٦٧٣هـ ٨٠
سنة ٦٧٤هـ ٨٢
سنة ٦٧٥هـ ٨٤
سنة ٦٧٦هـ ٨٦
سنة ٦٧٧هـ ٨٨
سنة ٦٧٨هـ ٨٩
ذكر سلطنة السلطان الملك المنصور قلاوون ٩١
سنة ٦٧٩هـ ٩٣
سنة ٦٨٠هـ ٩٧
سنة ٦٨١هـ ١٠٧
سنة ٦٨٢هـ ١٠٨
سنة ٦٨٣هـ ١١١
سنة ٦٨٤هـ ١١٣
سنة ٦٨٥هـ ١١٥
سنة ٦٨٦هـ ١١٧
سنة ٦٨٧هـ ١١٩
سنة ٦٨٨هـ ١٢٠
سنة ٦٨٩هـ ١٢٢
سنة ٦٩٠هـ ١٢٦
سنة ٦٩١هـ ١٣٠
سنة ٦٩٢هـ ١٣٣
سنة ٦٩٣هـ ١٣٦
سنة ٦٩٤هـ ١٤٢
سنة ٦٩٥هـ ١٤٦

سنة ٦٩٦هـ ١٤٧
سنة ٦٩٧هـ ١٥٢
سنة ٦٩٨هـ ١٥٣
سنة ٦٩٩هـ ١٥٦
سنة ٧٠٠هـ ١٦٠
سنة ٧٠١هـ ١٦٢
سنة ٧٠٢هـ ١٦٣
سنة ٧٠٣هـ ١٧٤
سنة ٧٠٤هـ ١٧٦
سنة ٧٠٥هـ ١٧٧
سنة ٧٠٦هـ ١٨٠
سنة ٧٠٧هـ ١٨١
سنة ٧٠٨هـ ١٨٥
ذكر عزم السلطان أعز الله أنصاره على مفارقة الديار المصرية ١٨٧
سنة ٧٠٩هـ ١٩٢
ذكر مسير السلطان من مدينة دمشق لتجديد ملكه ٢٠١
ذكر مااعتمده السلطان من تقرير الأحوال ٢٠٩
سنة ٧١٠هـ ٢١٤
سنة ٧١١هـ ٢٢٦
الفهارس ٢٤٣
فهرس الأعلام ٢٤٥
فهرس الأماكن الجغرافية ٢٦٩
فهرس المصطلحات ٢٨١
المحتويات ٢٩١

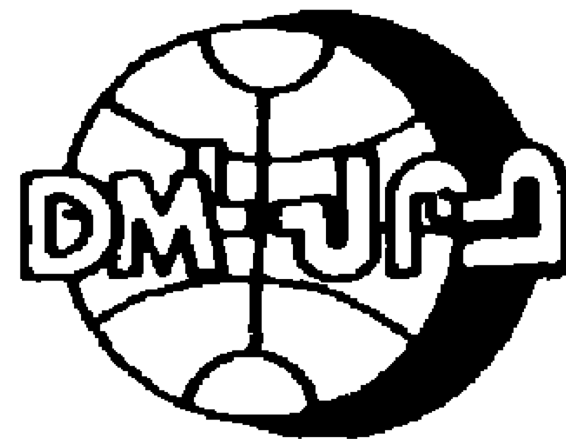
مطبعة نهضة مصر

رقم الأيداع٣٦٥٩/٨٧

BAYBARS AL-MANSŪRĪ

KITĀB AL-TUḤFA AL-MULŪKIYYA FÎ AL-DAWLA AL-TURKIYYA

édité Par
ABDELḤAMĪD ṢĀLEḤ ḤAMDĀN
Docteur és Lettres et Sciences Humaines



AL - DĀR AL - MIṢRIYYA AL - LUBNĀNIYYA

BAYBARS AL-MANSŪRĪ

KITĀB AL-TUHFA AL-MULŪKIYYA FÎ AL-DAWLA AL-TURKIYYA

édité Par

ABDELḤAMĪD ṢĀLEḤ ḤAMDĀN

Docteur és Lettres et Sciences Humaines



AL - DĀR AL - MIṢRIYYA AL - LUBNĀNIYYA